العزلة

«كتاب أدب وحكمة وموعظة»

للإمام الحافظ
أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي
(٣١٩ - ٣٨٨ هـ)

حققه وعلق عليه
ياسين محمد السواس

دار ابن كثير

العُزلة

«كتابُ أدبٍ وحكمةٍ وموعظة»

تأليف

الإمام الحافظ أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي البُستي
(٣١٩ - ٣٨٨هـ)

حققه وعلّق عليه

ياسين محمد السّوّاس

دار ابن كثير
دمشق - بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الثانية
١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

دار ابن كثير
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - شارع مسلم البارودي - بناء خولي وصلاحي - ص.ب ٣١١ - هاتف ٢٢٥٨٧٧
بيروت - ص.ب ٦٣١٨/١١٣

المقـدّمـة

الحمد لله حمداً يوازي نعمه، وأشكره على ما هدانا إليه من فضله، وصلى الله على نبيه محمد وعلى آله الطاهرين.

وبعد:

فهذا كتاب «العزلة» أقدمه إلى القراء في وقت نحن فيه أحوج ما نكون إلى الإرشاد والتوجيه، والعظة والعبرة بسيرة وأقوال السلف الصالحين.

وقد ترددت طويلاً قبل أن أقدم على تحقيقه، رغم أنه لعالم جليل من علماء القرن الرابع الهجري، وهو أبو سليمان الخطابي، وذلك لأن موضوعه في العزلة، ونحن في طلب الألفة والصحبة والوحدة.

وحين قرأت الكتاب وجدت المؤلف لا يطلب العزلة بشكل مطلق، وإنما يريد الحيطة والحذر والإقلال من صحبة الأشرار، قال:

«قد انتهى منا الكلام في أمر العزلة إلى حيث شرطنا أن نبلغه، وأوردنا فيها من الأخبار ما خفنا أن نكون حسَّنَّا معه الجفاء من حيث أردنا الاحتراز منه، وليس إلى هذا أجرينا، ولا إيَّاه أردنا؛ فإنَّ الإغراق في كُلِّ شيءٍ مذموم، وخير الأمور أوسطها، والحسنة بين السيئتين»[1].

(١) انظر ص: ٢٣٦.

كما وجدت فيه كتاب أدب مُزج بالحكمة والموعظة، يخاطب العقل قبل العاطفة، كتبه عالم فقيه، وأديب بليغ، ملأه بنتف من الأشعار، وبحكم متناثرة، ومحاكمات عقلية، وعواطف متأججة، مما أضفى على الكتاب صفة الأدب أكثر من صفة الوعظ والإرشاد. وهذا كله دفعني إلى المضي في تحقيقه والعناية به، ففيه الأسلوب الرصين الجميل، والفكر العميق.

والخطابي رائد في موضوعه لم يسبق إليه على الأغلب، تحدث فيه على طريقة الزهاد المتعففين، ولم يسلك سبيل المتصوفة، وإن كان قد اتجه إليهم في أخريات حياته، ودخل خلوتهم. ولعله شعر بالحرج ـ كما شعرتُ ـ حين اختار موضوعه وأراد الكتابة فيه، ولهذا نجده يسارع فيبدأ كتابه بذكر حجج من أنكر العزلة من آيات وأحاديث وآثار. ثم يبدأ الحديث عن العزلة، مقسماً موضوعه إلى أبواب، مورداً في كل باب الآيات والأحاديث والآثار والأخبار مما يؤيد أو يشرح فكرته. ويعرض ذلك بأسلوب منطقي يقوم على الحجج والبراهين، ويحشد كثيراً من الأقوال بطريقة مجردة، لا يقحم نفسه فيها، وقد يتدخل ليبدي رأيه من شرح أو تأييد أو تعليق.

وهو في كل حال واعٍ لما يقول، لا يبعد في الرأي، ولا يغالي في الدفاع عن العزلة، وقد تعلو نبرته ضد العوام والخواص على السواء، ثم يعود إلى هدوئه واعتداله. وينهي كتابه بباب خاص يعلن فيه وجوب القصد والاعتدال في الخلطة والعزلة، وهو باب صغير إلا أنه يمثل خلاصة رأيه في العزلة.

ويبين أن العزلة تصلح فقط للعلماء العقلاء، وأنها من أضرّ الأشياء على الجهال، فمن أراد الاعتزال فعليه أن يتفقه بالدين، فقد قال إبراهيم النخعي: تفقَّه ثم اعتزل.

والخطابي جريء في الحق، لا يهاب لومة لائم، فهو يذكر أخباراً فيها هجوم وسخرية من أصحاب الحديث والقرّاء والمتصوفة، ممن ابتعدوا عن الطريق السوي، وارتكبوا حماقات باسم العلم أو الزهد والتقشف. ويأتي على ذلك ببعض القصص والأخبار التي تضحكنا، ولكنها في الوقت نفسه تحزننا وتجعلنا نأسف لحال أولئك الضالين المضلين.

وقد عرف القرنان الثالث والرابع كثيراً من الزهاد والمتصوفة، وألّفت كثير من الكتب في الرقائق، وما ذلك إلا لفساد الزمان وأهله. ونعرض فيما يلي بعضاً مما قيل في الاعتزال ليكون ذلك مجال مقارنة مع ما سيذكره المؤلف في كتابه:

ومن تلك الأقوال ما ذكره الراغب الأصبهاني[١] في تعريف العزلة، قال:

«العزلة توفِّرُ العرض، وتستر الفاقة، وترفع ثقل المكافأة. وقال: ما احتنك[٢] أحد قط إلا أحبَّ الخلوة. وقيل: توحَّدْ ما أمكنك، فمن وطئته الأعين وطئته الأرجل. وقال حكيم: العاقل مستوحش من زمانه منفرد عن إخوانه. وقيل: استوحِشْ من الناس كما تستوحش من السبع. وقال الجُنيد: دخلت على السريّ فقلت: أوصني، فقال: لا تكن مصاحباً للأشرار، ولا تشتغل عن اللّه بمجالسة الأخيار. وقيل لذي النون رحمه اللّه: متى أقوى على عزلة الأخيار؟ فقال: إذا قويتَ على عزلة النفس. قيل: ومتى يصح الزهد؟ قال: إذا كنت زاهداً في نفسك، هارباً من جميع ما يشغلك».

---

(١) محاضرات الأدباء ٢ : ١١.

(٢) احتنك الرجل: استحكم. وحنكتك الأمور، أي راضتك وهذبتك. ويريد بذلك بلوغه النضج والتناهي في العقل والسن.

ولخص الغزالي في كتابه «إحياء علوم الدين» فوائد العزلة وآفاتها، وختم كلامه بنصيحة لمن اختار طريق العزلة عن الناس، فقال:

«ينبغي للمعتزل أن ينوي بعزلته كف شر نفسه عن الناس أولاً، ثم طلب السلامة من شر الأشرار ثانياً، ثم الخلاص من آفة القصور عن القيام بحقوق المسلمين ثالثاً، ثم التجرد بكنه الهمة لعبادة الله رابعاً؛ فهذه آداب نيتِهِ. ثم ليكن في خلوته مواظباً على العلم والعمل والذكر والفكر ليجتني ثمرة العزلة. وليمنع الناس عن أن يكثروا غشيانه وزيارته فيشوش أكثر وقته، وليكف عن السؤال عن أخبارهم وعن الإصغاء إلى أراجيف البلد وما الناس مشغولون به؛ فإن كل ذلك ينغرس في القلب حتى ينبعث في أثناء الصلاة أو الفكر من حيث لا يحتسب. . .»[١].

ثم يذكر أن فصل الخطاب في الموازنة بين العزلة والخلطة يمثله قول الشافعي رحمه الله؛ إذ قال: «يا يونس! الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة، والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء، فكن بين المنقبضِ والمنبسط».

ونحن مع الخطابي في وجوب الاعتدال في الخلطة والعزلة، ومعه فيما نصح به من وجوب التسامح والبعد عن المغالاة في الأمور، وقد قال:

تسامَحْ ولا تستوفِ حقَّكَ كُلَّه وأَبْقِ فلم يَسْتَقْصِ قطُّ كريمُ
ولا تَغْلُ في شيءٍ من الأمر واقتصِدْ كلا طَرَفَيْ قَصْدِ الأمورِ ذميمُ

فلنلزم الإلفة والأخوة، لأنهما من حسن الخلق، وقد قال الرسول ﷺ: «يا أبا هريرة! عليك بحسن الخلق. قال أبو هريرة رضي الله عنه:

(١) انظر إحياء علوم الدين على هامش كتاب «إتحاف السادة المتقين» ٦: ٣٧٦ - ٣٧٧.

وما حسن الخلق يا رسول الله؟ قال: تصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك».

* * *

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وارحمنا واغفر لنا، وانفعنا بما علمتنا، والحمد لله أولاً وآخراً، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

دمشق في ١٠/ صفر/١٤٠٧ هـ
١٤/ تشرين أول/ ١٩٨٦ م

كتبه:
ياسين محمّد السّوّاس

أبو سليمان الخطَّابي[1]
٣١٩ ـ ٣٨٨ هـ

هو أبو سليمان حَمْد[2] بن محمد بن إبراهيم بن الخطَّاب البُسْتِيّ

(١) ترجمته في: يتيمة الدهر ٤: ٣٣٤ ـ ٣٣٦، طبقات العبادي ٩٤، الأنساب للسمعاني (البستي) ٢: ٢١٠ و(الخطابي) ٥: ١٤٥، فهرسة ابن خير ٢٠١، المنتظم ٦: ٣٩٧، معجم الأدباء ٤: ٢٤٦ ـ ٢٦٠ و١٠: ٢٦٨ ـ ٢٧٢، معجم البلدان ١: ٤١٥، اللباب ١: ١٥١ و٤٥٢، طبقات الشافعية لابن الصلاح (مخطوط)، الورقة ٤٧/ب، إنباه الرواة ١: ١٢٥، وفيات الأعيان ٢: ٢١٤ ـ ٢١٦، سير أعلام النبلاء ١٧: ٢٣ ـ ٢٨، تذكرة الحفاظ ٣: ١٠١٨، العبر ٣: ٣٩، تاريخ الإسلام ٤: ٧١/ب، ٧٢/أ، تلخيص ابن مكتوم ٢٠، مرآة الجنان ٢: ٤٣٥، طبقات السبكي ٣: ٢٨٢ ـ ٢٩٠، طبقات الإسنوي ١: ٤٦٧ ـ ٤٦٨، البداية والنهاية ١١: ٢٣٦ ـ ٢٣٧، طبقات النحاة لابن قاضي شهبة ١: ٣٢٣، تحفة ذوي الأرب في مشكل الأسماء والنسب، لابن قاضي شهبة ١٥٤، النجوم الزاهرة ٤: ١٩٩، بغية الوعاة ١: ٥٤٦ ـ ٥٤٧، طبقات الحفاظ للسيوطي ٤٠٣ ـ ٤٠٤، مفتاح السعادة ٢: ١٧، شذرات الذهب ٣: ١٢٧ ـ ١٢٨، خزانة الأدب ١: ٢٨٢، الرسالة المستطرفة ٤٤، كتاب في التراجم ـ مخطوط في الظاهرية (عام ٤٦١٦) الورقة ١٠/أ، روضات الجنات ٢٦٢، كشف الظنون ١٠٨، ١٢٠، ٥٤٥، ١٠٠٥، ١٠٣٢، ١٢٠٥، ١٤١٠، ١٤٣٩، ١٧٣٩، ١٩٠٨، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٣: ٢١٢ (الترجمة العربية)، تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين ١: ٥١٨، الأعلام للزركلي ٢: ٣٠٤، معجم المؤلفين لكحالة ٢: ٦١ و٤: ٧٤ و١٣: ٣٦٦، مجلة المجمع العلمي بدمشق ١٥: ٢٤١ و٤٠: ٣٨٠، ومجلة الرسالة ٣: ٨٢٢ ـ ٨٢٤ و٨٦٥ ـ ٨٦٦.

(٢) جاء في وفيات الأعيان ٢: ٢١٥: «وقد سمع في اسم أبي سليمان حَمْد المذكور =

الخطَّابيّ الشافعي. والخطَّابي: نسبة إلى جدِّه الخطاب. وقيل: إنَّه من ولد زيد بن الخطاب بن نُفَيْل العَدَوي، أخي الخليفة عمر بن الخطاب[1].

ولد سنة **٣١٩** هـ بمدينة «بُسْت» من بلاد كابُل، وهي اليوم من مدن أفغانستان، وكابُل عاصمتها.

وفي معجم البلدان: بُسْت بالضم: مدينة بين سجستان وغزنين وهراة، من أعمال كابُل، وهي من البلاد الحارَّة المزاج، كبيرة، كثيرة الأنهار والبساتين. خرج منها جماعة، منهم:

أبو سليمان الخطابي، وهو من نترجم له.

وأبو حاتم بن حبّان البُسْتي، أحدُ المكثرين في التصنيف، قال ياقوت: أخرج من علوم الحديث ما عجز عنه غيره، وكانت الرحلة في خراسان إلى مصنفاته، توفي سنة **٣٥٤** هـ[2].

وأبو الفتح البُسْتي، شاعر عصره وكاتبه، من كتاب الدولة السامانية في خراسان، توفي سنة **٤٠٠** هـ[3].

* * *

= أحمدُ أيضاً ـ بإثبات الهمزة ـ والصحيح الأول؛ قال الحاكم أبو عبد الله محمد بن البَيِّع: سألت أبا القاسم المظفَّر بن طاهر بن محمد البستي الفقيه عن اسم أبي سليمان الخطابي: أحمد أو حَمْد، فإنَّ بعض الناس يقول أحمد، فقال: سمعته يقول: اسمي الذي سميت به حَمْد، ولكن الناس كتبوا أحمد، فتركته عليه». وانظر سير أعلام النبلاء ١٧: ٢٦ ـ ٢٧، وشذرات الذهب ٣: ١٢٧.

(١) انظر وفيات الأعيان ٢: ٢١٤.

(٢) الأنساب ٢: ٢٠٩ ومعجم البلدان (بست) وتذكرة الحفاظ ٣: ٩٢٠ وسير أعلام النبلاء ١٦: ٩٢ وميزان الاعتدال ٣: ٥٠٦ وطبقات السبكي ٣: ١٣١ وشذرات الذهب ٣: ١٦.

(٣) يتيمة الدهر ٤: ٣٠٢ ـ ٣٣٤ والمنتظم ٧: ٧٢ ووفيات الأعيان ٣: ٣٧٦ والعبر ٣: ٧٥ وشذرات الذهب ٣: ١٥٩ ومعجم البلدان (بُسْت).

طلبه العلم ورحلته:

قال ياقوت: أخذ - أي الخطَّابي - العلمَ عن كثير من أهله، ورحل في طلب الحديث وطوَّف، وألَّف في فنونٍ من العلم وصنَّف. وأخذ الفقه عن أبي بكر القفَّال الشاشي، وأبي علي بن أبي هريرة ونظرائهما من فقهاء أصحاب الشافعيّ(١).

وقال: ومن شيوخ الخطَّابي في الأدب وغيره: إسماعيل الصفار، وأبو عمر الزاهد، وأبو العباس الأصم، وأحمد بن سلمان النَّجَّاد، وأبو عمرو السمَّاك، ومكرم القاضي، وجعفر الخلدي. كلُّ هؤلاء بغداديون، سوى الأصمِّ، فإنَّه نيسابوريّ(٢).

وقال السبكي: سمع الحديث من أبي سعيد بن الأعرابي بمكة، وأبي بكر بن داسة بالبصرة، وإسماعيل بن الصفَّار ببغداد، وأبي العباس الأصمّ بنيسابور وطبقتهم(٣).

وقال ياقوت: رحل إلى العراق والحجاز، وجال خراسان، وخرج إلى ما وراء النهر(٤).

وقال السمعاني: ذكره الحاكم أبو عبد الله في التاريخ، فقال: أقام عندنا بنيسابور سنين، وحدَّث بها، وكثرت الفوائد من علومه(٥).

فهو - إذن - دائم الرحلة في طلب العلم ونشره، يتنقل بين بُسْت

---

(١) معجم الأدباء ٤: ٢٥٢.
(٢) معجم الأدباء ٤: ٢٥٣.
(٣) طبقات الشافعية ٣: ٢٨٢.
(٤) معجم الأدباء ١٠: ٢٦٨.
(٥) الأنساب ٥: ١٥٧.

ونيسابور وسجستان والبصرة وبغداد والحجاز وغيرها من البلدان، وتنتهي به الرحلة في بلده بُسْت إلى حين وفاته، رحمه الله.

* * *

شيوخه:

رحلته الطويلة في طلب الحديث وقراءة العلوم جعلت من شيوخه كثرة[1]، وقد أخذ عن أئمة عصره في الحديث والفقه واللغة وغير ذلك.

ـ أخذ الفقه على مذهب الشافعي عن:

١ ـ أبي بكر القفَّال الشاشي، وهو محمد بن علي بن إسماعيل القفَّال الشَّاشي الكبير، أحد أئمة الدهر. الفقيه، الأصولي، اللغوي، عالم خراسان. قال الحاكم: كان أعلم أهل ما وراء النهر بالأصول، وأكثرهم رحلة في طلب الحديث. وقال السبكي: كان إماماً في الحديث، إماماً في الكلام، إماماً في الأصول، إماماً في الزهد والورع، إماماً في اللغة والشعر. وهو أوَّل من صنَّف في الجدل الحسن، وعنه انتشر مذهب الشافعي في بلاده. توفي سنة **٣٦٥** هـ[2].

٢ ـ ابن أبي هريرة: الحسن بن الحسين، أبو علي بن أبي هريرة، البغدادي، القاضي، شيخ الشافعية، انتهت إليه رئاسة المذهب في العراق. تفقَّه بابن سريج ثم بأبي إسحاق المروزيّ. صنَّف شرحاً لـ «مختصر المزني». توفي ببغداد سنة **٣٤٥** هـ[3].

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٧ : ٢٥.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات ٢ : ٢٨٢ وطبقات العبادي ٩٢ وطبقات السبكي ٣: ٢٠٠ ـ ٢٢٢ وسير أعلام النبلاء ١٦ : ٢٨٣ والوافي بالوفيات ٤: ١١٢ وشذرات الذهب ٣: ٥١.

(٣) تاريخ بغداد ٧ : ٢٩٨ ووفيات الأعيان ٢ : ٧٥ وطبقات السبكي ٣ : ٢٥٦ وسير أعلام النبلاء ١٥ : ٤٣٠ وشذرات الذهب ٢ : ٣٧٠.

ـ ومن شيوخه في الحديث وغيره:

٣ ـ ابن الأعرابي: أحمد بن محمد بن زياد بن بِشْر بن دِرْهم، أبو سعيد بن الأعرابي. مؤرخ، من علماء الحديث. حافظ، صدوق، شيخ الإسلام، من أهل البصرة، نزل مكة فكان شيخ الحرم المكي. وهو متصوف زاهد، صحب الجُنيد، وأبا أحمد القَلانسيّ. رحل إلى الأقاليم، وجمع وصنَّف، وتعبَّد وتألَّه، وألَّف مناقب الصوفية، وحمل «السُّنن» عن أبي داود، وله في غضون الكتاب زيادات في المتن والسند.

له «المعجم» في أسماء شيوخه، و «طبقات النساك» اطلع عليه الذهبي واقتبس منه، و «تاريخ البصرة» و «معاني الزهد وأقوال الناس فيه وصفة الزاهدين» وغير ذلك.

وهو غير «ابن الأعرابي» اللغوي، محمد بن زياد الأعرابي، ذاك مات سنة **٢٣١** هـ، أي قبل أن يولد هذا بأعوام عدة[١].

ويلاحظ كثرة رواية الخطَّابي عنه وتأثره به. ومن أقواله التي أودها الذهبي[٢] وتكشف عن مذهبه واعتقاده:

«المعرفة كلُّها الاعتراف بالجهل، والتصوُّف كلُّه ترك الفضول، والزهد كلُّه أخذ ما لا بُدَّ منه، والمعاملة كلُّها استعمال الأولى فالأولى، والرِّضا كلُّه ترك الاعتراض، والعافية كلها سقوط التكلُّف بلا تكلُّف».

وقوله: «فإنَّما التصوُّف والتألُّه والسلوك والسَّير والمحبة ما جاء عن أصحاب محمد ﷺ من الرِّضا عن اللَّه، ولزوم تقوى اللَّه، والجهاد في

---

(١) انظر طبقات النحويين واللغويين ٢١٣.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٥: ٤٠٩ ـ ٤١٠.

سبيل اللَّه، والتأدُّب بآداب الشريعة من التلاوة بترتيلٍ وتدبُّرٍ، والقيام بخشية وخشوع؛ وصوم وقتٍ، وإفطارِ وقتٍ، وبذل المعروف، وكثرة الإيثار، وتعليم العوام، والتواضع للمؤمنين، والتعزز على الكافرين، ومع هذا فاللَّه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. والعالِمُ إذا عَرِي من التصوف والتألُّه، فهو فارغ، كما أنَّ الصوفيَّ إذا عَرِي من علم السُّنَّة، زَلَّ عن سواء السَّبيل».

وقد كان ابن الأعرابي من علماء الصوفية، فتراه لا يقبل شيئاً من اصطلاحات القوم إلا بحجَّة.

توفي بمكة في شهر ذي القعدة سنة أربعين وثلاثمائة، وله أربع وتسعون سنة وأشهر[١].

٤ ـ ابن داسة: محمد بن بكر بن محمد بن عبد الرزاق، أبو بكر ابن داسة البصريّ التَّمَّار. الشيخ الثقة، العالم، راوي «السُّنَن».

سمع أبا داود السجستاني، وأبا جعفر محمد بن الحسن بن يونس الشيرازي، وإبراهيم بن فهد السَّاجي، وغيرهم.

روى عنه: أبو سليمان حَمْد الخطابي، وأبو بكر بن المقرىء، وعبد الله بن محمد بن عبد المؤمن القرطبي شيخ ابن عبد البر، وآخرون.

وهو آخر من حدَّث بالسُّنَن كاملاً عن أبي داود. وآخر من روى عن ابن داسة بالإجازة الحافظ أبو نعيم الأصبهاني. توفي سنة ٣٤٦ هـ[٢].

---

(١) طبقات الصوفية ٤٢٧ وحلية الأولياء ١٠: ٣٧٥ وتذكرة الحفاظ ٣: ٨٥٢ وسير أعلام النبلاء ١٥: ٤٠٧ وشذرات الذهب ٢: ٣٥٤ والأعلام ١: ٢٠٨.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٥: ٥٣٨ والعبر ٢: ٢٧٣ والنجوم الزاهرة ٣: ٣١٨ وشذرات الذهب ٢: ٣٧٣.

٥ ـ أبو علي الصَّفَّار: إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن صالح البغدادي الصَّفَّار. عالم بالنحو واللغة، وله شعرٍ. مسند العراق، مذكور بالثقة والأمانة، صحب أبا العبَّاس المبرّد صحبة اشتهر بها، وأكثر عنه.

أدركه الدارقطني، وقال: هو ثقة، صام أربعة وثمانين رمضان، وكان متعصّباً للسنَّة. مات سنة ٣٤١ هـ(١).

٦ ـ أبو العبَّاس الأصمّ: محمد بن يعقوب بن يوسف بن معقل بن سنان، الأموي بالولاء، السِّنانيّ، المعقِليّ، النيسابوريّ الأصمّ، وَلَد المحدِّث الحافظ أبي الفضل الورَّاق.

محدِّث، من أهل نيسابور، ووفاته بها. رحل رحلة واسعة، فأخذ عن رجال الحديث بمكة ومصر ودمشق والموصل والكـوفة وبغداد، وأصيب بالصَّمم بعد إيابه. قال ابن الجوزي: كان يورّق ويأكل من كسب يده، وحدَّث ستاً وسبعين سنة؛ سمع منه الآباء والأبناء والأحفاد، كان ثقةً صادقاً، ولم يُختلف في صدقه وصحة سماعه، كفَّ بصره قبل موته بشهر، وكانت وفاته سنة ٣٤٦ هـ عن تسع وتسعين سنة(٢)، رحمه الله.

٧ ـ أبو بكر النَّجَّاد: أحمد بن سلمان بن الحسن بن إسرائيل البغدادي الحنبليّ. الإمام المحدّث، الحافظ، الفقيه، المفتي، شيخ العراق، أحد أئمة الحنابلة.

سمع أبا داود السجستاني، والباغندي، وأبا بكر بن أبي الدنيا

---

(١) تاريخ بغداد ٦: ٣٠٢ ونزهة الألباء ١٩٥ ومعجم الأدباء ٧: ٣٣ ولسان الميزان ١: ٤٣٢ وبغية الوعاة ١٨٨ وشذرات الذهب ٢: ٣٥٨.

(٢) المنتظم ٦: ٣٨٦ وتذكرة الحفاظ ٣: ٨٦٠ والبداية والنهاية ١١: ٢٣٢ وشذرات الذهب ٢: ٢٧٣ والأعلام ٧: ١٤٥.

القرشي صاحب التصانيف في الرقائق، وخلقاً كثيراً.

وحدث عنه أبو بكر القطيعي، والدارقطني، وابن مَنْدَة، وأبو سليمان الخطَّابي، وأبو عبد الله الحاكم، وعدد كثير.

وكان يطلب الحديث ماشياً حافياً. قال الخطيب البغدادي: كان صدوقاً عارفاً، جمع المسند، وصنَّف في السُّنن كتاباً كبيراً. وكان له بجامع المنصور حَلْقة قبل الجمعة للفتوى، وحَلْقة بعد الجمعة للإملاء. مات سنة **٣٤٨ هـ** عن خمسٍ وتسعين سنة(١).

٨ ـ غلام ثعلب: أبو عمر الزاهد، محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم المطرّز، البَاوَرْدِي، البغدادي، المعروف بغلام ثعلب.

أحد أئمة اللغة المكثرين من التصنيف، كانت صناعته التطريز فنسب إليها. صحب ثعلباً النحويَّ زماناً حتى لقّب «غلام ثعلب». أملى من حفظه في اللغة نحو ثلاثين ألف ورقة.

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء: «لازم ثعلباً في العربية، فأكثر عنه إلى الغاية وهو في عداد الشيوخ في الحديث لا الحُفَّاظ، وإنما ذكرته لِسعة حفظِهِ للسان العرب، وصدقه، وعلوِّ إسناده».

وقال الخطيب البغدادي: رأينا جميع شيوخنا يوثقونه في الحديث ويصدّقونه.

وقال ابن كثير: كان كثير العلم والزهد حافظاً مطبقاً، يملي من

---

(١) تاريخ بغداد ٤: ١٨٩ ـ ١٩٢ وطبقات الحنابلة ٢: ٧ وتذكرة الحفاظ ٣: ٨٦٨ وسير أعلام النبلاء ١٥: ٥٠٢ والبداية والنهاية ١١: ٢٣٤ وشذرات الذهب ٢: ٣٧٦.

حفظه شيئاً كثيراً، ضابطاً لما يحفظه. ولكثرة إغرابه اتهمه بعض الرواة ورماه بالكذب. مات سنة ٣٤٥ هـ[١].

* * *

تلاميذه:

وكما تلقى العلم ورواه عن عدد من أئمة عصره، فقد تخرَّج عليه وروى له علماء أفاضل، منهم:

١ ـ الحاكم النيسابوري: محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم، أبو عبد الله بن البَيِّع الضَّبِّيّ، الطَّهماني، النيسابوري، الشافعي، الشهير بالحاكم، ويعرف بابن البَيِّع. وهو من أقران الخطابي في السن والسَّنَد.

قال الخطيب البغدادي: كان من أهل الفضل والعلم والمعرفة والحفظ، وله في علوم الحديث مصنفات عدة. وهو من أعلم الناس بصحيح الحديث وتمييزه عن سقيمه. صنَّف كتباً كثيرة جداً، قال ابن عساكر: وقع من تصانيفه المسموعة في أيدي الناس عدد كبير، وصنَّف الكتب الكبار والصغار؛ منها «تاريخ نيسابور» و«المستدرك على الصحيحين» وغير ذلك.

مولده ووفاته بنيسابور، توفي سنة ٤٠٥ هـ عن أربع وثمانين سنة[٢].

---

(١) طبقات النحويين واللغويين ٢٢٩ وتاريخ بغداد ٢: ٣٥٦ ومعجم الأدباء ١٨: ٢٢٦ وتذكرة الحفاظ ٣: ٨٧٣ وسير أعلام النبلاء ١٥: ٥٠٨ والبداية والنهاية ١١: ٢٣٠ وشذرات الذهب ٢: ٣٧٠ والأعلام ٦: ٢٥٤.

(٢) تاريخ بغداد ٥: ٤٧٣ والمنتظم ٧: ٢٧٤ ووفيات الأعيان ٤: ٢٨٠ وتذكرة الحفاظ ٣: ١٠٣٩ وميزان الاعتدال ٣: ٦٠٨ وسير أعلام النبلاء ١٧: ١٦٢ والبداية والنهاية ١١: ٣٥٥ وشذرات الذهب ٣: ١٧٦ والأعلام ٦: ٢٢٧.

٢ ـ عبد الغافر[١] بن محمد بن عبد الغافر الفارسي النيسابوري، أبو الحسين. ولد سنة ٣٥٠ هـ وحدَّث عن الجُلودي بصحيح مسلم، وعن أبي سليمان الخطَّابي بغريب الحديث، له[٢].

قال حفيده الحافظ عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر: هو الشيخ الجَدُّ، الثقة، الأمين، الصالح. . .، سمع من الخطابي بسبب نزوله عندهم حين قدم نيسابور[٣]. وروى عدداً من كتبه ذكرها ابن خير في فهرسه[٤]. توفي سنة ٤٤٨ هـ عن ثمانٍ وتسعين سنة[٥].

٣ ـ أبو حامد الإسفراييني: أحمد بن محمد بن أحمد، شيخ الشافعية ببغداد. قال الخطيب: أقام ببغداد مشغولاً بالعلم حتى صار أَوْحَد وقته، وانتهت إليه الرئاسة، وعظم جاهه عند الملوك والعوام، سمعت من يذكر أنه كان يحضر درسه سبعمائة فقيه، وكان الناس يقولون: لو رآه الشافعي لَفَرِح به.

وقال النووي: تعليقة الشيخ أبي حامد في نحوٍ من خمسين مجلداً، ذكر فيها مذاهب العلماء، وبسَط أدلتها والجواب عنها.

وقال السبكي: حافظ المذهب وإمامه، جبل من جبال العلم منيع، وحَبْر من أحبار الأمة رفيع.

ولد سنة أربع وأربعين وثلاثمائة، وقدم بغداد وله عشرون سنة. قال الخطيب البغدادي: مات أبو حامد في شوّال، سنة ست وأربعمائة،

(١) في معجم الأدباء ووفيات الأعيان «عبد الغفار».
(٢) سير أعلام النبلاء ١٨: ٢٠.
(٣) سير أعلام النبلاء ١٨: ٢٠
(٤) فهرس ابن خير ٢٠١.
(٥) معجم الأدباء ١٠: ٢٦٨ ووفيات الأعيان ٢: ٢١٤ والعبر ٣: ٢١٦ وسير أعلام النبلاء ١٨: ١٩ وشذرات الذهب ٣: ٢٧٧.

وكان يوماً مشهوداً، ودُفِن في داره، ثم نقل بعد أربع سنين ودفن بباب حرب، رحمه الله(١).

٤ ـ أبو عمرو الرَّزْجاهي: محمد بن عبد الله بن أحمد البسطامي، المحدِّث، الأديب، الفقيه الشافعي، تصدَّر للإفتاء. والرَّزْجاهي نسبة إلى رزجاه قرية من قرى بسطام. مات سنة ٤٢٧ هـ وله ست وسبعون سنة(٢).

٥ ـ أبو ذَرّ الهَرَوي: عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الأنصاري الخراساني الهروي المالكي، المعروف بابن السماك. الحافظ المجوِّد، شيخ الحرم. كان ثقة، ضابطاً، ديناً، فاضلاً. مات بمكة سنة ٤٣٤ هـ(٣).

ـ ومن تلاميذه أيضاً: أبو عبيد أحمد بن محمدالهروي، اللغوي، صاحب كتاب «الغريبين»؛ وأبو مسعود الحسين بن محمد الكرابيسي؛ وأبو نصر محمد بن أحمد البلخي الغزنوي؛ وعلي بن الحسن السّجزي الفقيه؛ ومحمد بن علي بن عبد الملك الفارسي الفسوي؛ وأبو القاسم عبد الوهاب بن أبي سهل الخطَّابي؛ وطائفة سواهم من أفاضل العلماء(٤).

* * *

(١) تاريخ بغداد ٤: ٣٦٨ والأنساب ١: ٢٣٧ والمنتظم ٧: ٢٧٧ وتهذيب الأسماء واللغات ٢: ٢٠٨ وطبقات السبكي ٤: ٦١ وطبقات الإسنوي ١: ٥٧ والبداية والنهاية ١٢: ٢ وشذرات الذهب ٣: ١٧٨.

(٢) تاريخ جرجان ٤١٩ واللباب ٢: ٢٣ وطبقات السبكي ٤: ١٥١ وسير أعلام النبلاء ١٧: ٥٠٤ وشذرات الذهب ٣: ٢٣٠.

(٣) تاريخ بغداد ١١: ١٤١ وتذكرة الحفاظ ٣: ١١٠٣ وسير أعلام النبلاء ١٧: ٥٥٤ والبداية والنهاية ١٢: ٥٠ وشذرات الذهب ٣: ٢٥٤.

(٤) انظر معجم الأدباء ١٠: ٢٦٨ وسير أعلام النبلاء ١٧: ٢٤.

منزلته العلمية وسيرته:

كانت لأبي سليمان الخطابي مكانة في العلم كبيرة، أثنى عليه معاصروه، ومدحه الشعراء ورثوه وأشادوا بفضله.

ذكره الثعالبي في يتيمة الدهر[1]، وكان صديقاً له، فقال: كان يشبه في عصرنا أبا عبيد القاسم بن سلام في عصره؛ علماً، وأدباً، وزهداً، وورعاً، وتدريساً، وتأليفاً، إلا أنَّه كان يقول شعراً حسناً، وكان أبو عبيد مفحماً[2].

وقال السمعاني: إمام فاضل، كبير الشأن، جليل القدر، صاحب التصانيف الحسنة. وذكره الحاكم أبو عبد الله في التاريخ، فقال: الفقيه، الأديب، البُستي؛ أبو سليمان الخطَّابي، أقام عندنا بنيسابور سنين، وحدَّث بها، وكثرت الفوائد من علومه[3].

وقال ابن الجوزي: سمع الكثير وصنَّف التصانيف، وله فهم مليح، وعلم غزير، ومعرفة باللغة والمعاني والفقه، وله أشعار[4].

وفي معجم الأدباء: قال السمعاني: كان الخطابي حُجَّة صدوقاً، وكان يتجر في ملكه الحَلَال، ويُنفق على الصلحاء من إخوانه[5].

وقال ياقوت أيضاً: كان محدِّثاً، فقيهاً، أديباً، شاعراً، لغوياً[6].

وقال: كان الخطّابي من الأئمة الأعيان[7].

---

(١) يتيمة الدهر ٤: ٣١٠.

(٢) المُفْحَم: من لا يقدر أن يقول شعراً.

(٣) الأنساب للسمعاني ٥: ١٤٥.

(٤) المنتظم ٦: ٣٩٧، وانظر البداية والنهاية ١١: ٢٣٦.

(٥) معجم الأدباء ٤: ٢٥٠.

(٦) معجم الأدباء ١٠: ٢٦٨.

(٧) معجم البلدان: بُسْت.

وقال ابن خلكان: كان فقيهاً، أديباً، محدّثاً[١].

وأشاد به أبو طاهر السِّلفي من علماء القرن السادس، وكان قد شرح له مقدمة كتابه «معالم السنن»، ونقل ذلك الذهبي، فقال: أخبرنا أبو طاهر السِّلفي، قال: وأما أبو سليمان الشارح لكتاب أبي داود، فإذا وقف مُنصفٌ على مصنَّفاته، واطَّلع على بديع تصرفاته في مؤلَّفاته، تحقَّق إمامَته وديانَته فيما يُورده وأمانَته[٢]. وقال في التذكرة: كان ثقة متثبتاً، من أوعية العلم[٣].

وقال السبكي: كان إماماً في الفقه والحديث واللغة، وذكره الإمام أبو المظفَّر السمعاني في كتاب «القواطع في أصول الفقه» عند الكلام على العِلَّة، والسَّبب، والشرط، وقال: قد كان من العلم بمكان عظيم، وهو إمام من أئمة السنّة، صالح للاقتداء به والإصدار عنه[٤].

وقال ابن العماد: كان أحد أوعية العلم في زمانه، حافظاً، فقيهاً، مبرزاً على أقرانه[٥].

فقد أجمع من ترجم له على إمامته وفضله وتقدمه، وعلى تدينه وورعه وزهده، فهو لا يأكل إلا من كسب يده، يتجر بماله الحلال، وينفق على الصلحاء من إخوانه. وهو من كبار أئمة الشافعية، ومن أوعية العلم، ثقة، ثبتاً، حجة، صدوقاً. ويكفيه من الفضل أن يقارن بأبي عبيد القاسم بن سلام في عصره، علماً، وأدباً، وزهداً، وورعاً، وتدريساً، وتأليفاً، بل فاقه أنه كان يقول الشعر ولم يكن كذلك أبو عبيد.

---

(١) وفيات الأعيان ٢: ٢١٤.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٧: ٢٤ - ٢٥.

(٣) تذكرة الحفاظ ٣: ١٠١٩.

(٤) طبقات الشافعية للسبكي ٣: ٢٨٣.

(٥) شذرات الذهب ٣: ١٢٧.

فالخطَّابي ـ رحمه الله ـ حجة وإمام في الحديث والفقه واللغة، جمع بين الحديث والفقه، ومدَّ في تحقيق العلم باعاً مديداً، وأحكم من معانيه، وعوَّل على رأيه من جاء بعده ممن ألفوا في غريب الحديث وشرحه، وتردد اسمه في مصنفاتهم.

وخير ما نختم به الحديث عن مكانته أبيات قالها أبو طاهر السِّلفي سنة خمسين وخمسمائة، عبَّر فيها عن شغفه بتآليفه ورغبته بتحصيل تصانيفه، قال[1]:

ظَنُّ هـذا الخطَّاءِ في الخـطَّابي	شيــخ أهــلِ العلومِ والآدابِ
مَنْ على كُتْبِهِ اعتمادُ ذَوي الفَضْـ	ـلِ ومَنْ قولُهُ كَفَصْلِ الخِطابِ
أن يَحُوزَ الفِرْدَوْسَ إذ أَتْعَبَ النَّفْـ	ـسَ لذي العَرْشِ غايةَ الإتعابِ
وتعنَّى في الأَخْذِ جدّاً وفي التَّصْـ	ـنيفِ من بعدِ رَغْبَةٍ في الثَّوابِ
نضَّـرَ اللَّهُ وَجْـهَـهُ من إمـامٍ	ألـمعِيٍّ أَتـى بكُـلِّ صَـوَابِ
ولَعَمْري قد فَازَ بالـرُّوحِ والرَّيْـ	ـحانِ من غيرِ شُبْهَـةٍ وارتيـابِ
هو قد كـان شمسَ متَّبِعِي الشَّرْ	عِ على الـزَّائفين سوطَ عـذابِ

* * *

مؤلفاته:

ترك الخطابي ـ رحمه الله ـ عدداً من المؤلفات وصفت بأنها كثيرة حسنة، يغلب عليها الحديث والفقه. قال أبو طاهر السِّلفي[2]:

«وأما أبو سليمان الشارح لكتاب أبي داود، فإذا وقف مُنصف على مصنَّفاته، واطلع على بديع تصرُّفاته في مؤلفاته، تحقَّقَ إمامته وديانته فيما يورده وأمانته، وكان قد رحل في الحديث وقراءة العلوم، وطوَّف،

(١) معجم الأدباء ٤: ٢٥٦.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٧: ٢٤.

ثم أَلَّف في فنون من العلم وصنَّف، وفي شيوخه كثرة، وكذلك في تصانيفه، منها: (شرح السُّنَن) الذي عوَّلنا على الشروع في إملائه وإلقائه؛ وكتابه في (غريب الحديث) ذكر فيه ما لم يذكره أبو عبيد، ولا ابن قتيبة في كتابيهما؛ وهو كتاب ممتع مفيد، ومحصِّلُهُ بِنيَّةٍ موفَّقٌ سعيد، ناولنيه القاضي أبو المحاسن بالرَّي، وشيخه فيه عبد الغافر الفارسي يرويه عن أبي سليمان، ولم يقع لي من تواليفه سوى هذين الكتابين مناولةً[1] لا سماعاً عند اجتماعي بأبي المحاسن؛ لعارضةٍ قد برَّحت بي، وبلغت مني، لولاها لما توانيت في سماعهما. وقد روى لنا الرئيس أبو عبد الله الثقفي كتاب (العزلة)، عن أبي عمرو الرَّزجاهي، عنه، وأنا أشك هل سمعته كاملاً أو بعضه. . . . وحدَّث عنه أبو عبيد الهروي في كتاب (الغريبين). . . ».

وأضاف الذهبي: وله: «شرح الأسماء الحسنى» وكتاب «الغنية عن الكلام وأهله» وغير ذلك.

ونورد فيما يلي ما وقع لنا من مصنفاته وأماكن وجودها، مع تحليل لمضمون بعضٍ منها:

١ ـ معالم السُّنَن في تفسير كتاب السنن لأبي داود السجستاني[2].

قال الخطابي في مقدمته مخاطباً تلاميذه، مبيناً منزلة كتاب

---

(١) المناولة: ولها صور؛ كأن يدفع الشيخ إلى الطالب كتاباً من سماعه ويقول: اروِ هذا عني، أو يملكه إياه، أو يعيره لينسخه ثم يعيده إليه؛ أو يأتيه الطالب بكتاب أو جزء من حديثه فيعرضه عليه فيتأمله الشيخ ثم يقول: اروِ عني هذا، ويسمى هذا: عرض المناولة. (انظر علوم الحديث لابن الصلاح ص ١٤٦ وما بعدها).

(٢) طبع في حلب بين سنتي ١٩٢٢ ـ ١٩٣٤ م بتحقيق محمد راغب الطباخ، وطبع في القاهرة بتحقيق أحمد محمد شاكر، وحامد الفقي. وسماه الفيومي في آخر كتابه المصباح المنير «معالم التنزيل».

ومنه نسخ خطية عديدة ذكرت في بروكلمان ٣: ٢١٢ (الترجمة العربية) وتاريخ=

السُّنَن: «اعلموا ـ رحمكم الله ـ أن كتاب السُّنن لأبي داود كتاب شريف، لم يصنف في علم الحديث كتاب مثله، وقد رزق القبول من الناس كافة، فصار حَكَماً بين فِرَق العلماء وطبقات الفقهاء على اختلاف مذاهبهم؛ فلِكُلٍّ فيه وِرْدٌ ومنه شِرْبٌ، وعليه مُعوَّلُ أهل العراق، وأهل مصر، وبلاد المغرب، وكثير من مدن أقطار الأرض».

ثم ذكر رأي شيخه ابن الأعرابي في الكتاب، فقال: «سمعت ابن الأعرابي يقول، ونحن نسمع منه هذا الكتاب، فأشار إلى النسخة وهي بين يديه: لو أن رجلاً لم يكن عنده من العلم إلا المصحف الذي فيه كتاب الله، ثم هذا الكتاب، لم يحتج معهما إلى شيءٍ من العلم بَتَّةً»(١).

وبيَّن المصنف عمله في السُّنن، فقال: «وقد انتهيت من مسألتكم بقدر ما تيسَّرتُ له، ورجوت أن يكون الفقيه إذا ما نظر إلى ما أثبتُّه في هذا الكتاب من معاني الحديث، ونهجته من طرق الفقه المتشعبة عنه، دعاه ذلك إلى طلب الحديث وتتبّع علمه، وإذا تأمَّله صاحب الحديث رغَّبَه في الفقه وتعلُّمَه».

وقال: «وقد كتبت لكم فيما أمليت من تفسيرها وأوضحته من وجوهها ومعانيها، وذكر أقاويل العلماء واختلافهم فيها، علماً جمّاً، فكونوا به سعداء، ونفعنا الله وإياكم برحمته».

= التراث العربي لسزكين ١: ٥١٨. وانظر فهرسة ابن خير ٢٠١ وكشف الظنون ١٠٠٥ ومصادر ترجمة المؤلف.

(١) ومن ثم صرح الإمام الغزالي بأنها تكفي المجتهد في أحاديث الأحكام، وتبعه أئمة على ذلك. قلت: وهذا مبني على الغالب، وإلا ففي غير سنن أبي داود أحاديث كثيرة صحيحة في الأحكام لا بدّ للمجتهد من النظر فيها، والرجوع إليها.
(انظر سير أعلام النبلاء ١٧: ٢٦ حاشية ٥).

٢ - إعلام السُّنن في شرح صحيح البخاري[١].

ويسمى أيضاً «شرح البخاري» و «تفسير أحاديث الجامع الصحيح للبخاري» و «تفسير المشكل من أحاديث البخاري».

وصفه صاحب الكشف بأنه «شرح لطيف فيه نكت لطيفة ولطائف شريفة».

وبيَّن الخطابي في مقدمته الفرق بين سنن أبي داود وكتاب البخاري، فقال: «كان معظم القصد من أبي داود في تصنيف كتابه ذِكْرَ السُّنن، والأحاديث الفقهية؛ وغرض صاحب هذا الكتاب إنما هو ذكر ما صح عن رسول الله ﷺ من حديث في جليلٍ من العلم أو دقيق. . . ».

وعدد المؤلف بعد ذلك ما اشتمل عليه صحيح البخاري من أبواب، ثم بين السبب الذي من أجله ألف كتابه، فقال:

«إني أفكَرْتُ[٢] بعدُ فيما عاد إليه أمر الزمان في وقتنا من نضوب العلم وظهور الجهل، وما عليه أهل البِدَع، وانحراف كثير من أنشاء الزمان إلى مذاهبهم، وإعراضهم عن الكتاب والسُّنَّة، وتركهم البحث عن معانيها ولطائف علومها. . . ووجدتهم قد تعلقوا بأحاديث من متشابه العلم قد رواها جامع هذا الكتاب، وصححها من طريق السند والنقل، لا يكاد يعرف عوامُّ رواة الحديث وجوهها ومعانيها، إنَّما يعرف تأويلها الخواصُّ منهم، الراسخون في العلم، المتحققون به. . . ».

ثم قال: «ورأيت في حقِّ الدين، وأجر النصيحة لجماعة

---

(١) منه نسخة في الرباط (١٨٠ أوقاف)، ونسخ أخرى ذكرها بروكلمان في تاريخه ٣: ٢١٢ (الترجمة العربية)، وسزكين في تاريخ التراث العربي ١: ٥١٨. وانظر فهرسة ابن خير ٢٠١ وكشف الظنون ٥٤٥ ومصادر ترجمة المؤلف.

(٢) فَكَرَ في الشيء وأَفْكَرَ فيه وتفكَّرَ، بمعنىً.

المسلمين ألَّا أمنعَ ميسور ما أسيغ له من تفسير المشكل من أحاديث هذا الكتاب وفَتْق معانيها حسب ما تبلغه معرفتي، ويصل إليه فهمي؛ ليكون ذلك نُصرةً لأهل الحقِّ، وحُجَّةً على أهل الباطل والزّيغ، فيبقى ذخيرة لغابر الزمان، ويخلد ذكرها ما اختلف المَلَوان[1]، والله الموفق لذلك والمعين عليه».

٣ ـ غريب الحديث[2].

ذكر فيه ما فات أبا عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) وابن قتيبة (ت ٢٦٦ هـ) في كتابيهما. وقد طبع في ثلاثة أجزاء بمركز البحث العلمي في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، بتحقيق الأستاذ عبد الكريم إبراهيم العزباوي.

وصفه ياقوت، فقال: «في غاية الحسن والبلاغة، ذكر فيه ما لم يذكره أبو عبيد، ولا ابن قتيبة في كتابيهما، وهو كتاب ممتع مفيد»[3].

وقد قدَّم الخطَّابي لكتابه بمقدمة وافية، بيَّن فيها فضل أئمة القرون الثلاثة الأولى على علم السنّة، وأنه لمَّا ذهب هؤلاء الأعلام، وتناقل الحديثَ العجمُ، وكثرت الرواة، وفشا اللحن، ومرنت عليه الألسن، رأى أولو البصائر والعقول أن يعنوا بجمع الغريب من ألفاظه، وتفسير المشكل من معانيه، وتقويم الأَوَد من زيغ ناقليه، وأن يدونوها في كتب تبقى على الأبد، لتكون لمن بعدهم قدوةً وإماماً، ومن الضلال عصمة وأماناً.

---

(١) المَلَوان: الليل والنهار، أو طرفا النهار.

(٢) ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ١٢٠٥، ومنه نسخ عديدة ذكرها بروكلمان ٣: ٢١٢ (الترجمة العربية) وسزكين في تاريخ التراث العربي ١: ٥١٨، وانظر مصادر ترجمة المؤلف.

(٣) معجم الأدباء ١٠: ٢٦٢.

وذكر أن أوَّل من سبق إلى ذلك أبو عبيد وابن قتيبة، وبقيت بعدهما بقية من الأحاديث تولّى الخطابي جمعها وتفسيرها، متيمماً قصدهما، ومتبعاً نهجهما بعد أن مضت عليه مدة من الزمان، وهو يحسب أنه لم يبق لأحد في الحديث مقال. . .

٤ ـ شأن الدعاء.

ويسمى أيضاً «شرح أسماء الله الحسنى»، ينقل عنه البيهقي في كتاب الأسماء والصفات. وفي كشف الظنون ص ١٠٣٢ «شرح الأسماء الحسنى». وورد عند ياقوت وغيره باسم «تفسير أسامي الربّ عزَّ وجلَّ» و «دعوات ابن خزيمة» و «تفسير الأدعية المأثورة»[١].

وقد طبع الكتاب بدار المأمون للتراث في دمشق تحت عنوان «شأن الدعاء»، بتحقيق الأخ الصديق أحمد الدقّاق.

٥ ـ العزلة[٢]: (أو الاعتصام بالعزلة)

وهو كتابنا الذي نقدمه. وسيرد الحديث عنه مفصلاً في حينه.

٦ ـ بيان إعجاز القرآن[٣]:

يقرر الخطابي في هذه الرسالة أن الناس قديماً وحديثاً ذهبوا في موضوع إعجاز القرآن كل مذهب من القول، ولم يصدروا عن رِيٍّ.

---

(١) انظر مقدمة شأن الدعاء ص ٤٥ وبروكلمان ٣: ٢١٢ (الترجمة العربية) وتاريخ التراث العربي لسزكين ١: ٥١٨ وفهرسة ابن خير ٢٠١ ومصادر ترجمة المؤلف.

(٢) طبع لأول مرة في القاهرة سنة ١٣٥٢ هـ، وذكره بروكلمان ٣: ٢١٢ (الترجمة العربية) وسزكين في تاريخ التراث العربي ١: ٥١٨. وانظر مصادر ترجمة المؤلف.

(٣) طبع في القاهرة سنة ١٩٥٣ بتحقيق عبد الله الصديق، ثم طبع مع رسالتين أخريين في إعجاز القرآن بدار المعارف المصرية، تحقيق محمد خلف الله أحمد، والدكتور محمد زغلول سلام.

وانظر بروكلمان ٣: ٢١٢ (الترجمة العربية).

ويناقش فكرة الصرفة، وفكرة تضمن القرآن للأخبار المستقبلة، ولا يرتضيها شرحاً لأسرار الإعجاز، ثم ينتقل إلى موضوع البلاغة، ويعيب على القائلين بها اعتمادهم على التقليد وعدم تحقيقهم، وقصور كلامهم عن الإقناع. ويعالج هذا الموضوع على طريقته فيذكر الأقسام الثلاثة للكلام المحمود، ويقرر أن بلاغات القرآن قد أخذت من كل قسم من هذه حصة، ومن كل نوع شعبة...

ومن الطريف في رسالة الخطابي ما أورده من تحليلٍ لبعض النصوص، تحليلاً فنياً جميلاً، كشف فيه عن ذوق وبصر بمواطن الجمال في الكلام، وأثبت في آخر رسالته وجهاً آخر للإعجاز ذهب عنه الناس - كما يقول - وذلك صنيع القرآن بالقلوب، وتأثيره في النفوس. ويلاحظ أن هذه هي الفكرة التي دار حولها بحث عبد القاهر الجرجاني في أسرار البلاغة؛ إذ اعتبر مصدر البلاغة في الكلام تأثيره في النفوس[1].

٧ - إصلاح خطأ المحدثين[2]:

أورد فيه الخطابي قرابة مائة وثلاثين حديثاً يرويها أكثر المحدثين ملحونة أو محرفة، أصلحها وبين الصواب فيها.

وقد ورد الكتاب في كشف الظنون ١٠٨ باسم «إصلاح غلط المحدثين». وسماه الزبيدي في تاج العروس ١: ٤٠٣ «إصلاح الألفاظ»، قال: وهو من الكتب التي اعتمدت عليها في تأليف التاج.

---

(١) انظر مقدمة «ثلاث رسائل في إعجاز القرآن» ص ١٣ - ١٤.

(٢) طبع في القاهرة سنة ١٩٣٦ م، نشره عزت العطّار، وطبع أخيراً أكثر من مرة.

ومنه نسخ عديدة ذكرها بروكلمان ٣: ٢١٢ (الترجمة العربية) وسزكين في تاريخ التراث العربي ١: ٥١٨ واسمه فيهما «إصلاح غلط المحدثين». وانظر معجم الأدباء ١٠: ٢٦٩ ووفيات الأعيان ٢: ٢١٤ وشذرات الذهب ٣: ١٢٧.

٨ ـ **الغُنْية عن الكلام وأهله**[١]:

وهو في العقيدة، نقل عنه ابن تيميّة في مجموعة الرسائل الكبرى في معرض حديثه عن الصفات في العقيدة الحموية الكبرى، قال: وكذلك كلام الناقلين لمذهبهم مثل ما ذكره أبو سليمان الخطابي في رسالته المشهورة في «الغنية عن الكلام وأهله»، قال: فأما ما سألت عنه من الصفات، وما جاء منها في الكتاب والسنّة، فإن مذهب السَّلف إثباتها، وإجراؤها على ظاهرها، ونفي الكيفية والتشبيه عنها...

٩ ـ **كتاب الشِّجَاج**[٢]

١٠ ـ **كتاب الجهاد**[٣]

١١ ـ **كتاب العروس**[٤]

١٢ ـ **علم الحديث**[٥]

١٣ ـ **شعار الدين في أصول الدين**[٦]

١٤ ـ **الرسالة الناصحة، فيما يعتقد في الصفات**[٦]

١٥ ـ **تفسير اللغة التي في مختصر المزني**

ورد هذا الكتاب في طبقات الشافعية للسبكي (٣: ٢٩٠) في

---

(١) ذكر هذه الرسالة ابن تيميّة في مجموعة الرسائل الكبرى ١: ٤٣٩ وأشار إلى ذلك بروكلمان ٣: ٢١٢. وانظر طبقات السبكي ٣: ٢٨٣ والنجوم الزاهرة ٤: ١٩٩ والعبر ٣: ٣٩ ومخطوط في التراجم في المكتبة الظاهرية رقم (٤٦١٦) الورقة ١٠/أ.

(٢) ورد في معجم الأدباء ١٠: ٢٦٩ وإنباه الرواة ١: ١٢٥ ووفيات الأعيان ٢: ٢١٤، وفي هذا الأخير «الشحاح».

(٣) ورد في مقدمة كتاب «غريب الحديث للخطابي» ١: ٢٠، وذكر أنه مخطوط.

(٤) معجم الأدباء ٤: ٢٥٣.

(٥) بروكلمان ٣: ٢١٢ (الترجمة العربية) وسزكين في تاريخ التراث العربي ١: ٥١٨.

(٦) الرسالتان الأخيرتان ذكرهما برهان الدين الداغستاني في ترجمته لأبي سليمان الخطابي (مجلة الرسالة ٣: ٨٦٥).

معرض ذكره الفوائد والغرائب والأشعار عن الخطابي، قال:

قال الخطابي في كتابه «تفسير اللغة التي في مختصر المزني» في باب «الشُّفْعة»: بلغني عن إبراهيم بن السَّرِيّ الزجَّاج النحوي أنه كان يذهب إلى أن الصاد تُبدل سيناً، مع الحروف كلها؛ لقرب مخرجهما. فحضر يوماً عند علي بن عيسى فتذاكرا هذه المسألة واختلفا فيها، وثبت الزَّجَّاج على مقالته، فلم يأتِ على ذلك إلا قليل من المدَّة، فاحتاج الزَّجَّاج إلى كتاب إلى بعض العمال في العناية، فجاء إلى علي بن عيسى الوزير ينتجز الكتاب، فلما كتب علي بن عيسى صَدْرَ الكتاب وانتهى إلى ذكره، كتب: وإبراهيم بن السّريّ من أخسِّ إخواني. فقال الرجل: أيها الوزير، اللَّهَ، اللَّهَ، في أمري! فقال له علي بن عيسى: إنما أردت «أخص» وهذه لغتك، فأنت أبصر، فإن رجعتَ وإلا أنفذْتُ الكتابَ بما فيه، فقال: قد رجعت أيُّها الوزير، فأصلح الحرفَ وطوَى الكتاب.

فهذا يفيد أنَّ للخطابي كتاباً شرح فيه غريب اللغة التي في مختصر المزني، ولم يذكر أحد ممن ترجموا له هذا الكتاب.

* * *

شعره:

الخطَّابيُّ أديبٌ ذو حظ وافر في الصناعتين؛ النثر والشعر. وأمَّا نثره فتجده في مؤلفاته وكتاباته، وفي مقدمتها كتاب «العُزلة» و«البيان في إعجاز القرآن». وهو متمكن في أسلوبه ولغته، تلمح عنده قوة وسلاسة أسلوب الجاحظ وأبي حيان التوحيدي، يعرض فكرته بعمق ومنطق ودقة، دون ميل إلى الفلسفة أو الإطناب المخل.

أما شعره فهو وجه آخر لأدبه، عبَّر من خلاله عن نزعته في الزهد

والعزلة والبعد عن الناس، وحب التفرد وإيثار السلامة. وكشف عن موهبة شعرية يؤكدها الصدق والإخلاص في التعبير، والسلاسة والعذوبة في الألفاظ.

وإليك أكثر ما ورد من شعره في يتيمة الدهر ومعجم الأدباء وغيرهما من المصادر:

ذكر ياقوت[1] أنَّ أبا سعد الخليل بن محمد الخطيب، قال: كنت مع أبي سليمان الخطَّابي، فرأى طائراً على شجرةٍ، فوقف ساعة يستمع، ثم أنشأ يقول:

يا ليتني كُنْتُ ذاكَ الطائرَ الغَردا من البَريَّةِ منحازاً ومُنْفَردا
في غُصْنِ بانٍ دهَتْهُ الرِّيحُ تخفِضُهُ طوراً وترفَعُهُ أفنانُهُ صُعُدا
خِلْوَ الهُمُوم سِوَى حَبّ تلمَّسهُ في التُّرْبِ أو نُغْبَةٍ[2] يروي بها كبدا
ما إنْ يُؤرِّقُهُ فِكْرٌ لِرزْقِ غدٍ ولا عليه حسابٌ في المَعادِ غدا
طُوباكَ مِن طائرٍ طوباكَ وَيْحَكَ طِبْ مَنْ كان مِثلكَ في الدُّنيا فقد سَعِدا

* * *

وله في معاملة الناس بالحسنى وحب الخير لهم:

ارْضَ للناسِ جميعاً مثلَ ما تَرْضَى لِنَفْسِكْ
إنَّما النَّاسُ جميعاً كلُّهم أبناءُ جِنْسِكْ
غيرُ عَدْلٍ أن تَوَخَّى وَحْشَةَ الناس بِأُنْسِكْ
فلهم نَفْسٌ كنفسِكْ ولهم حِسٌّ كحِسِّكْ

* * *

(١) معجم الأدباء ٤ : ٢٥٥.

(٢) النُّغْبَة: ما يرتشف من الماء. ويروى «نُغْبة» وهي الجرعة.

وقال في مداراة الناس ومصانعتهم:

ما دُمْتَ حيّاً فَدَارِ النَّاسَ كُلَّهُمُ فـإنَّما أنتَ في دارِ المُـدَارَاةِ
مَنْ يَـدْرِ دَارَى، ومن لم يَدْرِ سـوف يُرَى
عـمَّـا قـليـلٍ نـديـمـاً لـلنَّـدامـاتِ

* * *

وقال في العفو والتسامح مع الآخرين:

تسامَحْ ولا تَسْتَوفِ حَقَّكَ كُلَّهُ وأَبْقِ فلم يَسْتَقْصِ قطُّ كـريمُ
ولا تَغْلُ في شيءٍ من الأمر واقتصِدْ كـلا طَرَفَيْ قَصْدِ الأمـورِ ذَميمُ

* * *

وله في الشكوى من إيذاء الناس بعضهم بعضاً:

شـرُّ الـسِّـبـاعِ الـعَـوَادي دُونَـهُ وَزَرُ
والـنَّـاسُ شـرُّهـم مـا دُونَـهُ وَزَرُ
كـم مَـعْشَـرٍ سَلِمُـوا لـم يُؤذِهِـمْ سَبُـعٌ
ومـا تَـرَى بَـشَـراً لـم يـؤذِهِ بَـشَـرُ

* * *

ويشعر الخطابي بالغربة في بلده وبين أهله، ولا يجد من يشاكله، فيقول:

وما غربة الإنسان في شِقَّةِ النَّوَى ولكنَّها واللَّه في عَدَمِ الشَّكْلِ
وإني غـريبٌ بين بُسْتَ وأهلِهـا وإن كان فيها أُسْرَتي وبها أهلي

وقد أخذ هذا المعنى عمر بن أبي عمر السجزي، فقال[1]:

---

(١) انظر يتيمة الدهر ٤: ٣٣٤ ومعجم الأدباء ٤: ٢٥٧، وفي هذا الأخير نسب البيتان إلى الخطّابي خطأً.

وليس اغْتِرابي في سِجستان أنَّني عَدِمْتُ بها الإخوانَ والدَّارَ والأهلا
ولكنَّني مـالي بها من مُشـاكِـلٍ وإنَّ الغريبَ الفَرْدَ مَنْ يَعْدَمُ الشَّكْلا

* * *

وله في تهوين أمر الدنيا وعدم الاهتمام بها:

لعمـرك ما الحيـاةُ وإنْ حَرَصْنـا عليهـا غَيْـرُ ريـحٍ مستعـارَه
ومـا لـلرِّيـح دائمـةً هُبـوبٌ ولـكـن تـارةً تـجـري وتـارَه

* * *

وله في انتهاز الفرص قبل فوتها:

تَغَنَّمْ سُكـونَ الحـادثـاتِ فـإنَّهـا وإن سكَنَتْ عمَّـا قليـلٍ تحـرَّكُ
وبـادِرْ بـأيـامِ السَّـلامـة إنَّهـا رُهُونٌ، وهل للرهن عندك مَتْرَكُ

* * *

وقال:

قُلْ للذي ظَلَّ يَلْحاني ويعذُلُني لنـائـلٍ فـاتَـه والخيـرُ مـأمـولُ
لا تطلب السّمن إلاَّ عند ذي سِمَنٍ نـالَ الولايـةَ فالمعـزولُ مَهْـزُولُ

* * *

وفي الرد على من لامه اعتزال الناس وطول احتجابه، قال:

وقائلٍ ورأى من حَجْبَتِي عَجَباً كم ذا التَّواري وأنتَ الدَّهْرَ محجوبُ؟
فقُلْتُ حَلَّتْ نجومُ العمرِ مُنذ بَدا نَجْمُ المَشِيبِ وَدَيْنُ اللَّهِ مَطْلُوبُ
فَلُذْتُ مِن وَجَلٍ بالاستتار عن الـ أبْصَارِ، إنَّ غريم الموتِ مَرْهُوبُ[1]

* * *

(١) في يتيمة الدهر «من رَجُلٍ» و «مَرْغُوبُ».

وقال[1]:

تَحَرَّزْ مِن الجهَّال جهدَكَ إنَّهم ... وإن لبسوا ثوب المودَّةِ أعداءُ
وإن كان فيهم مَن يسرُّك قربُه ... فكلٌّ لذيذ الطعم أو جُلُّه داءُ

* * *

وأورد له جعفر بن شمس الخلافة في كتاب الأدب هذين البيتين:

وإني لأعرفُ كيف الحقوق ... وكيف يبرُّ الصديقَ الصديقُ
ورحبُ فؤاد الفتى محنةٌ ... عليه إذا كان في الحال ضِيقُ

* * *

وله يذكر أثر العزلة في نفسه:

إذا خلوتُ صفا ذهني وعارضني ... خواطر كطراز البَرْق في الظُّلَمِ
وإن تَوَالى صِياح الناعقين على ... أُذْني عرتني منه لكنة العجمِ

* * *

ويصف ميله إلى البعد عن الناس وقلَّة مخالطتهم:

قد أُولع النَّاسُ بالتَّلاقي ... والمرءُ صَبٌّ إلى هواهُ
وإنَّما منهم صديقي ... مَنْ لا يراني ولا أراهُ

* * *

وقال:

قد جاء طوفان البلاء ولا أَرى ... في الأرض وَيْحِي للنَّجاة سفينَهْ
فاصعد إلى وَزَرِ السَّماءِ فإن يكن ... يُعييكَ فابْكِ لنفسك المسكينَهْ

* * *

(١) مجلة الرسالة ٣: ٨٦٦.

وله:

سلكت عِقاباً في طريقي كأنَّها صَياصي[1] ديوكٍ أو أكفُّ عُقابِ
وما ذاك إلَّا أنَّ ذنباً أحاط بي فكان عِقابي في سلوك عِقابِ

* * *

وله في عزة النفس والتَّعفُّفِ:

دعني فلن أخلق ديباجتي ولست أبدي للورى حاجتي
منزلتي يحفظها منزلي ديباجتي تكرم ديباجتي

* * *

وكانت بينه وبين أبي منصور الثعالبي صداقة، فقال الخطابي فيه:

قلبيَ رهينٌ بنيسابورَ عند أخٍ ما مِثْلُهُ حين تستقري البلاد أخُ
له صحائفُ أخلاقٍ مهذّبةٍ منها التُّقى والنُّهى والحِلْمُ يُنْتَسَخُ

وفاته ورثاؤه:

اتفقت أكثر المصادر على أنَّ وفاة الخطَّابي كانت ببلدِهِ بُسْت سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة، وبعضها جعل وفاته سنة ست وثمانين وثلاثمائة، والأول ـ كما قال ياقوت ـ أصحُّ. وقد مال في أخريات حياته إلى الصوفية ودخل خلوتهم، ومات في رباطٍ ببُسْت على شاطىء نهر هِنْدَ مَنْد[2]، رحمه الله.

* * *

(١) الصِّيصِيَّة: مخلب الديك الذي في ساقه، وجمعها صياص.

(٢) هِنْدَمَنْد: اسم لنهر مدينة سجستان، وهو أعظم أنهارها، مخرجه من ظهر الغور، وينتهي إلى بُسْت، ويمتد منها إلى ناحية سجستان. (ياقوت).

وربطت الصداقة بينه وبين تلميذه أبي منصور الثعالبي، الذي كان قد قال فيه أثناء حياته[1]:

أبا سليمانَ سِرْ في الأرض أو أَقِم فأَنْتَ عندي دَنَا مثواك أو شَطَنا
ما أنت غيري فأخشى أن يفارقني فَدَيْتُ رُوحَكَ بَلْ رُوحي، فأنت أنا

وحين توفي رثاه الثعالبي، فقال:

انظُرُوا كيف تخمدُ الأنوارُ انظروا كيفَ تسقُطُ الأقمارُ
انظُرُوا هكذا تَزولُ الرَّواسي هكذا في الثَّرى تَغيضُ البحارُ

وهما بيتان مؤثران رغم ما فيهما من مبالغة، تعبران عن مكانة الخطابي وإعجاب الثعالبي به.

ورثاه أيضاً أبو بكر عبد الله بن إبراهيم الحنبلي ببُسْت، فقال:

وقد كان حَمْداً كاسْمِهِ حَمِدَ الوَرَى شمائلَ فيها للثَّناءِ ممادحُ
خلائقُ ما فيها مَعَابٌ لِعَائبٍ إذا ذُكِرَتْ يوماً فَهُنَّ مَدَائِحُ
تغمَّدَهُ اللَّهُ الكريمُ بعَفْوِهِ ورحمتِهِ واللَّهُ عافٍ وصافِحُ
ولا زال رَيْحانُ الإلهِ ورُوحُهُ قِرى رُوحه ماحَنَّ في الأَيْكِ صادحُ[2]

* * *

(١) معجم الأدباء ٤: ٢٥٤ والخزانة ٢: ٢٨٢.
(٢) معجم الأدباء ٤: ٢٥١.

الكتـــاب

عنوانـه:

أجمعت المصـادر التي تـرجمت للمؤلف على تسميـة الكتـاب بـ «العزلة»، بينما جاء على الورقة الأولى من النسخة المعتمدة ـ وهي قديمة جداً ـ «الاعتصام بالعزلة» بإضافة لفظة «الاعتصام». والمرجح أن ذلك كان تصرفاً من الناسخ ولم يكن في الأصل. ويؤكده ما جاء في المقدمة؛ قال الخطابي: «فهمت قولك ـ أخي ـ ألهمك الله الصواب، وأراك المحاب، وما قد أذكرت به من أمر كتاب العزلة». وكذا عناوين أبواب الكتاب، مثل: «باب في حكاية ما احتج به من أنكر العزلة» و«باب ما جاء في العزلة» و«باب في ذكر أشياء تسهل على المرء العزلة» وغيرها.

وهذا كله رجح لدي تسمية الكتاب بـ «العزلة»، وبه قد اشتهر، ولم آخذ بما جاء في المخطوط المعتمد.

سبب التأليف:

ذكر المصنف ـ رحمه الله ـ أنه كان قد ابتدأ بتأليف الكتاب، ثم تركه، وقد اطلع عليه بعض إخوانه، فحثَّه على إتمامه، وأبدى بعض الملاحظات: بأن يحذف منه أطرافه وزوائده، ويلتقط جوامعه، وغير ذلك؛ قال المؤلف:

«فهمت قولك أخي... وما قد أذكرت به من أمر كتاب العزلة،

وبعثتني عليه من إتمامه بعد ابتدائه، والفراغ منه بعد إنشائه، وما شكوته من طول مآخذه، وخِفْتَه من الملال على الناظر فيه. وسألت أن ألتقط لك جوامعه، وأحذف أطرافه وزوائده، وأسدِّد بالقول فيه نحو الغرض لا أعدوه ولا أتجاوزه؛ ليكون أوجز في القول، وأسهل على الذكر».

ولكن السبب الحقيقي لتأليفه يكمن في حياة المؤلف ذاتها، وميله إلى العزلة والتفرد والبعد عن شرار الناس وآثامهم. وقد جعل من الكتاب تعبيراً ذاتياً عما يدور في صدره ويؤمن به، فهو الذي قد آلمه ما وجد عليه الناس من سوء الطوية، حتى إنه ليشعر بالغربة في بلده وبين أهله، فيقول:

وما غربة الإنسان في شقة النوى ... ولكنَّها واللَّهِ في عَدَمِ الشَّكْلِ
وإني غَريب بين بُسْتَ وأهلها ... وإن كان فيها أسرتي وبها أهلي

سمات الكتاب:

يقوم الكتاب على الدعوة إلى العزلة والإقلال من الصحاب ومخالطة الناس، والميل إلى التفرد. وعبر المؤلف عن ذلك بأسلوب منطقي يعتمد على البراهين والحجج وضرب الأمثلة، والإتيان بالشواهد والقصص، مع تقسيم الموضوع إلى أبواب محددة، تصب جميعها في باب العزلة.

وقد بدأ كتابه بباب في حكاية ما احتج به من أنكر العزلة، وساق في ذلك حججهم من آيات وأحاديث وآثار.

ثم يجيب عن ذلك، ويبين مراده من العزلة التي يقصدها، فيقول: «ولسنا نريد ـ رحمك الله ـ بهذه العزلة التي نختارها مفارقة الناس في الجماعات والجمعات، وترك حقوقهم في العبادات، وإفشاء السلام وردّ التحيّات، وما جرى مجراها من وظائف الحقوق الواجبة

لهم، ووضائع السنن والعادات المستحسنة فيما بينهم؛ فإنها مستثناة بشرائطها، جارية على سبلها، ما لم يَحُلْ دونها حائل شغل، ولا يمنع عنها مانع عذر؛ **إنما نريد بالعزلة تركَ فُضول الصحبة، ونبذَ الزيادة عنها، وحطَّ العلاوة التي لا حاجة بك إليها**».

وينتقل بعده ليذكر ما جاء في مدح العزلة من آيات وأحاديث وآثار، ويعرج على ذكر الفتنة وبيان من اعتزلها من الصحابة والتابعين. ويتبعه بباب فيه ذكر لأسباب تسهل على المرء العزلة، وأنها تحسم أوهام المتجنين، وفيها السلامة من التبذل لعوام الناس، وعون لمن أراد نظراً في علم.

ويؤدي به الحديث عن العزلة إلى ذكر ما ورد في خفة الظهر وقلة العيال والأهل، ويختمه بشعر كان يردده سفيان الثوري:

ما العيشُ إلا القفلُ والمفتاحُ
وغرفة تصفِّقها الرياحُ
لا صخبٌ فيها ولا صياحُ

ثم يذكر ما ورد من آثار وأشعار في ترك الاستكثار من الأصدقاء وما يستحب من قلة الالتقاء، وقد قال ابن الرومي:

عدوُّك من صديقك مستفاد فلا تستكثرن من الصّحاب
فإنَّ الداء أوَّل ما تراه يكون من الطعام أو الشراب

والحديث عن هجر الأصحاب يصل به إلى تخصيص كتاب جامع في ترك ما لا يعني، ورفض الاشتغال بما لا يجدي؛ ويبدأ ذلك بحديث رسول الله ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

ويعود ليتحدث عن الأصحاب، فيحذر من قرناء السوء، وينصح بحسن ارتياد الجليس والصاحب «فالمرء على دين خليله فلينظر المرء

من يخالل»؛ ويؤيد قوله بعدد من الآثار والأخبار والأشعار.

وينتقل بعدها إلى جملة أبواب تشتمل على وصف عوام الناس وبيان أحوالهم والتحذير من آفاتهم، وما جاء من فساد الزمان وذم أهله، وما يدخل في ذلك من كلام يرغب في العزلة وينهى عن الإكثار من الخلطة. وهنا يتحدث عن اختلاف طبقات الناس من حيث الأخلاق والمعاشرة، ويكشف عن سوء ظنه بهم؛ إذ هم شرٌّ من السباع الضَّواري. ثم يذكر أخلاق العامة وما فيهم من قلة الاستقامة، ويدعو إلى التحذير من عوام الناس والتحرز منهم بسوء الظن فيهم وقلة الثقة بهم وترك الاطمئنان إليهم.

ويخلص إلى تخصيص باب في فساد الزمان وأهله، فقد ذهب الصالحون الأول فالأول، وبقيت حثالة كحثالة الشعير، لا يقيم الله لهم وزناً. ويذكر مَن تمنى الموت وآثر المرض والعمى على لقاء الناس. ويعود إلى باب فيه ذكر ترك الاعتداد بعوام الناس وقلة الاكتراث بهم والتحاشي لهم، ويأتي لذلك بأخبار وأشعار، ويفسر معنى كلمة «الغوغاء».

وفي مقابل هذا يخصص باباً في فساد الخاصة وما جاء في علماء السوء وذكر آفاتهم. وهو من أمتع الأبواب؛ إذ يكشف عن نظرة الخطابي ـ رحمه الله ـ وهو العالم الجليل، إلى أولئك العلماء الجهّال، الضَّالين المضلِّين. فذكر أصحاب الحديث بالسوء والسخف، وضرب لذلك أمثلة توضح رأيه هذا، فهم في تتبعهم السماع والرواية تركوا التفقه بالدين، وقصروا في عباداتهم، وقاموا بحماقات تحزن وتسيىء إلى العلم الشريف الذي يحملونه.

ولا يكتفي الخطابي بمهاجمة أصحاب الحديث وإنما ينال القراء

أيضاً، فيعقد باباً في ذكر آفاتهم وكثرة مشاحناتهم واختلافهم، وشبَّههم في تناحرهم بالتيوس، وأسقط شهادة بعضهم على بعض.

ولا ينسى المؤلف المتصوفة، فيـذكر شيئاً من صنيعهم ويعرض لحماقة أحدهم في مجلس الإمام الشافعي رحمه الله.

وينتقل المؤلف بعدها إلى بيان فساد الأئمة وما جاء في الإقلال من صحبة السلاطين، ويأتي على ذلك بالأحاديث والآثار والأشعار، ويروي قول الحسن البصري «لا تجيئن أميراً وإن دعاك لتقرأ عنده سورة من القرآن، فإنك لا تخرج من عنده ألا شرّاً مما دخلت».

وأخيراً يختم كتابه بباب يصحح فيه ما يمكن أن يفهم أنه يدعو إلى العزلة المطلقة والبعد عن الناس وهجرهم، فيعلن فيه رأيه بصراحة واعتدال، في لزوم القصد في حالتي العزلة والخلطة، قال:

«قد انتهى منا الكلام في أمر العزلة إلى حيث شرطنا أن نبلغه، وأوردنا فيها من الأخبار ما خفنا أن نكون قد حَسَّنَّا معه الجفاء من حيث أردنا الاحتراز منه، وليس إلى هذا أجرينا، ولا إياه أردنا؛ فإنَّ الإغراق في كل شيء مذموم، وخير الأمور أوسطها، والحسنة بين السيئتين».

وينشد شعراً يعبر فيه عن اعتداله، فيقول:

تَسَامَحْ ولا تستوفِ حقَّكَ كُلَّه   وأَبْقِ فلم يستوفِ قطُّ كريمُ
ولا تَغْلُ في شيءٍ من الأمر واقتصِدْ   كلا طَرَفَيْ قَصْدِ الأمورِ ذَميمُ

وروى عن وهيب بن الورد، أنه قال: قلت لوَهْب بن منبه: إنِّي أريد أن أعتزل الناس، فقال لي: لا بُدَّ لك من الناس وللناس منك، لك إليهم حوائج، ولهم إليك حوائج، ولكنْ كن فيهم أصمَّ سميعاً، أعمى بصيراً، سكوتاً نطوقاً.

وقال ابن مسعود: خالط الناس وزايلْهم، ودينَكَ لا تكلِمَنَّه.

ويتخذ المؤلف سمة التجرد في عرض أفكاره وما يريد قوله، فيسوق لكل باب ما يؤيده من آيات وأحاديث وآثار وأشعار. وقد يصرح برأيه إذا وجد ذلك مناسباً.

وهو أديب لا يجارى، يتمتع بأسلوب جزل رصين، تظهر فيه ثقافته اللغوية إلى جانب معرفته وعلمه الواسعين. ويشوقك بما يحشده من أقوال وشواهد وأشعار، مما يدفع عنك السأم، رغم تشابه أبواب وعناوين الكتاب، فهو واعٍ لما يقول، لا يكاد يقع في التكرار أو الإطناب، يقلب موضوعه من جوانب عدة، فلا يترك زيادة لمستزيد.

وقد تأثر به من جاء بعده، ونقل أكثر أبواب كتابه الغزالي في «إحياء علوم الدين» ولم يشر إلى مصدر نقله[1].

النسخة المعتمدة:

ذكر سزكين للكتاب ثلاث نسخ خطية؛ واحدة في جاريت رقم (١٤٢١) وتقع في (٤٠) ورقة، وهي متأخرة، تعود إلى القرن الحادي عشر. والثانية في الأسكوريال برقم ١٧٥٨/٤، مختارات من الورقة ٩٥ ـ ١٠٨.

ورغم تأخر هاتين النسختين وضعف مكانتهما، فقد سعيت في الحصول عليهما، ولكن لم يتم لي ذلك.

وكان أمامي النسخة الثالثة، وهي نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق، وتقع ضمن مجموع رقمه العام (١٠٩٩)، وفيه (١٤٧) ورقة،

---

(١) انظر إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين للزبيدي، وبهامشه كتاب إحياء علوم الدين ٦: ٣٢٨ ـ ٣٨١.

قياسه ٢٥ × ١٧ سم، ومسطرته (٢١) سطراً، وفي السطر نحو (٨) كلمات.

كُتب بخط نسخ فيه بعض الشكل، وقد عبث بعض القراء في إعجامه. كتبه ناسخ واحد هو علي بن محمد بن عثمان المؤذن النيسابوري سنة ٥٨٧ هـ، كما ورد في الورقة ٤٤/ب. وعلى المجموع سماع عن أصله سنة ٤٠٥ و ٤٢٥ و ٤٩١ هـ، وفي الهوامش بعض التصحيحات المكتوبة بخطوط مختلفة.

والمجموع جيد، يضم عدداً من الكتب لعلماء مشهورين، وهي:

١ ـ شأن الدعاء: للخطَّابي، من الورقة (١ ـ ٥٢).

٢ ـ الاعتصام بالعزلة: للخطَّابي، من الورقة (٥٢ ب ـ ١٢٦)، وهو كتابنا هذا.

٣ ـ تفسير أسماء الله تعالى: للزجَّاج المتوفى سنة ٣١١ هـ، من الورقة (١٢٦ ـ ١٤١).

٤ ـ أسماء رسول الله ﷺ ومعانيها. وعنوانه في كشف الظنون (المنبي في تفسير أسماء النبي ﷺ)، قطعة من أوله، من الورقة (١٤١ ب ـ ١٤٧).

أما نسختنا فتقع في (٧٥) ورقة من المجموع، أي من الورقة (٥٢ ب ـ ١٢٦). وفي أولها بخط مغاير ترجمة مختصرة للخطابي كتبها أحد القراء. وقد نُقلت النسخة عن نسخة عليها سماع من راويها أبي محمد جعفر بن محمد بن علي المرو الروذي مرتين سنة ٤٠٥ و ٤٢٥. ونص السماع: «حكاية ما كان مكتوب (كذا) على ظهر النسخة: سماع لأبي زكريا يحيى بن مُطرّف من الشيخ الفقيه أبي محمد جعفر بن محمد ابن علي المرو الروذي المقيم بمكة حرسها الله تعالى مرتين؛ مرة في

سنة خمس وأربعمائة، ومرة في سنة خمس وعشرين وأربعمائة».

وكما يلاحظ في بداية الكتاب أنه مروي عن طريقين:

الأولى: نسخة يحيى بن مطرف، عن جعفر بن محمد بن علي المرو الروذي، عن الخطابي.

والثانية: نسخة أبي الحسن علي بن محمد بن نصر اللبَّان الدينوري، عن محمد بن عبد الله الفارسي، عن الخطابي.

وبينهما بعض الاختلاف، وقد أشار الناسخ إلى زيادات النسخة الثانية بقوله: «في نسخة الشيخ. . .».

والنسخة مكتوبة سنة ٥٨٧ هـ كما أسلفنا، ولعلها نقلت عن نسخة تعود إلى زمن المؤلف ومقروءة عليه، كما يفهم من سند الكتاب. وهذا ما يجعلها نسخة قيمة ضمن مجموع جيد.

خطة التحقيق:

اعتمدت ـ كما قلت ـ في تحقيق الكتاب على نسخة وحيدة، هي نسخة دار الكتب الظاهرية، ورغم جودتها فقد لاقيت صعوبات كثيرة في حل عدد من المشكلات. وبعد نسخ الكتاب عدت إلى مقابلته ثانية وتصحيحه. وأفدت مما نقله الغزالي في كتابه «إحياء علوم الدين»؛ إذ عقد باباً خاصاً في «آداب العزلة»، ضمَّنه كثيراً من أقوال الخطابي في كتاب العزلة، فكان لي مرجعاً مفيداً في توثيق النص.

قمت بتخريج الآيات والأحاديث. وقد استعنت في تخريج ما استغلق عليَّ تخريجه من الأحاديث بالشيخ عبد القادر الأرناؤوط، وأشرت إلى عمله في الحواشي رامزاً إلى اسمه بحرف (ع)، جزاه الله عنا وعن المسلمين خير جزاء.

كما خرجت كثيراً من الأخبار والأشعار من مظانها، وعرَّفت عدداً من الأعلام، ممَّا قدَّرت أنهم بحاجة إلى تعريف.

ضبطت ما التبس نطقه من النص، وشرحت ما غمض من ألفاظه، وعدت في ذلك إلى المعاجم وكتب اللغة، وفي مقدمتها لسان العرب.

عمدت إلى الاختصار في الحواشي والتعليقات، واقتصرت على ما هو ضروري وبحاجة إلى بيان.

وضعت ما زيد على النص بين قوسين، وأشرت إلى ذلك في الهامش.

قدَّمت للكتاب بمقدمة مناسبة، تحدثت فيها عن موضوع الكتاب وما قيل فيه عند بعض العلماء.

ثم ترجمت للمؤلف، وقمت بتحليل عدد من مؤلفاته؛ ليقف القارىء الكريم على مكانة الخطابي ومنزلته العلمية، وقيمة مؤلفاته؛ في الفقه والحديث واللغة وغير ذلك.

تحدثت عن كتاب «العزلة» ونسخته المعتمدة وخطة التحقيق.

قمت بصنع فهارس عامة للكتاب، تسهل الانتفاع به، وإتماماً للفائدة.

والله وليّ التوفيق والسداد

ياسين محمّد السّوّاس

الخطابي اسمه حمد بفتح الفاء ثم ميم ساكنة ثم دال مهملة بن محمد بن ابرهيم بن خطاب الامام الحافظ ابو سليمان البستي الخطابي نسبة الى جده ويقال انه من سلالة زيد بن الخطاب كان اماما كبيرا تفقه على القفال وابن ابي هريرة وغيرهما توفي ببست في ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وثلثمائه

كتاب الاعتصام بالعزلة

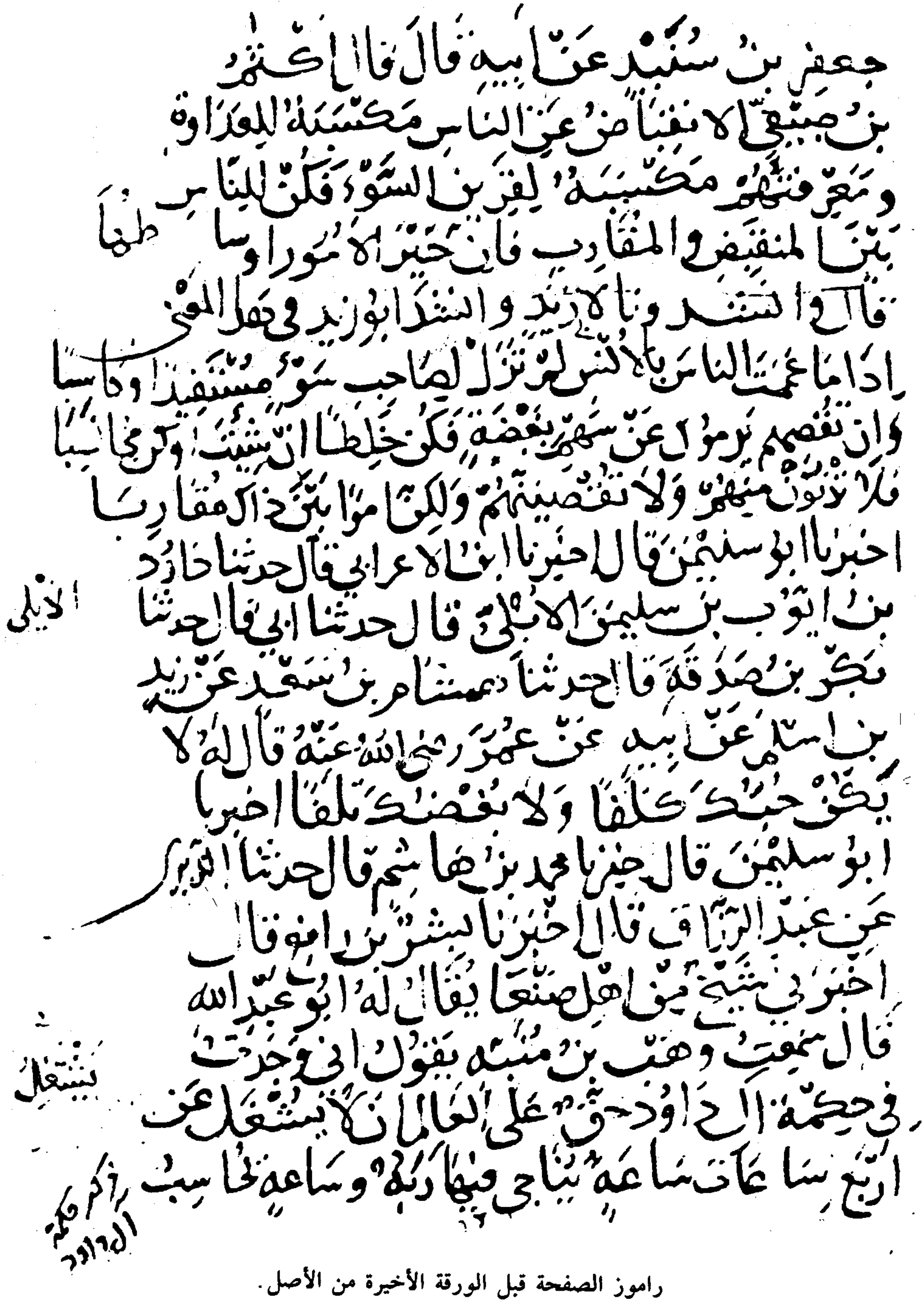
تأليف الشيخ ابي سليمن حمد بن محمد بن احمد بن ابرهيم
الخطابي رضي الله عنه

حكاية ما كان مكتوب على ظهر النسخة سماع
لابي زكريا يحيى بن مطرف من الشيخ الفقيه
ابي محمد جعفر بن محمد بن علي المروالرودي المقيم
بمكة رحمهما الله تعالى مرتين مرة في سنة خمس
واربعمايه ومرة في سنة خمس وعشرين واربعمايه

بسم الله الرحمن الرحيم

اخبرنا الفقيه القاضي ابو زكريا يحيى بن مطرف
قال اخبرنا الفقيه ابو محمد جعفر بن محمد بن علي المروا
الرودي رضي الله عنهما قال اخبرنا الشيخ ابو سليمن
حمد بن محمد بن ابرهيم الخطابي رضي الله عنه واخبرنا
الشيخ ابو الحسن علي بن محمد بن نصر اللبان الدينوري
قال حدثنا الشيخ ابو عمرو محمد بن عبد الله بن احمد
الفارسي رحمه الله قال اخبرنا الشيخ ابو سليمن
الحمد لله رب العالمين ابدا وصلى الله على محمد دائما سرمدا
فهمت قولك اخي الهمك الله الصواب وازال
الحجاب وما قد اذكرته به من امر كتاب العزله

راموز الصفحة الأولى من الأصل.



جعفر بن سليمن عن ابيه قال قال اكثم
بن صيفي الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة
وفرط الانس مكسبة لقرين السوء فكن للناس
بين المنقبض والمقارب فان خير الامور اوساطها
قال وانشدونا لابن زيد وانشد ابو زيد في هذا المعنى
اذا ما عممت الناس بالانس لم تزل لصاحب سوء مستفيدا وكاسبا
وان تنقبض يزور عن سهمك بعضه فكن خلطا ان شئت وكن مجانبا
فلا تدنون منهم ولا تنقصينهم ولكن ما بين ذاك مقاربا
اخبرنا ابو سليمن قال اخبرنا ابن الاعرابي قال حدثنا داود
بن ايوب بن سليمن الابلي قال حدثنا ابي قال حدثنا
بكر بن صدقة قال حدثنا هشام بن سعد عن زيد
بن اسلم عن ابيه عن عمر رضي الله عنه قال لا
يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا اخبرنا
ابو سليمن قال اخبرنا محمد بن هاشم قال حدثنا الدبري
عن عبد الرزاق قال اخبرنا بشر بن رافع قال
اخبرني شيخ من اهل صنعا يقال له ابو عبد الله
قال سمعت وهب بن منبه يقول اني وجدت
في حكمة آل داود حق على العاقل ان لا يشتغل عن
اربع ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب

راموز الصفحة قبل الورقة الأخيرة من الأصل.

بن ابي شبيب قال قال صعصعة بن صوحان
لابن اخيه كنت احب الى ابيك منك وانت
احب الي من ابني اذا رايت المومن فخالقه
واذا رايت الفاجر فخالفه اخبرنا ابو سليمن
قال حدثنا الجندي قال حدثنا موسى بن هرون
قال حدثنا هدبة بن خالد قال حدثنا حزم القطعي
قال سمعت الحسن يقول انهم يقولون المداراة نصف
العقل وانا اقول هو العقل كله اخبرنا
ابو سليمن قال اخبرنا الصفار قال حدثنا الحسن
بن عرفة قال حدثنا عبد الله بن المبارك
عن الحسن بن عمرو الفقيمي عن منذر الثوري
عن محمد بن الحنفية قال ليس الحكيم من لم
يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته
بدا حتى يجعل الله له فرجا او قال مخرجا
قال ابو سليمن انشدني بعض اهل الادب
قال انشدني المتنبي
ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى عدوا له ما من
صداقته بد
انتهى الكلام في العزلة وصلى الله على محمد واله وسلم
كتبه علي بن محمد المؤذن بن عثمان المؤذن النيسابوري
[illegible]

راموز الصفحة الأخيرة من الأصل.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

أخبرنا الفقيه القيَّاس[1] أبو زكريا يحيى بن مطرفٍ، قال: أخبرنا الفقيه أبو محمد جعفر بن محمد بن علي المَرْوَ الرُّوذي[2] رضي الله عنهما، قال: أخبرنا الشيخ أبو سليمان حَمْد بن محمد بن إبراهيم الخَطَّابيّ رضي الله عنه.

وأخبرنا الشيخ أبو الحسن علي بن محمد بن نصر اللبّان الدّينوريّ، قال: حدثنا الشيخ أبو عمرو[3] محمد بن عبد الله بن أحمد الفارسيّ رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ أبو سليمان [قال][4]:

الحمد لله رب العالمين أبداً، وصلى الله على محمدٍ دائماً سرمداً.

فَهِمْتُ قولك أخي، ألهمَكَ اللَّهُ الصَّوابَ وأراكَ المحابَّ، وما قد أذكرتَ[5] به من أمر كتاب «العزلة»، / وبعثتني عليه من إتمامه بعد ابتدائِهِ، ٥٣/أ

(١) كذا في المطبوع: القيَّاس، والكلمة في الأصل غير واضحة، تقرأ العابد والصابر وغير ذلك.

(٢) هذه النسبة إلى مَرْو الرُّوذ. وهي مدينة قريبة من مرو الشاهجان. والرُّوذ بالفارسية: النهر، فكأنه مَرْو النهر، وهي على نهر عظيم فلهذا سميت بذلك. وينسب إليها خلق كثير. (ياقوت).

(٣) في المطبوع: «أبو عمر ومحمد».

(٤) زيادة من المطبوع.

(٥) في المطبوع: «أذكرتني»، وفي نسخة: وما قد ذكرت به.

والفراغ منه بعد إنشائِهِ، وما شكوْتَه مع ذلك من طول مأخَذِه، وخِفْتَه[١] من المَلال على الناظر فيه. وسألتَ أن ألتقط لك جوامِعَهُ، وأحذِفَ أطرافَهُ وزوائدَهُ، وأُسَدِّدَ بالقول فيه نحوَ الغرض لا أعدوه ولا أتجاوزه[٢]؛ ليكون أوجزَ في القول، وأسهلَ[٣] إليَّ على الذكر؛

فرأيتُ إسعافَكَ به، والمصيرَ إلى ما أحببتَ منه، أمراً لازماً لي فيما أتوخَّاه من مسرَّتِك، وأنحوه من موافقتك.

ـ في نسخة الشيخ أبو الحسن[٤] علي بن محمد اللبَّان الدّينوري[٥] ـ: ثم إني لم أرَ شيئاً منه في المِقدار الذي انتهى إليه كان زائداً على قدره، أو خارجاً عن حدِّه؛ فيجب حذفُه، أو يلزمُ نبذُه ورَفْضُه. وربما قيل: إذا[٦] [كان الإيجاز][٧] أمراً كافياً فالإطناب عيٌّ؛ على أن للإشباع موضعاً، ولتكرار القول من القلوب في بعض الأمور موقعاً. قال اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنا لَهُمُ القَوْلَ لعلَّهُمْ يتذكَّرُونَ ﴾[٨].

أما[٩] وقد رأيتَ هذا الرأي، فقد تخيَّرتُ فيه على سَمْتِ إرادتك، وسلكتُ نهجَ اختيارك، وتوخَّيْتُ لك فيه الاقتصارَ، وسألتُ اللَّهَ المعونةَ والتوفيق.

* * *

---

(١) في المطبوع: «وما خفته».

(٢) في الأصل: «ولا أتجاوزها».

(٣) في المطبوع: «وأسهل على الذكر».

(٤) في المطبوع: «ابن الحسن»، وهو خطأ.

(٥) قوله: «في نسخة الشيخ... الدينوري» عبارة مقحمة من الناسخ، تشير إلى بعض زيادات الرواية الثانية للكتاب، أما الرواية الأولى فمن طريق يحيى بن مطرف.

(٦) لفظ: «إذا» مستدرك في الهامش.

(٧) في المطبوع: «إذا كان أمراً» بزيادة لفظة «كان» فقط. وأثبتنا ما يقتضيه السياق.

(٨) سورة القصص، الآية: ٥١.

(٩) في الأصل: «وأما». وما أثبتناه من المطبوع.

/بـاب في حكاية ما احتجَّ به مَنْ أنكر العزلــة ٥٣/ب

قال المنكِرُ لها: قد أمرَ اللَّهُ سبحانه بالاجتماع وحضَّ عليه، ونَهى عن الافتراق وحذَّرَ منه؛ فقال تعالى ذِكْرُه: ﴿ واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جميعاً ولا تفرَّقُوا واذْكُروا نِعْمَةَ اللَّهِ عليكم إذْ كنتُمْ أعداءً فألَّفَ بينَ قلوبِكُمْ فأصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إخواناً ﴾[١]؛ وأَعْظَمَ المِنَّةَ على المسلمين في جمع الكلمة وتأليف القلوب منهم، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿ وَأَلَّفَ بين قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ ما في الأرضِ جميعاً ما أَلَّفْتَ بين قُلُوبِهِمْ ولكنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾[٢]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلا تكونُوا كالَّذين تفرَّقوا واخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ البَيِّنَاتُ ﴾[٣]؛ في آي كثيرة من القرآن.

وذكر فيها[٤] أخباراً عن رسول الله صلَّى الله عليه:

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا الأصمُّ، قال: حدثنا الرَّبيع بن سليمان، قال: أخبرنا الشافعي[٥]، قال: أخبرنا سفيان بن عُيَيْنَة، عن

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٦٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٥.

(٤) أي في إنكار العزلة.

(٥) في المطبوع: «حدثنا الربيع بن سليمان، قال: أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرنا الشافعي»، وهو خطأ.

عبد الله بن أبي لبيد[1]، عن ابن سليمان بن يسار[2]، عن أبيه، عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ سرَّه بُحْبُوحَة[3] الجنَّة فَلْيَلْزَمِ الجماعَةَ؛ فإنَّ الشَّيْطانَ مع الفَذِّ، وهو من الاثنين أبعدُ»[4].

٥٤/أ أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرنا محمد بن / هاشم، قال: حدثنا الدَّبَري[5]، عن عبد الرزَّاق، قال: حدثنا مَعْمَر[6]، عن أيوب، عن غَيْلان ابن جَرير[7]، عن زياد بن رباح[8]، عن أبي هريرة، قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول:

---

(١) هو عبد الله بن أبي لبيد، يكنى أبا المغيرة، خرّج له البخاري. مات في أول خلافة أبي جعفر، وهو ثقة رمي بالقدر. (خلاصة تذهيب الكمال ٢١١).

(٢) هو عبد الله بن سليمان بن يسار.

(٣) بحبوحة الجنة: وسطها. والفذ الواحد، وفَذَّ الرجل عن أصحابه إذا شذَّ عنهم وبقي فرداً. (اللسان).

(٤) هو جزء من حديث طويل، رواه أيضاً أحمد في المسند ١: ١٨، والترمذي رقم (٢١٦٦) في الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب عن عمر رضي الله عنه. ورواه أحمد ١: ٢٦ من حديث جابر بن سمرة عن عمر رضي الله عنه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وقد رواه ابن المبارك عن محمد بن سوقة؛ وقد روي هذا الحديث من غير وجه عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ، ولفظه عند أحمد ١: ٢٦:

«من أحب منكم أن ينال بحبوحة الجنة، فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد». وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده (ع).

(٥) هو إسحاق بن إبراهيم الدَّبَري صاحب عبد الرزاق، وقد احتجَّ به أبو عَوَانة الإسفراييني في صحيحه، روى عن عبد الرزاق أحاديث منكرة، مات سنة ٢٨٥ هـ سير أعلام النبلاء ١٣: ٤١٦، وميزان الاعتدال ١: ١٨١، ولسان الميزان ١: ٣٤٩.

(٦) هو معمر بن راشد الأزدي الحداني، أبو عروة البصري. يروي عن أيوب السختياني.

(٧) هو غيلان بن جرير المِعْوَلي الأزدي البصري.

(٨) زياد بن رباح (ويقال ابن رياح) القيسي، أبو قيس البصري، أو المدني.

«مَنْ فارقَ الجماعةَ فماتَ؛ فميتَتُهُ جاهليَّةٌ»(١) .

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا إبراهيم بن فراسٍ، قال: حدثنا موسى بن هارون، حدثنا الهَيْثَم بن أيّوب الطالقاني، حدثنا يحيى بن سُلَيْم، أخبرنا إبراهيم بن مَيْمون الصَّنْعانيّ(٢)، قال: سمعت ابن طاووس يحدّث عن أبيه، عن ابن عباس، قال: قال رسولُ الله ﷺ:

«مَنْ شَقَّ عَصَا المسلمين، والمسلمون في إسلامٍ دامِجٍ(٣)، فقد خَلَعَ رِبْقَةَ(٤) الإسلام [من عُنُقِهِ](٥)»(٦).

---

(١) رواه مسلم رقم (١٨٤٨) عن أبي هريرة في كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن. والنسائي ٧: ١٣٣ في تحريم الدم، باب التغليظ فيمن قاتل تحت راية عُمِّيَّة. وابن ماجه مختصراً رقم (٣٩٤٨) في الفتن، باب العصبية. ورواه أحمد في المسند: ٢: ٢٩٦، ٣٠٦.

وتمام الحديث: «مَنْ خرج من الطاعة، وفارق الجماعة، فمات، مات ميتةً جاهلية. ومن قاتل تحت راية عُمِّيَّة، يغضب لِعصبةٍ، أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عصبة، فقتل، فقتلة جاهلية. ومن خرج على أمتي يضرب برَّها وفاجرها، لا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفي بعهد ذي عهدها، فليس مني ولست منه».

(٢) هو إبراهيم بن ميمون الصَّنْعانيّ، ويقال الزَّبيدي. روى عن عبد الله بن طاووس، وعنه يحيى بن سُلَيم الطائفي. (تهذيب الكمال ٢: ٢٢٥).

(٣) الدامج: المجتمع المنتظم، وأصل الدموج دخول الشيء في الشيء. (غريب الحديث للخطابي ١: ١٤٦).

(٤) الرِّبقة: عروة في حبل تجعل في عنق البهيمة أو يدها تمسكها، فاستعارها للإسلام. يعني ما يشد المسلم به نفسه من عُرى الإسلام، أي حدوده وأحكامه وأوامره ونواهيه. (اللسان).

وفي غريب الحديث الخطابي: «يقول: من خرج عن طاعة الجماعة وفارقهم في الأمر المجمع عليه فقد ضل وهلك وكان كالدابة إذا خلعت الربقة التي هي محفوظة بها، فإنَّها لا يؤمن عليها عند ذلك الهلاك والضياع».

(٥) تكملة من غريب الحديث للمؤلف، وكتاب الإحياء للغزالي، ومصادر الحديث.

(٦) خرَّجه العراقي في تخريج أحاديث الإحياء ٢: ٢٢٣، وقال: أخرجه الطبراني، والخطّابي في «العزلة» من حديث ابن عباس بسند جيد. =

قالوا: قد نطقَتْ هذه الأخبارُ بأنَّ المعتزِلَ عن الناسِ، المنفردَ عنهم، مفارِقٌ للجماعة، شاذٌّ عن الجملة، شاقٌّ لعصا الأُمَّة، خالعٌ للرِّبقة، مخالفٌ لِلسُّنَّةِ.

قال الشيخ أبو سليمان: قالوا: وأقلُّ ما في العزلة أنَّها إذا امتدَّتْ واستمرَّتْ بصاحبها صارت هجرةً، وقد نهى رسول الله ﷺ عن الهجرة أكثرَ من ثلاث:

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا ابن الأعرابي، وعمر بن أحمد المَتُوثِيّ[1]، قال: حدثنا أبو مُسلم[2]، قال: حدثنا محمد بن عبد الله الأَنْصاريّ، قال: حدثنا سليمان التَّيْمِيُّ[3]، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا هجرةَ بينَ المسلمين فوقَ ثلاثةِ أيَّامٍ، أو قال ثلاث ليالٍ»[4].

* * *

= وقد رواه أبو داود عن أبي ذر، رضي الله عنه، في السنة، باب في قتل الخوارج رقم (٤٧٥٨) وأحمد في مسنده ٥: ١٨٠، وروايته:

«من فارق الجماعة شبراً، فقد خلع رِبْقَةَ الإسلام من عُنُقِه». وانظر النهاية (دمج).

وقد علق الغزالي ـ رحمه الله ـ في كتابه الإحياء على هذا الحديث والذي قبله: «من فارق الجماعة...» بقوله:

«هذا ضعيف؛ لأن المراد به الجماعة التي اتفقت آراؤهم على إمام بعقد البيعة، فالخروج عليهم بغي، وذلك مخالفة بالرأي وخروج عليهم؛ وذلك محظور لاضطرار الخلق إلى إمام مطاع يجمع رأيهم، ولا يكون ذلك إلا بالبيعة من الأكثر؛ فالمخالفة تشويش مثير للفتنة. فليس في هذا تعرض للعزلة».

(١) كذا الأصل، وفي المطبوع: «المستوفى».

(٢) هو إبراهيم بن عبد الله بن مسلم بن ماعز بن مهاجر، أبو مسلم الكَجِّي البصري. وثقه الدارقطني وغيره. مدحه الشاعر البحتري فأجازه بمالٍ. توفي سنة ٢٩٢ هـ ودفن بالبصرة.

(تاريخ بغداد ٦: ١٢٠، وتذكرة الحفاظ ٢: ٦٢، وسير أعلام النبلاء ١٣: ٤٢٣).

(٣) هو سليمان بن طَرخان التيمي، أبو المعتمر البصري، ثقة، عابد. توفي سنة ١٤٣ هـ. (التقريب ١: ٣٢٦).

(٤) رواه البخاري في كتاب الأدب ١٠: ٤٠٣، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، وباب =

فالجواب ـ وبالله التوفيق ـ أنَّ الآي التي تلوها في ذمِّ العُزْلَـةِ، والأحاديثَ التي رووها في التحذير ومفارقة الجماعة، لا يعترِضُ شيءٌ منها على المَذْهَبِ الذي نذهبُه في العُزْلَةِ، ولا يناقِضُ تفصيلُها جملتَهُ؛ لكنَّها تجري معه على سَنَنِ الوفاق، وقضيَّةِ الائتِلاف والاتساق. وسأوضح لك التوفيقَ بينَهما بما أَقْسِمُه لكَ من بيان وجوهِها، وترتيبِ منازلها.

قال الشيخ أبو سليمان: فأقولُ[1]: الفُرْقَةُ فُرْقَتان؛ فُرْقة الآراء والأديان، وفُرْقة الأشخاص والأَبْدان. والجماعةُ جماعتان؛ جماعةٌ هي الأئمة والأمراء، وجماعةٌ هي العامّةُ والدَّهْماء.

فأمَّا الافتراقُ في الآراء والأديان فإنَّه محظورٌ في العقول، محرَّمٌ في قضايا الأصول؛ لأنَّه داعيةُ الضَّلال، وسببُ التعطيل والإهمال؛ ولو تُرِكَ الناسُ متفرقين لتفرَّقَتِ الآراءُ والنِّحل، ولكثرت الأديانُ والمِللُ، ولم تكن فائدةٌ في بعثة الرُّسُلِ؛ وهذا هو الذي عابه الله عزَّ وجلَّ من التفرُّقِ في كتابِهِ، وذمَّه / في الآي التي تقدَّم[2] ذكرها. ٥٥/أ

وعلى هذه الوتيرة نجري الأمرَ أيضاً في الافتراق على الأئمة والأمراء، فإنَّ في مفارقتهم مفارقةَ الأُلْفَةِ، وزوالَ العِصْمة، والخروجَ من كَنَفِ الطَّاعةِ وظلِّ الأَمْنَةِ، وهو الذي نهى النبي صلى الله عليه [عنه][3]

= الهجرة، ومسلم رقم (٢٥٥٩) في البر والصلة، باب تحريم التحاسد والتباغض. والموطأ ٢: ٩٠٧ في حسن الخلق، باب ما جاء في المهاجرة، وأبو داود رقم (٤٩١٠) في الأدب، باب فيمن يهجر أخاه المسلم. والترمذي رقم (١٩٣٣) و(١٩٣٦) في البر والصلة، باب ما جاء في الحسد.

ونصه في البخاري: «لا تقاطعوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث».

(١) يعقّب المؤلف هنا على قول الرسول ﷺ: «من فارق الجماعة فمات، فميتته جاهلية».

(٢) تقدم في أول هذا الباب.

(٣) زيادة من المطبوع.

وأراده بقوله ﷺ: «من فارق الجماعَةَ فمات فميتَتُهُ جاهلية»، وذلك أنَّ أهلَ الجاهلية لم يكن لهم إمامٌ يجمعهم على دينٍ، ويتألَّفُهم على رأي واحدٍ، بل كانوا طوائفَ شتَّى وفِرَقاً مختلفين؛ آراؤهم متناقضةٌ، وأديانهم متباينةٌ؛ وذلك الذي دعا كثيراً منهم إلى عبادة الأصنام وطاعةِ الأزلام[1]، رأياً فاسداً اعتقدوه؛ في أنَّ عندها خيراً، وأنَّها تملك لهم نفعاً، أو تدفع عنهم ضرّاً.

وأما عُزْلَةُ الأبدانِ ومفارقةُ الجماعةِ التي هي العوامُّ، فإنَّ مِن حكمها أنْ تكونَ تابعةً للحاجة، وجاريةً مع المصلحة؛ وذلك أن عِظَمَ الفائدة في اجتماع الناس في المدن، وتجاورهم في الأمصار، إنما هو أنْ يتضافروا فيتعاونوا على المصالح، ويتوازروا فيها إذا كانت مصالحهم لا تكمُلُ إلا به، ومعايشُهُم لا تزكو إلَّا عليه، وللإنسان[2] أن يتأمَّل حالَ نفسه فينظرَ في
٥٥/ب أيَّةِ طَبَقَةٍ تَقَعُ منهم / وفي أية جَنبَةٍ ينحازُ من جملتهم، فإن كانت أحوالُه تقتضيه المُقَامَ بين ظهرانِيّ العامَّة لِما يلزمُهُ من إصلاحِ المِهنة التي لا غُنْيَةَ له به عنها، ولا يجد بدّاً من الاستعانة بهم فيها، ولا وجهَ لمفارقتهم في الدار، ومباعَدَتِهم في السكن والجوار؛ فإنَّه إذا فعل ذلك تضرَّر بوَحْدَتِه، وأضرَّ بمن وراءه مِن أهله وأسرته. وإن كانت نفسُهُ بكلِّها مستقلَّةً، وحالُهُ في ذاتِه وذويه متماسكةً، فالاختيارُ له في هذا الزمان اعتزالُ الناس ومفارقةُ عوامهم؛ فإنَّ السَّلامة في مجانبتهم، والراحةَ في التباعد منهم.

ولسنا نريدُ ـ رحمك الله ـ بهذه العُزْلَةِ التي نختارها مفارقَةَ الناس في الجماعاتِ والجمعاتِ، وتركَ حقوقهم في العبادات، وإفشاءَ السلام، وردَّ التحيات، وما جرى مَجراها من وظائف الحقوق الواجبة لهم، ووضائع السُّنن والعادات المستحسنة فيما بينهم؛ فإنَّها مستثناةٌ بشرائطها، جاريةٌ على سُبُلها، ما لم يَحُلْ دونها حائلُ شُغُلٍ، ولا يمنع عنها مانعُ عُذْرٍ، إنما

---

(١) الزُّلم والزَّلم: القِدْح الذي لا ريش عليه، والجمع أزلام، وهي السهام التي كان أهل الجاهلية يستقسمون بها.

(٢) في الأصل: «فبالإنسان».

نريدُ بالعُزْلَةِ تركَ فُضُولِ الصُّحْبَةِ، ونَبْذَ الزِّيادةِ منها، وحطَّ العِلاوةِ[١] / التي لا حاجَةَ بك إليها. ٥٦/أ

فإنَّ مَن جرى في صحبة الناس والاستكثار من معرفتهم، على ما يدعو إليه شَعَفُ[٢] النفوس، وإلْفُ العاداتِ؛ وتَرْكُ الاقتصاد فيها، والاقتصار الذي تدعوه الحاجةُ إليه، كان جديراً ألا يحمَدَ غِبَّهُ[٣]، وأنْ يستوخمَ[٤] عاقبتَهُ؛ وكان سبيلُهُ في ذلك سبيلَ مَنْ يتناوَلُ الطعامَ في غير أوان جوعِهِ، ويأخُذُ منه فوقَ قَدْرِ حاجته، فإنَّ ذلك لا يُلْبِثُهُ أنْ يقعَ في أمراضٍ مُدنِفَةٍ[٥]، وأسقامٍ متلِفةٍ. وليس مَنْ عَلِمَ كَمَنْ جَهِلَ، ولا مَنْ جَرَّبَ وامْتَحَنَ كَمَنْ باده[٦] وخاطَرَ؛ ولله درُّ أبي الدَّرداءِ حين يقول: «وَجَدْتُ الناسَ أَخْبُرْ تَقْلِهْ»[٧].

قال: أنشدني ابن أبي الدِّقِّ، قال: أنشدنا شَكَّر[٨]، قال: أنشدني ابن أبي الدنيا[٩]:

---

(١) علاوة كلِّ شيء ما زاد عليه.

(٢) شعف وشغف، بمعنى.

(٣) غِبُّ الأمر ومَغَبَّتُه: عاقبته وآخره.

(٤) يقال: هذا الأمر وخيم العاقبة، أي ثقيل رديء.

(٥) مدنفة: أي ملازمة، يقال: دنف دنفاً فهو دنِف، إذا لازمه المرض.

(٦) كذا في الأصل. وأراد باده: فاجأ الأمر؛ يقال: بادهه، أي فاجأه.

(٧) القِلى: البغض، يقول: جرِّب الناس؛ فإنَّك إذا جرَّبتهم قليتهم وتركتهم؛ لما يظهر لك من بواطن سرائرهم. لفظه لفظ الأمر ومعناه الخبر، أي من جربهم وخبرهم أبغضهم وتركهم. والهاء في «تقلِهْ» للسكت. ومعنى نظم الحديث: وجدت الناس مقولاً فيهم هذا القول. (اللسان).

وسيرد الحديث وتخريجه في صفحة ١٥٧.

(٨) هو محمد بن المنذر بن سعيد بن عثمان بن رجاء بن عبد الله بن الصحابي العباس بن مرداس السُّلمي الهَرَوي، شكَّر الحافظ. مات سنة ٣٠٣ هـ وقيل ٣٠٢ هـ.

(تذكرة الحفاظ ٢ : ٧٤٨، سير أعلام النبلاء ١٤ : ٢٢١).

(٩) ابن أبي الدنيا: عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان القرشي الأموي، البغدادي، =

مَنْ حَمِدَ النَّاسَ ولم يبلهم   ثم بلاهم ذَمَّ من يحمَدُ
وصارَ بالوحدة مستأنساً   يوحِشُهُ الأقربُ والأبعدُ

* * *

ولنذكر الآن ما جاء في مدح العُزْلَةِ وما رُوي فيها عن رسول الله ﷺ وعَمَّنْ بعدَهُ من الصحابة، وعَمَّنْ وراءهم من أهل العلم والفضل، ونخبرُ عن محلِّها في الحكمة وموقعها من المصلحة؛ لينظُرَ المرءُ لدينه، ويُحْسِنَ الارتيادَ منها لنفسه. ونسألُ الله السَّلامةَ من شرِّ هذا الزمانِ وأهله؛ إنَّه لا خيفةَ على مَنْ حفِظَه، ولا وَحْشةَ على من عَرَفَهُ.

= أبو بكر، حافظ للحديث، وصاحب التصانيف السائرة. توفي سنة ٢٨١ هـ.

انظر في ترجمته الجرح والتعديل ٥ : ١٦٣، وتذكرة الحفاظ ٢ : ٦٧٧، وسير أعلام النبلاء ١٣ : ٣٩٧، ومقدمة كتاب «الشكر لله عز وجل» له بتحقيقنا، طبع دار ابن كثير بدمشق وبيروت.

والبيتان في الكشكول للعاملي ص ٣١٢ بلا نسبة.

/ باب ما جاء في العزلة ٥٦/ب

قال الله تعالى ذكره حكايةً عن إبراهيم صلى الله عليه: ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وما تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيّاً ﴾(١).

اِعْتَصَمَ خليلُ الله سبحانه بالعُزْلة، واسْتَظهر بها على قومه عند جَفائهم إياه، وخلافِهم له في عبادة الأصنام ومعاندةِ الحقِّ، وكفاه الله تعالى أَمْرَهُم، وعَصَمَه من شرِّهم، وأثابَهُ على ذلك بالمَوْهِبَة الجزيلة، وعَوَّضَه النُّصْرَةَ بالذُّرِّيَّةِ الطيِّبة؛ قال الله ـ وهو أجلُّ قائلٍ ـ: ﴿ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وما يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنا له إسحاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيّاً ﴾(٢).

وقال تعالى في قصة موسى عليه السَّلام: ﴿ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ(٣). وإنْ لم تُؤمنوا لِي فاعْتَزِلُونِ ﴾(٤).

فزع نبيُّ الله تعالى إلى العُزْلَةِ حين ظهر له عنادُهُم في قَبُول الدَّعوةِ، وإصرارُهُم على منابذة الحقِّ.

---

(١) سورة مريم، الآية: ٤٨.

(٢) سورة مريم، الآية: ٤٩.

(٣) في الأصل: «ترجموني» بإثبات ياء الوصل. وهي قراءة ورش. (التيسير ٢ : ٣٧١، والكشف عن وجوه القراءات السبع ٢ : ٢٢٦).

(٤) سورة الدخان، الآيتان: ٢٠، ٢١.

وقال تعالى ذكره في قصة أصحاب الكهف: ﴿ وإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إلى الكَهْفِ يَنْشُرْ لكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّىءْ لكُمْ مِن أَمْرِكُمْ مِرْفَقاً ﴾[1].

وكانوا قوماً كرهوا المقام بين ظهرانيّ أهلِ الباطل؛ ففرُّوا من فتنة الكفر وعبادةِ الأوثان، فصرَفَ الله تعالى عنهم شرَّهم، ودفَعَ عنهم بأسَهم، / ورفع في الصالحين ذكْرَهُم. ٥٧/أ

قال الشيخ أبو سليمان رضي الله عنه: وقد اعتَزَلَ[2] رسولُ الله ﷺ قومَهُ قريشاً لمَّا جَفَوْه وآذوه، فدخل الشِّعْبَ[3]، وأمر أصحابه باعتزالهم والهجرةِ إلى أرضِ الحبشة. ثم تحوَّل إلى المدينة مهاجراً، حتى تلاحَقَ

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١٦.

(٢) خبرُ اعتزاله ﷺ قريشاً لمَّا آذوه وجفوه، خرَّجه العراقي في تخريجه أحاديث الإحياء ٢ : ٢٢٥؛ فقال:

«رواه موسى بن عقبة في المغازي، ومن طريقه البيهقي في الدلائل عن ابن شهاب مرسلاً، ورواه ابن سعد في الطبقات من رواية ابن شهاب علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام مرسلاً أيضاً، ووصله من رواية أبي سلمة الحضرمي عن ابن عباس، إلاَّ أنَّ ابن سعد ذكر أن المشركين حصروا بني هاشم في الشعب؛ وذكر موسى بن عقبة أنَّ أبا طالب جمع بني عبد المطلب وأمرهم أن يدخلوا رسول الله ﷺ، شعبهم؛ ومغازي موسى بن عقبة أصح المغازي.

وذكر موسى بن عقبة أيضاً أنه أمر أصحابه حين دخل الشعب بالخروج إلى أرض الحبشة. ولأبي داود من حديث أبي موسى: أمرنا النبي ﷺ أن ننطلق إلى أرض النجاشي. قال البيهقي: وإسناده صحيح. ولأحمد من حديث ابن مسعود: بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي. وروى ابن إسحاق بإسناد جيد، ومن طريقه البيهقي في الدلائل من حديث أم سلمة: إن بأرض الحبشة ملكاً لا يُظلم أحد عنده فالحقوا ببلاده... الحديث».

(٣) في معجم البلدان لياقوت: شِعب أبي يوسف: وهو الشعب الذي أوى إليه رسول الله ﷺ وبنو هاشم لما تحالفت قريش على بني هاشم وكتبوا الصحيفة.

به أصحابُهُ، وتوافَوْا بها معه، فأعلى الله تعالى كلمَته، وتولّى إعزازَهُ ونُصْرَته ﷺ.

والعُزْلة عند الفتنة سُنَّةُ الأنبياءِ، وعِصْمَةُ الأولياء، وسيرةُ الحكماء الألباء[1] والأولياء، فلا أَعْلَمُ لِمَنْ عابها عُذْراً، لا سيما في هذا الزمان القليل خيرُهُ، البكيء[2] دَرُّهُ، [و][3] بالله نستعيذُ من شرِّه وَرَيْبِه.

أخبرنا الشيخ أبو سليمان، قال: أخبرنا ابن الأعرابيّ، قال: حدثنا أبو يَحيى بن أبي مَسَرَّةَ، قال: حدثنا سعيد بن منصورٍ، قال: حدثنا ابن المبارك، قال: حدثنا يحيى بن أيوب، عن عبيد الله بن زَحْرٍ، عن علي بن يزيد[4]، عن القاسم[5]، عن أبي أُمَامَة[6]، قال: قال عقبة بن عامر الجهنيُّ: يا رسولَ الله! ما النجاةُ؟ قال: «لِيَسَعْكَ بيتُك، وأمسِكْ عليكَ دِينكَ، وابْكِ[7] على خطيئتِكَ»[8].

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا جعفر بن نُصَيْر الخُلْدِي، قال:

---

(١) لفظ: «الألباء» مستدرك في أعلى السطر.
(٢) البكيء: الناقة إذا قلَّ لبنها.
(٣) زيادة يقتضيها السياق.
(٤) في الأصل: «علي بن يزيد زيد». وهو علي بن يزيد بن أبي زياد الأَلهاني، أبو عبد الملك الدمشقي، صاحب القاسم بن عبد الرحمن. ضعيف، كما في التقريب لابن حجر.
(٥) هو القاسم بن عبد الرحمن الدمشقي أبو عبد الرحمن، صاحب أبي أمامة، صدوق، يرسل كثيراً.
(٦) أبو أمامة الباهلي، واسمُه صُدَي بن عجلان رضي الله عنه.
(٧) في الأصل: «وابكي».
(٨) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، (باب ما جاء في حفظ اللسان) رقم (٢٤٠٨)، ولفظه فيه: قلت يا رسول الله! ما النجاةُ؟ قال: «أمسِكْ عليكَ لسانكَ، ولْيَسَعْك بيتُكَ، وابكِ على خطيئتك». وقال: حسن صحيح.
وفي مسند أحمد ٤: ١٤٨، و ٥: ٢٥٩ بلفظ مقارب لما جاء عند الترمذي. كما خرجه العراقي في كتاب الإحياء ٢: ٢٢٥.

حدثنا الحارث بن أبي أسامة، قال: حدثنا أبو نعيم، قال: حدثنا يونس[١]
٥٧/ب عن هلال بن خَبَّاب أبي العلاء، قال: حدثني عِكْرِمَة، قال: / حدثني عبد الله بنُ عمرو بنِ العاص، قال: بينما نحن حولَ رسول الله ﷺ إذْ ذَكَرَ الفتنةَ، أو ذُكِرَتْ عنده، فقال ﷺ:

«إذا رأيتم الناسَ مَرِجَتْ[٢] عهودُهم، وخَفَّتْ أماناتُهم وكانوا هكذا» وشبَّك بين أصابعه. قال: فقمتُ إليه فقلت: كيفَ أفعلُ عند ذلك جعلني الله فداكَ؟ فقال ﷺ: «الْزَمْ بيتَكَ، وامْلِكْ عليك لسانَكَ، وخُذْ ما تعرِفُ، ودَعْ ما تُنكِرُ، وعليكَ بأَمْرِ الخاصَّة[٣]، ودَعْ عنكَ[٤] أَمْرَ العامة»[٥].

قال الشيخ[٦] رضي الله عنه: قد نَصَحَ ﷺ كثيراً، ولم يأْلُ شفقةً وَنُصْحاً، وكان جديراً أن يفعلَ ذلك، وبه وصفَهُ الله تعالى في كتابه، وقال سبحانه وتعالى: ﴿عَزِيزٌ عليه ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عليكم بالمؤمِنِينَ رَؤوفٌ رَحِيمٌ﴾[٧].

---

(١) هو يونس بن أبي إسحاق السبيعي، أبو إسرائيل الكوفي. صدوق، يهم قليلاً. (التقريب ٢: ٣٨٤).
(٢) مرجت عهودهم: اختلطت وفسدت.
(٣) في سنن أبي داود: «بأمر خاصة نفسك».
وهذه الرواية رواها أبو داود برقم (٤٣٤٣) في الملاحم، باب الأمر والنهي، وأحمد، والحاكم وصححها، ووافقه الذهبي، وهو كما قالا. انظر جامع الأصول.
وللحديث رواية ثانية عند ابن ماجه برقم (٣٩٥٧) في الفتن، باب التثبت في الفتنة.
(٤) في الأصل: «عليك» وصححت من سنن أبي داود، وكتاب الإحياء.
(٥) خرَّجه العراقي في الاحياء ٢: ٢٣٢، وقال: أخرجه أبو داود والنسائي في اليوم والليلة بإسناد حسن.
(٦) أراد بالشيخ المصنف رحمه الله.
(٧) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

وذلك أنَّه قَسَمَ له(١) كُلَّ واحدٍ من أمر دينه ودنياه إلى قسمين اثنين؛ فقال في الأول ـ وهو قِسمُ أمر الدين ـ: «خُذْ ما تعرِفُ»؛ فكان هذا إشارةً إلى معهودٍ تعارفوه فيما بينهم، وكان الذي تعارفوه معهوداً من حقوقِ الأئمةِ، ومتعلّقاً بهم من أمورِ الدِّين، إقامةَ الصلاة خَلْفَهم، وأداءَ الزكاةِ إليهم، وجهادَ الكفار معهم؛ إلى ما يشبه هذا من الأمور التي يَليها الأمراءُ، فأمَرَهُ بطاعتهم فيها.

٥٨/أ ثم قال: «ودَعْ ما تُنْكِر»/؛ وهو كلُّ ما حَدَثَ بعدَه من الفتن، ونَشَبَ بين بعض أصحابه من الحروب والتنازع في الملك. يقول: إذا دعوك إلى شيء منها فدعْهُمْ واعتزلهم ولا تكن معهم.

ثم قسم ﷺ له القسمة الثانية التي هي قسمُ أمر دنياه، فقال ﷺ: «عليكَ بأمر الخاصَّة»، وهو كلُّ ما يخُصُّه ويعنيه، ويخصُّ كُلَّ إنسانٍ في ذاته من إيالةِ(٢) أهله وسياسةِ ذويه، والقيام لهم، والسعي في مصالحهم.

ونهاه عن التعرُّض لأمر العامة، والتعاطي لسياستهم، والترأس عليهم، والتوسّط في أمورهم، فقال ﷺ: «دَعْ عنكَ أَمْرَ العامة»، فقد نظم له ﷺ الطويلَ العريضَ من أمرِ دينه ودنياه، في القصير الوجيز من كلامه.

أخبرنا الشيخ أبو سليمان، قال: حدثنا محمد بن بكر بن عبد الرزَّاق، قال: حدثنا سليمان بن أشعث، قال: حدثنا عبد الله بن مسلمة، عن مالك، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صَعْصَعَة، عن أبيه، عن أبي سعيد الخدريِّ، قال: قال رسول الله ﷺ:

«يوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مالِ المسلم غَنَمٌ(٣) يَتْبَعُ(٤) بها شِعافَ(٥)

---

(١) أي للصحابي السائل.

(٢) آل ماله يؤوله إيالة، إذا أصلحه وساسه. والإيالة أيضاً: السياسة. ويقال: آل الرعية يؤولها إيالةً حسنة. (اللسان).

(٣) في الإحياء: «غنماً» بالنصب.

(٤) في الأصل: «يتتبع»، وأثبت ما جاء في البخاري والإحياء.

(٥) رواية البخاري وغيره: «شَعَف». والشعاف: رؤوس الجبال. وأراد بمواقع القطر: =

الجبالِ ومواقِعَ القَطْرِ؛ يَفِرُّ بدينه من[1] الفتن»[2].

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا محمد بن هاشم، قال: حدثنا

٥٨/ب الدَّبَرِيّ، عن عبد الرزّاق / ، قال: أخبرنا مَعْمَرٌ عن الزّهري، عن عطاء بن يزيد، عن أبي سعيد، قال: قال رجلٌ: يا رسولَ الله! أيُّ الناس أَفْضَلُ؟ قال:

«مؤمِنٌ مجاهِد بنفسِهِ ومالِهِ في سبيلِ اللّهِ».

قال: ثم مَنْ؟ قال:

«ثُمَّ رَجُلٌ معتزِلٌ في شِعْبٍ من الشِّعاب يعبُدُ ربَّهُ ويَدَعُ النَّاسَ من شرِّه»[3].

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا أحمد بن سلمان النَّجَّاد، قال: حدثنا محمد بن يونس الكُدَيْمِيّ، قال: حدثنا محمد بن منصور الجشميّ، قال: حدثنا سلم بن سالم، قال: حدثنا السّريّ بن يحيى، عن الحسن،

= المواضع التي ينزل بها المطر.

(١) في الأصل: «عن»، وأثبت ما جاء في كتاب الإحياء ومصادر الحديث.

(٢) رواه البخاري ١: ٦٥، ٦٦ في الإيمان، باب من الدين الفرار من الفتن؛ وفي بدء الخلق، باب خير مال المسلم غنم...؛ وفي الأنبياء، باب علامات النبوة في الإسلام؛ وفي الرقاق، باب العزلة راحة من خلاط السوء؛ وفي الفتن، باب التغرب في الفتنة. والموطأ ٢: ٩٧٠ في الاستئذان، باب ما جاء في أمر الغنم. وأبو داود رقم (٤٢٦٧) في الفتن، باب ما يرخص من البداوة في الفتنة. والنسائي ٨: ١٢٣، ١٢٤ في الإيمان، باب الفرار بالدين من الفتن. وابن ماجه رقم (٣٩٨٠) في الفتن، باب العزلة. وانظر جامع الأصول ١٠: ١٥.

(٣) رواه البخاري في الجهاد (باب أفضل الناس)، والرقاق (باب العزلة راحة من خليط السوء)، ومسلم في الإمارة (باب فضل الجهاد) رقم (١٨٨٨)، والترمذي في فضائل الجهاد رقم (١٦٦٠)، وابن ماجه في الفتن (باب العزلة) رقم (٣٩٧٨)، والنسائي في الجهاد (باب فضل من جاهد بنفسه وماله)، وأبو داود في كتاب الجهاد. وخرَّجه العراقي في الإحياء ٢: ٢٢٥، وقال: متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري.

عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ[١]:

«ليأتينَّ على الناسِ زمانٌ لا يسلمُ لذي دينٍ دينُهُ إلَّا مَنْ فَرَّ بدينِهِ مِنْ قريةٍ إلى قريةٍ، ومن شاهِقٍ إلى شاهِقٍ، ومن جحرٍ إلى جحرٍ، كالثعلب الذي يَرُوغُ[٢]».

قالوا: ومتى ذاك يا رسولَ الله؟ قال:

«إذا لم تنل المعيشةُ إلا بمعاصي الله عزَّ وجلَّ، فإذا كان ذلك الزمان حلَّت العُزُوبة».

قالوا: وكيفَ ذاك يا رسولَ الله وقد أمرتنا بالتزويج؟ قال:

«إنَّه إذا كان ذلك الزمان كان هلاكُ الرَّجُلِ على يدي أبويه، فإنْ لم يكن له أبوان فعلى يدي زوجته وولَدِهِ، فإنْ لم يكن له زوجةٌ، ولا ولدٌ فعلى يدي قرابته».

قالوا: وكيف ذاك يا رسولَ الله؟ قال رسول الله ﷺ:

٥٩/أ / «يُعَيِّرونَه بضيق المعيشةِ[٣] فيتكلَّفُ ما لا يطيقُ حتى توردَهُ موارِدَ الهلَكَةِ».

في نسخة الشيخ: حدثنا الحسن بن يحيى بن حَمُويَةَ السِّيرجاني، عن محمد بن إسماعيل الصَّائغ، قال: حدثنا عَفَّان[٤]، قال: نا عبد

---

(١) خرَّجه العراقي في الإحياء ٢ : ٢٤، ٢٣٢، وقال: أخرجه الخطّابي في «العزلة» من حديث ابن مسعود نحوه، وللبيهقي في الزهد نحوه في حديث أبي هريرة، وكلاهما ضعيف.

(٢) راغ الثعلب رَوْغاً ورَوَغاناً: مال وحاد عن الشيء.

(٣) في الإحياء: «بضيق اليد».

(٤) هو عفان بن مسلم بن عبد الله الأنصاري، أحد الأئمة الأعلام، إمام ثقة متين. لم يجب في المحنة. توفي سنة ٢٢٠ هـ (خلاصة تذهيب الكمال ٢٦٨).

الواحد بن زياد، قال: حدثنا عاصم الأحول، قال: حدثني أبو كبشة[1]، قال: سمعت أبا موسى[2] يقول: قال رسول الله ﷺ:

«إنَّ بين أيديكم فِتناً كقِطَع الليل المظلم؛ يُصبحُ الرجلُ فيها مؤمناً، ويُمسي كافراً، ويمسي مؤمناً، ويصبحُ كافراً؛ القاعدُ فيها خيرٌ من القائم، والقائمُ خيرٌ من الماشي، والماشي خيرٌ من السَّاعي».

قالوا: فما تأمُرنا؟ قال:

«كونوا أَحْلَاسَ[3] بيوتكم»[4].

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرنا محمد بن هاشم، قال: حدثنا الدَّبَرِيُّ، عن عبد الرزَّاق، قال: أخبرنا مَعْمَر، عن إسحاق بن راشد، عن عمرو بن وابِصَةَ[5] الأسدي، عن أبيه، قال: حدثني عبد الله بن مسعودٍ،

---

(١) هو أبو كبشة السدوسي البصري، روى له أبو داود في سننه. (خلاصة تذهيب الكمال ٤٥٨).

(٢) هو أبو موسى الأشعري، عبد الله بن قيس بن سُليم، صحابي جليل، من الشجعان الولاة الفاتحين. ولما كانت وقعة الجمل أرسل علي يدعو أهل الكوفة لينصروه، فأمرهم أبو موسى ـ وكان والياً عليها ـ بالقعود في الفتنة، فعزله علي، فأقام إلى أن كان التحكيم وخدعة عمرو بن العاص، فارتد أبو موسى إلى الكوفة وتوفي فيها سنة ٤٤ هـ.

(طبقات ابن سعد ٢: ٣٤٤ و٤: ١٥ و٦: ١٦، والإصابة ترجمة ٤٨٨٩، وطبقات القراء ١: ٤٤٢، والأعلام للزركلي ٤: ١١٤).

(٣) حِلس البيت: ما يبسط تحت حُرِّ المتاع، والجمع أحلاس. ويقال: فلان حِلْسُ بيته، إذا لم يَبْرَحْهُ. ومعنى: كونوا أحلاس بيوتكم: أي الزموها ولا تفارقوها. وقطع الليل: طائفة منه، أراد فتنة مظلمة سوداء.

(٤) رواه الترمذي رقم (٢٢٠٥) في الفتن، وأبو داود في الفتن والملاحم رقم (٤٢٥٩)، باب في النهي عن السعي في الفتنة؛ وابن ماجه في الفتن (باب التثبت في الفتنة) رقم (٣٩٦١).

(٥) وابصة: هو ابن معبد، وله صحبة. وعمرو بن وابصة بن معبد الأسدي الرقي. (الإصابة تـر ٩٠٨٥، وخلاصة تذهيب الكمال ٢٩٤).

قال: ذكَر رسول الله ﷺ الفتنة وأيام الهَرْجِ، قلت: وما الهَرْجُ؟ قال:

«حين لا يأمنُ الرجلُ جليسَهُ».

قلت: فيم تأمرني إنْ أدركْتُ ذلكَ الزمانَ؟ قال:

«تكفَّ(١) نفسَكَ ويدَكَ وادخُلْ دارَكَ».

قال: قلتُ يا رسولَ اللّهِ! أرأيتَ إنْ دخَلَ عليَّ داري؟ قال:

«فادخُلْ بيتَكَ».

قال: قلتُ يا رسولَ الله! أرأيتَ / إنْ دخل علي بيتي؟ قال: ٥٩/ب

«فادخُلْ مسجدَكَ واصنَعْ هكذا».

وقبض بيمينه على الكوع،

«وقُلْ ربِّي اللَّهُ، حتى تموتَ على ذلك»(٢).

قال الشيخ أبو سليمان: قد أنذرَ رسول الله ﷺ أمَّتَه أيام الهَرْجِ في عدة أخبار، وحذَّرَهم فتنته(٣)، وأوضح في هذا الخبر معناه، وذكر أن أمارة الهَرْجِ ألَّا يأمَنَ الرجلُ جليسَهُ. فتأمَّلوا رحمكم الله، فإنْ كنتم لا تأمنون جلساءكم في هذا الزمان ولا تسلِّمون على أكثر من تصحبون، فاعلموا أنْ قد حلَّت العزلةُ، وطابَ الهَرَبُ، وحانَ الفِرارُ منهم. وإنْ كانوا على خلافِ هذا النعت فكونوا لهم على خلافِ هذا الرأي. وما التوفيقُ إلا بالله.

---

(١) في الإحياء: «كُفَّ».

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الفتن رقم (٤٢٥٨)، باب النهي عن السعي في الفتنة.
وخرَّجه العراقي في الإحياء ٢ : ٢٣٣، وقال: أخرجه أبو داود مختصراً، والخطابي في «العزلة» بتمامه؛ وفي إسناده عند الخطابي انقطاع، ووصله أبو داود بزيادة رجل اسمه سالم يحتاج إلى معرفته.

(٣)في المطبوع: «فتنه».

حدثنا أبو سليمان، قال: حدثنا عبد الله بن محمد المِسْكيُّ، قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن الجُنَيْد، قال: حدثنا عبد الوارث، عن عبد الله ابن المبارك، قال: أخبرنا شعبة، عن حبيب بن عبد الرحمن، عن حفص ابن عاصم بن عمر، أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: «خذوا بحظكم من العزلة».

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا محمد بن الطَّيِّب المَرْوَزِيُّ، قال: حدثنا عَلِيَّك[1] الرَّازي، قال: حدثنا محمد بن منصور الجواز، قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن عَنْبَسَةَ بن سعيد القرشي، عن إسماعيل بن أميَّة، قال: قال عمر رضي الله عنه / : «في العُزْلَةِ راحةٌ من خليط السوء». ٦٠/أ

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرنا ابنُ الأعرابي، قال: حدثنا بكر بن فرقد، قال: حدثنا يَحيـى بن سعيد القطَّان، قال: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حَازِمٍ، عن طلحة بن[2] عُبَيْد الله، قال: «إنَّ أقلَّ[3] لِعَيْبِ الرجل أن يجلِسَ في داره».

في نسخة الشيخ: نا الحسن بن يحيـى، عن موسى بن هارون، قال: حدثنا العلاء بن سالم، قال: نا حفص، قال: نا ثَوْبَان، عن أبي يحيـى الكَلَاعي، قال: قال أبو الدَّرداء: «نِعْمَ صومعةُ الرجل بيتُه؛ يكفُّ

---

(١) هو علي بن سعيد الرازي يعرف بعَلِيَّك. والكاف في لغة العجم هي حرف التصغير. وبعض الحفاظ قيده باختلاس كسرة اللام وفتح الياء وخفَّف. قال ابن نقطة: وهذا عندي أصح، وليس في كتاب الأمير ابن ماكولا تشديد الياء بل أهمل ذلك. وقد ضبطه المؤتمن الساجي بسكون اللام وفتح الباء. (المشتبه ٢: ٤٦٩).

(٢) في الأصل: «طلحة عن عبيد الله» وهو خطأ. وهو طلحة بن عبيد الله، صحابي جليل، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام. قتل يوم الجمل سنة ٣٦ هـ.
(الإصابة تر ٤٢٦٦، وتهذيب التهذيب ٥: ٢٠، وخلاصة تذهيب الكمال ١٨٠).

(٣) في المطبوع: إنَّ أقل شيء لعيب الرجل...

سمعَه وبصرَه ودينَه وعرضَه. وإياكم والجلوسَ في الأسواق فإنَّها تُلْهي وتلغي»[1].

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن عمرو الزِّئبقيُّ، قال: حدثنا محمد بن سِنان القزَّاز، قال: حدثنا أبو بكر الحنفي، قال: حدثنا بُكَير بن مسمار[2]، قال: سمعت عامر بن سعد بن أبي وقاص، قال:

«كان سعدٌ في إبل له وغَنَمٍ، فأتاه ابنُه عمرُ بن سعد، فلما رآه قال: أعوذُ بالله من شرِّ هذا الراكب. فلما انتهى إليه، قال: يا أبةِ، أَرَضيتَ أن تكونَ أعرابيّاً في إبلكَ وغنمكَ، والناسُ يتنازعون في الملك[3]؟ قال: فضرب سعدٌ صدرَ عمر بيده، وقال: اسكت يا بني، فإنِّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:

«إنَّ الله يُحِبُّ العَبْدَ التَّقِيَّ الغَنِيَّ الخَفِيَّ»[4].

قال الشيخ: / كان سَعْدٌ[5] - رحمه الله - ممن اعتزل أيامَ ٦٠/ب

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في صفة الصفوة ١: ٦٤٠ مع اختلاف في اللفظ. وتلغي: أي توقع صاحبها في لغو الكلام وسقطه وخطئه.

(٢) هو بكير بن مسمار مولى سعد، أبو محمد المدني. ثقة. مات سنة ١٥٣ هـ. (خلاصة تذهيب الكمال ٥٢).

(٣) في سير أعلام النبلاء: «في الملك بالمدينة».

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الزهد رقم (٢٩٦٥)، باب الزهد والرقائق، وأحمد في مسنده ١: ١٦٨ في الزهد، وأبو نعيم في الحلية ١: ٩٤.
كما خرَّجه العراقي في الإحياء ٢: ٢٢٥. وانظر سير أعلام النبلاء ١: ١٠٢.
والمراد بالغني هنا: غنى النفس. والخفي: الخامل المنقطع إلى العبادة، أي الذي لا يبغي الشهرة ولا يتعرض للناس من أجلها.

(٥) سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي، الصحابي الأمير، فاتح العراق ومدائن كسرى، وأحد الستة الذين عينهم عمر بن الخطاب للخلافة، وأول من رمى بسهم في سبيل الله، وأحد العشرة المبشرين بالجنة. توفي سنة ٥٥ هـ. (طبقات =

الفتنة[1] فلم يكن مع واحد من الفريقين، فأرادوه على الخروج فأبى، وضرب لذلك مثلاً.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرنا ابنُ الأعرابي، قال: حدثنا محمد ابن أحمد بن أبي العوَّام، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا كثير بن مروان الفلسطيني، قال: حدثني جعفر بن بُرْقان، عن مَيْمُون بن مِهْران، قال:

«إنَّ سعداً لمَّا دَعَوْه إلى الخروج معهم أَبَى عليهم[2]، ثم قال: لا، إلّا أنْ تعطوني سيفاً له عينان بصيرتان، ولسانٌ ينطِقُ بالكافِـر فأقتله، وبالمؤمن فأكفّ عنه؛ وضرب لهم مثلاً فقال: مثلُنا ومثلُكم كَمَثَلِ قومٍ كانوا على محجَّةٍ[3] بيضاءَ، فبينا هم كذلك يسيرون هاجَتْ ريحٌ عجَّاجَةٌ، فضلُّوا الطريقَ والتبسَ عليهم؛ فقال بعضُهم: الطريقُ ذاتَ اليمين، فأخذوا فيها فتاهوا وضلُّوا، وقالَ آخرون: الطريقُ ذاتَ الشمال، فأخذوا فيها فتاهوا وضلُّوا؛ وقال آخرون: كنَّا في الطريق حيثُ هاجت الريح، فننيخُ فأناخوا، فأصبحوا فذهبَ الريحُ وتبيَّنَ الطريقُ؛ فهؤلاء هم الجماعةُ؛ قالوا: نلزم ما
٦١/أ فارَقنا عليه رسول الله ﷺ حتى نلقاه / ولا ندخل في شيءٍ من الفتن.

قال أبو سليمان: قال مَيْمُون[4]: فصار الجماعة والفئةُ التي تدعى فيه الإسلام[5]، ما كان عليه سعدُ بن أبي وقاص وأصحابُه الذين اعتزلوا

= ابن سعد ٦: ٦، وتهذيب ابن عساكر ٦: ٩٣، والإصابة ترجمة ٣١٨٧، وسير أعلام النبلاء ١: ٩٢ - ١٢٤).

(١) أي اعتزل الفتنة بعد مقتل عثمان والتزم بيته. وفي سير أعلام النبلاء ١: ١٢٢: «اعتزل سعد الفتنة، فلا حضر الجمل ولا صِفّين ولا التحكيم، ولقد كان أهلاً للإمامة، كبير الشأن، رضي الله عنه». وانظر خبر اعتزاله في شرح الإحياء للزبيدي ٦: ٣٣٣.

(٢) في الأصل: «عليه».

(٣) المحجَّة: الطريق، وقيل: جادة الطريق، وقيل: محجة الطريق: سَنَنُه. (اللسان).

(٤) أي ميمون بن مهران راوي الخبر.

(٥) في العبارة هنا وقفة.

الفتن، حتى أذهب الله الفُرْقَةَ وجمع الألفةَ، فدخلوا الجماعةَ ولزِموا الطاعةَ وانقادوا، فمن فعل ذلك ولزِمه نجا، ومن لم يلزَمْهُ وقَعَ في المهالك.

قال الشيخ أبو سليمان: وممن اعتزلَ تلك الفتنةَ، فلم يكن مع واحدٍ من الفريقين حتى انجلَتْ، محمدُ بنُ مَسْلَمَةَ الأنصاريُّ(١)، وعبد الله بن عمر بن الخطاب(٢) في عدة كثيرة من الصحابة.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرنا ابنُ داسَةَ، قال: حدثنا أبو داود، قال: حدثنا عمر بن مَرْزُوق، قال: حدثنا شُعْبَةُ، عن الأشعث بن سُليم، عن أبي بُرْدَةَ، عن ثَعْلَبَة بن ضُبَيْعة، قال: دخلنا على حُذَيفة، فقال:

إني لأعرف رجلاً لا تَضُرُّه الفتنُ شيئاً، قال: فخرجنا فإذا فسطاطٌ(٣) مضروبٌ، فدخلنا فإذا فيه محمد بن مَسْلَمة الأنصاريّ، فسألناه عن ذلك، فقال: ما أريد أن يشتمل على شيء من أمصارهم حتى تنجليَ عمَّا انجلَتْ(٤).

---

(١) هو محمد بن مسلمة الأوسي الأنصاري الحارثي، أبو عبد الرحمن، صحابي من الأمراء. شهد بدراً وما بعدها إلا غزوة تبوك. واستخلفه الرسول ﷺ على المدينة في بعض غزواته، وولاه عمر على صدقات جهينة. اعتزل الفتنة في أيام علي فلم يشهد الجمل ولا صِفّين. مات بالمدينة سنة ٤٣ هـ وقيل ٤٦ هـ.

(طبقات ابن سعد ٣: ٤٤٣، والإصابة تر ٧٨٠٦، والكامل لابن الأثير ٣: ٢، وتاريخ ابن عساكر ١٥: ٤٧٧/أ، وتهذيب التهذيب ٩: ٤٥٤، وسير أعلام النبلاء ٢: ٣٦٩).

(٢) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب، أبو عبد الرحمن، صحابي جليل. نشأ في الإسلام وهاجر إلى المدينة مع أبيه، وشهد فتح مكة. أفتى الناس في الإسلام ستين سنة. ولما قتل عثمان عرض عليه نفر أن يبايعوه بالخلافة فأبى. وهو آخر من توفي بمكة، توفي سنة ٧٣ هـ.

(طبقات ابن سعد ٢: ٣٧٣ و ٤: ١٤٢، ونسب قريش ٣٥٠، ووفيات الأعيان ٣: ٢٨، والإصابة ٢: ٣٤٧، وسير أعلام النبلاء ٣: ٢٠٣).

(٣) في الأصل: «فسطاطاً».

(٤) أخرجه ابن سعد ٣: ٤٤٤، والحاكم في المستدرك ٣: ٤٣٣ وصححه، ووافقه =

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرنا محمد بن هاشم، قال: حدثنا الدَّبَرِيُّ[١]، عن عبد الرزَّاق[٢]، عن مَعْمَر[٣]، عن أيُّوب[٤]، عن ابن سيرين[٥] / ، قال: ٦١/ب

ثارت الفتنة وأصحابُ رسول الله ﷺ عشرة آلاف، فلم يَخِفَّ فيها أربعون رجلاً.

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا ابن الزِّئبقيِّ، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا إسماعيل بن إسحاق، قال: حدثنا إبراهيم بن بشَّار[٦]، قال: حدثنا سُفْيان، عن عمرو بن دينارٍ، قال:

أخبرني مَنْ سمع عمرو[٧] بن العاص يوم صفّين يقول لابنه عبدِ الله:

= الذهبي، ولفظه: قال حذيفة: إني لأعرف رجلاً لا تضره الفتنة، فأتينا المدينة، فإذا فسطاط مضروب، وإذا محمد بن مسلمة الأنصاري، فسألناه، فقال: لا نشتمل على شيء من أمصارهم حتى ينجلي الأمر على ما انجلى.

وانظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٣: ٨٧.

(١) هو أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن عباد الدَّبَري، نسبة إلى دَبَر، وهي من قرى صنعاء اليمن. انظر اللباب ١: ٤٨٩، وياقوت (دَبَر).

(٢) هو عبد الرزاق بن همَّام بن نافع، أبو بكر الصنعاني. ثقة، نسب إلى التشيّع. توفي سنة ٢١١ هـ.

(٣) في الأصل: «محمد» وهو خطأ. وهو معمر بن راشد الأزدي، أبو عروة البصري. نزيل اليمن.

(٤) أيوب بن أبي تميمة، كيسان السَّختياني، أبو بكر البصري. ثقة. من كبار الفقهاء العباد. توفي سنة ١٣١ هـ.

(٥) هو محمد بن سيرين الأنصاري، أبو بكر بن أبي عمرة، البصري، مولى أنس بن مالك.

(٦) إبراهيم بن بشَّار الرَّمادي، أبو إسحاق البصري، روى عن سفيان بن عيينة، وعنه إسماعيل بن إسحاق القاضي. صدوق، له أوهام.

(٧) في الأصل: «عمر» وهو تحريف.

يا بني! انظر، أين تَرَى عليّاً؟ قال: أراه في تلك الكتيبة القَتْماء[1] ذاتِ الرماح، عليه عمامةٌ بيضاءُ، قال: لله درُّ ابن عُمَر وابن مالك[2]! لئن[3] كان تخلُّفهم عن هذا الأمر خيراً كان خيراً مبروراً، ولئن [كان][4] ذنباً كان ذنباً مغفوراً. فقال له ابنه: أيْ أَبَهْ! فما يَمْنَعُكَ إذ غَبَطْتَهُم أن ترجِعَ؟ فقال: يا بُنيّ! إنَّ الشيخ مثلي إذا دخل في الأمر لم يدعه حتى يُحكِمَه؛ أنا أبو عبد الله، «إذا حَكَكْتُ قَرْحَةً أَدْمَيْتُها[5]»[6].

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرنا ابنُ الأعرابي، قال: حدثنا محمد ابن يحيى بن المنذر، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا المبارك بن فَضَالة، عن الحسن، عن أبي بَكرة[7]، قال:

لما اشتدَّ القتالُ يومَ الجمل، ورأى عليٌّ رضي الله عنه الرؤوس

---

(١) القَتْماء: الغبراء، من القتام وهو الغبار.

(٢) ابن مالك: هو سعد بن أبي وقّاص، كان وعبد الله بن عمر ومحمد بن مسلمة الأنصاري في عدة من الصحابة تخلَّفوا عن الفريقين وقعدوا عن تلك الفتنة حتى انجلت. (انظر غريب الحديث للخطابي ٢ : ٤٨٦).

(٣) حتى قوله: «لئن» مستدرك في الهامش.

(٤) زيادة من المطبوع.

(٥) في اللسان وغريب الحديث للخطّابي: «دمَّيتها». أي إذا قصدت غاية تقصَّيْتُها.

(٦) هو مثل يضرب للرجل المصيب بالظنون، فإذا ظن فكأنه رأى.

والمثل لعمرو بن العاص؛ قاله حين قُتل عثمان، رضي الله عنه، وكان ممن اعتزل الفتنة فيه، وقال: إنه سيقتل، وذلك حين أبى أن يخلع نفسه، وأبى الناس أن يليَ عليهم، فلما قتل قال: «إذا حككت قرحة أدميتها»، أي إذا ظننت الظنَّ أصبت، كأني بلغت منتهى الرأي. وهو على مذهب قول أوس بن حجر:

الألمعيُّ الذي يظنُّ بك الظَّنَّ كأن قد رأى وقد سمعا

وانظر جمهرة الأمثال للعسكري ١ : ١٤٤، ومجمع الأمثال ١ : ٢٨، والمستقصى ١ : ١٢٤.

(٧) هو نفيع بن الحارث بن كَلَدة الثقفي، أبو بكرة. صحابي مشهور بكنيته، رضي الله عنه. روى عنه الحسن البصري. وكان ممن اعتزل الفتن. مات سنة ٥١ أو ٥٢ هـ.

تندُر[1]، أخذ الحسَنَ ابنَه وضمَّه[2] إلى صدره ثم قال: إنَّا لله يا حَسَنُ، أيُّ خيرٍ يُرْجَى بعد هذا!!.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني إسماعيل بن محمد، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، قال: سمعت الرياشيَّ يقول: قال الأصمعي:

٦٢/أ وقعتِ الفتنةُ، وكان عمرو بن / العاص أعفَّ الناس فيها، فأصبح ذات يومٍ فجمع ابنيه عبدَ الله ومحمداً، فقال: يا بَنيَّ! أصبحتِ العربُ غارَيْن[3] مضطربين، وليس مثلي يرضى بهذه المنزلة، فإلى من تريان؟ قال عبد الله: فقلت له: يا أبه! أمَّا إذا ثبت فإلى عليٍّ. قال: يا بُنيَّ! إني إنْ أتيتُ علياً كنتُ عنده كأحد المسلمين، وإن أتيتُ معاوية أشركني في أمره، قال: فوالله ما خيرٌ لأبي عبد الله[4].

قال الشيخ أبو سليمان: وكان ابن عُمَر من أشدّ الصحابة حَذَراً من الوقوع في الفتن، وأكثرهم تحذيراً للناس من الدخول فيها؛ وبقي إلى أيامِ فتنة ابن الزُّبير، فلم يقاتِلْ معه، ولم يدافع عنه، إلا أنَّه كان يشهد الصلاةَ معه، فإذا فاتته صلَّاها مع الحجاج؛ وكان يقول: إذا دَعُونا إلى الله أجبناهم، وإذا دعونا إلى الشيطان تركناهم.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني ابن الأعرابي، قال: حدثني أبو سعيد الحارثي كُرْبُزَان[5]، قال: حدثنا يحيى بن سعيد القَطَّان، قال:

---

(١) ندر الشيء يندر ندوراً: سقط.

(٢) في الأصل: «فضمَّه».

(٣) الغار: الجماعة من الناس. وقيل: الجيش الكثير، يقال: التقى الغاران، أي الجيشان؛ ومنه قول الأحنف في انصراف الزبير عن وقعة الجمل: وما أصنع به إن كان جمع بين غارين من الناس ثم تركهم وذهب. (اللسان).

(٤) تاريخ ابن عساكر ١٣/٢٦٠/أ، وسير أعلام النبلاء ٣: ٧١.

(٥) هو عبد الرحمن بن محمد بن منصور، أبو سعيد الحارثي البصري ثم البغدادي، ولقبه كُرْبُزَان. توفي سنة ٢٧١ هـ.

=

حدثنا محمد بن مِهْران[1] بن مسلم بن المثنى، قال: حدثني مسلم، قال:

كنَّا مع عبد الله بن الزُّبير والحجاجُ محاصِرُهُ، وكان ابنُ عُمَر يصلِّي مع ابن الزُّبير، فإذا فاتته الصلاةُ معه وسَمِعَ / مؤذِّنَ الحجَّاج انطلق فصلَّى معه. فقيل له: تصلي مع ابن الزُّبير ومع الحجاج؟ فقال: إذا دعُونا إلى الله أجبناهم، وإذا دعونا إلى الشيطان تركناهم. وكان يَنْهى ابنَ الزُّبير عن طلب الخلافة والتَّعرُّضِ لها. ٦٢/ب

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا أحمد بن زياد، قال: حدثنا الحسن ابن سعيد، قال: حدثنا غَسّان بن عبيد، قال[2] الأسود بن الشيبان[3] السدوسيُّ، عن أبي نَوْفل بن أبي عقرب[4]، قال:

لمَّا قتَلَ الحجاجُ ابنَ الزُّبير وصلَبَه على طريق المدينة؛ يغايظُ به قريشَ المدينة، فمـرَّ[5] به عبد الله بن عُمَر فوقف عليه، فقال: السَّلامُ عليكَ أبا خُبَيْب، ثلاثَ مرات، واللّهِ كنتُ أنهاكَ عن هذا، ثلاثاً، واللّهِ لقد كنتَ صوَّاماً قوَّاماً وَصُولاً للرَّحِمِ، واللّهِ لَأُمَّةٌ أنتَ شرُّها لَنِعْمَ تلكَ الأمَّة؛ ثم مَضَى.

= (الجرح والتعديل ٥: ٢٨٣، وتاريخ بغداد ١٠: ٢٧٣، وسير أعلام النبلاء ١٣: ١٣٨).

(١) ويقال: محمد بن إبراهيم بن مسلم بن مهران بن المثنى المؤذن، الكوفي. ينسب إلى جد أبيه، وإلى جد جده، صدوق يخطىء. روى عن جده مسلم بن مهران أو مسلم بن المثنى. (تهذيب التهذيب ٩: ١٦).

(٢) كذا في الأصل.

(٣) لفظ: «الشيبان» مستدرك في الهامش. وهو الأسود بن شيبان السدوسي، بصري، يكنى أبا شيبان، ثقة عابد. مات سنة ١٦٠ هـ. (التقريب ١: ٧٦، وتهذيب التهذيب ١: ٣٣٨).

(٤) أبو نوفل بن أبي عقرب العرنْجي، اسمه مسلم أو عمرو بن مسلم. وثقه ابن معين وابن حبان. (خلاصة تذهيب الكمال ٤٦٢).

(٥) كذا في الأصل. ولعلها «مرَّ به».

فكان كذلك أيضاً يكـرَهُ للحسين بن عليّ، رضي اللّهُ عنهما، الخروجَ إلى العراقِ، وأشار عليه بالانصراف إلى المدينة، فأبَى إلاّ مضيّاً لوجهه، فجرى عليه من القوم ما جَرَى، حَسيبُهم اللّه سبحانَه ومكافئهم.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرنا ابن الأعرابي، قال: حدثنا يحيـى ابن جعفر بن الزِّبْرِقَان، قال: حدثنا شَبَابَةُ بن سَوَّارٍ[١]، قال: حدثنا يحيـى
٦٣/أ ابن إسماعيل بن / سالم الأسدي، قال:

سمعت الشَّعْبيَّ[٢] يحدّث عن ابن عُمَر أنَّه كان بمالِهِ، فبلَغَهُ أنَّ الحسين، رضي اللّهُ عنه، قد توجَّه إلى العراق، فلحِقَه على مسيرة ثلاثة أيام[٣]، فإذا معه طواميرُ[٤] وكُتُبٌ، فقال: هذه كتبهُم وبَيْعَتُهم، فقال: لا تأتِهِمْ، فأبَى، فقال: إنِّي محدِّثك حديثاً: أنَّ جبريلَ أتى النبيَّ ﷺ فخيَّره بين الدنيا والآخرة، فاختار الآخرة ولم يُرد الدنيا، وإنكم بَضْعَةٌ من رسول الله ﷺ، والله لا يليها أحدٌ منكم أبداً، وما صرفها عنكم إلاَّ الذي هو خيرٌ لكم؛ فأبَى أن يرجع، قال: فاعْتَنَقَه ابنُ عُمَرَ وَبَكى، وقال: أستودِعُكَ اللّهَ من قتيلٍ[٥].

---

(١) شبابة بن سوّار الفزاري بالولاء، أبو عمرو. من رجال الحديث، أصله من خراسان، سكن المدائن وأقام ببغداد، وتوفي بمكة سنة ٢٠٦ هـ. كان يقول بالإرجاء، وهو ثقة بالحديث.

انظر طبقات ابن سعد ٧: ٣٤٠، وتذكرة الحفاظ ١: ٣٦١، وتهذيب التهذيب ٤: ٣٠٠، وسير أعلام النبلاء ٩: ٥١٣.

(٢) هو عامر بن شراحيل الحميري الشعبي، أبو عمرو، راوية من التابعين. اتصل بعبد الملك بن مروان، وكان نديمه وسميره ورسوله إلى ملك الروم. وولي القضاء لعمر بن عبد العزيز. توفي سنة ١٠٣ هـ.

تهذيب التهذيب ٥: ٦٥، وخلاصة تذهيب الكمال ١٨٤، والوفيات ٣: ١٢، وتهذيب ابن عساكر ٧: ١٣٨، وسير أعلام النبلاء ٤: ٢٩٤.

(٣) حتى قوله: «ثلاثة أيام» مثبت في الهامش.

(٤) الطوامير: جمع طامور وطومار، وهي الصحيفة.

(٥) خرّجه العراقي في تخريجه أحاديث الإحياء ٢: ٢٣٣، وقال: «رواه الطبراني مقتصراً =

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا عبد الله بن شَاذان الكُرَانيّ، قال: حدثنا السَّاجيُّ[1]، قال: حدثنا بُندار[2]، قال: حدثنا بندار أبي، قال: حدثنا أبو محمد، قال: حدثنا سفيان، عن أبي أمية، عن داود بن شابور، قال:

كان طاووس[3] قد جلس في بيته، فقلنا له في ذلك، فقال: فسادُ الناس وحَيْفُ الأئمة.

أخبرنا أبو سليمان، قال: قال أبو عبيد القاسم بن سلام: رُوي عن ابن سيرين[4] أنَّه قال:

العُزْلَةُ عِبادةٌ.

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا الحسن بن عبد الرحيم، قال: حدثنا محمد بن الحسين اللّخميُّ، قال: حدثنا حُمَيْدُ بن الربيع، قال:

= على المرفوع؛ رواه في الأوسط بذكر قصة الحسين مختصرة ولم يقل: على مسيرة ثلاثة أيام، وكذا رواه البزار بنحوه، وإسنادهما حسن».

ومعنى حديث رسول الله ﷺ في مسند أحمد ٣: ١٨، ٤٧٨، و٤: ٢١١، وفي الترمذي المناقب رقم (٣٦٦٠، ٣٦٦١)، باب من فضائل أبي بكر. وانظر البداية والنهاية ٨: ١٦٠، وتهذيب ابن عساكر: ٤: ٣٣٢، وسير أعلام النبلاء ٣: ٢٩٢.

(١) هو زكريا بن يحيى السَّاجي البصري، ثقة، فقيه، مات سنة ٣٠٧ هـ، وهو في عشر التسعين. (سير أعلام النبلاء ١٤: ١٩٧).

(٢) هو محمد بن بشار بن عثمان العبدي، أبو بكر البصري، بُنْدار.

(٣) هو طاووس بن كيسان الخولاني الهمداني، بالولاء، أبو عبد الرحمن. من أكابر التابعين تفقهاً في الدين ورواية للحديث، وتقشفاً في العيش، وجرأة على وعظ الخلفاء والملوك. كان يأبى القرب من الملوك والأمراء. توفي سنة ١٠٦ هـ.

انظر: طبقات ابن سعد ٥: ٥٣٧، وحلية الأولياء ٤: ٣، ٢٣، وتذكرة الحفاظ ١: ٩٠، وتهذيب التهذيب ٥: ٨، وسير أعلام النبلاء ٥: ٣٨.

(٤) هو محمد بن سيرين البصري، الأنصاري بالولاء، أبو بكر. إمام وقته في علوم الدين بالبصرة. تابعي، من أشراف الكتاب. اشتهر بالورع وتعبير الرؤيا. توفي سنة ١١٠ هـ.

انظر: طبقات ابن سعد ٧: ١٩٣، ووفيات الأعيان ٤: ١٨١، وتهذيب التهذيب ٩: ٢١٤، وسير أعلام النبلاء ٤: ٦٠٦.

حدثنا أنس بن عياض، قال: حدثنا هشام بن عروة، قال:

لما بنى عروة[1] قصرَه بالعقيق[2] لَزِمَه، قيل له: ما لك لزِمْتَ هذا القصرَ وتركتَ مسجدَ رسول الله ﷺ؟ فقال: رأيتُ مساجدكم لاهيةً، وأسواقَكُم لاغيةً[3]، والفاحشةَ في فجاجكم[4] عاليةً، وكان فيما هنالك عما أنتم فيه عافيةٌ.

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا الكُرانيّ[5]، قال: حدثنا عبد الله بن شَبيب، قال: حدثنا زكريا بن يحيى المِنْقَرِيّ، / قال: حدثنا الأصمعيُّ، عن سفيان بن عُيَيْنَةَ، قال: ٦٣/ب

قالوا لعبد الله بن عروة بن الزبير[6]: ألا تأتي المدينةَ؟ فقال: ما بقي بالمدينة إلا حاسدٌ لنعمةٍ[7]، أو فرِحٌ بِنِقْمةٍ.

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا ابن الأعرابي، قال: حدثنا محمد

---

(١) هو عروة بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي، أبو عبد الله المدني، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، وأحد علماء التابعين. ثقة، كثير الحديث. لم يدخل نفسه في شيء من الفتن. توفي سنة ٩٣ هـ.

انظر: طبقات ابن سعد ٥: ١٧٨، ووفيات الأعيان ٣: ٢٥٥، وتذكرة الحفاظ ١: ٥٨، وتهذيب التهذيب ٧: ١٨٠، وسير أعلام النبلاء ٤: ٤٢١.

(٢) العقيق: واد بناحية المدينة فيه عيون ونخل. (ياقوت).

وانظر الخبر في «الصداقة والصديق» للتوحيدي ص ٩٧ مع اختلاف في اللفظ.

(٣) اللاغية: الفاحشة. وفي التنزيل: «لا تسمع فيها لاغية» أي كلمة ذات لغو. وقيل: أي كلمة قبيحة أو فاحشة. (اللسان).

(٤) الفجاج: جمع فج، وهو الطريق.

(٥) هو عبد الله بن شاذان الكُراني، وقد سبق. والكُراني نسبة إلى قرية كُران قرب سيراف. روى عن عبد الله بن شبيب المدني وزكرياء بن يحيى الساجي. (ياقوت).

(٦) عبد الله بن عروة بن الزبير بن العوام، الأسدي، تابعي، من الخطباء الشجعان. كان يشبه بعبد الله بن الزبير في لسانه وجلده.

(نسب قريش ٢١٦، وتهذيب التهذيب ٥: ٣١٩).

(٧) بعدها لفظ: «نعمة» مكررة.

ابن العباس الدُّرَفْس، قال: حدثنا[1] أحمد بن [أبي][2] الحَواري، قال: حدثنا ابن الأعرابي، قال: حدثنا محمد بن تاروحٍ، عن شُعَيْب بن حَرْب، قال:

دخلت على مالك بن مِغْولٍ[3] وهو في داره بالكوفة جالسٌ وحدَه، فقلت: أما تستوحشُ في هذه الدار؟ فقال: ما كنتُ أظنُّ أحداً يستوحشُ مع اللّهِ عزَّ وجلَّ.

قال الشيخ أبو سليمان: ما أشرفَ هذه المنزِلَةَ، وأعلى هذه الدرجةَ، وأعظَمَ هذه الموهبةَ؛ إنما لا يستوحشُ مع الله مَنْ عَمَرَ قلبه بحبه، وأنسَ بذكره، وألفَ مناجاته بسرِّه، وشُغل به عن غيره، فهو مستأنسٌ بالوحدة، مغتبطٌ بالخلوة.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني محمد بن الحسين الآبري، قال: سمعت فارسٍ بن عيسى، يقول: سمعت يوسف بن الحسين، يقول: سمعت ذا النُّون[4] يقول:

وجدت صخرةً ببيت المقدس[5] عليها أسطرٌ، فجئت بمن ترجمها،

---

(١) في المطبوع: «وحدثنا».

(٢) تكملة من التقريب ١: ١٤، والتهذيب ١: ٢٦، وخلاصة تذهيب الكمال ٥، وصفة الصفوة ٤: ٢٣٧. وهو ابن عبد الله بن ميمون، من الزهاد في الشام. توفي سنة ٢٤٦ هـ.

(٣) مالك بن مغول بن عاصم، الإمام، الثقة، المحدث، أبو عبد الله البجلي، الكوفي. مات سنة ١٥٨ هـ.

(طبقات ابن سعد ٦: ٣٦٥، وتذكرة الحفاظ ١: ١٩٣، وسير أعلام النبلاء ٧: ١٧٤).

(٤) ذو النون المصري، ثوبان بن إبراهيم الإخميمي، أحد الزهاد العباد المشهورين، وشيخ الديار المصرية. مات سنة ٢٤٥ هـ.

(حلية الأولياء ٩: ٣٣١، ووفيات الأعيان ١: ٣١٥، وميزان الاعتدال ١: ٣٣١ وانظر صفة الصفوة ٤: ٣١٥).

(٥) في المطبوع: «صخرة بيت المقدس».

٦٤/أ فإذا عليها / مكتوبٌ: كلُّ عاصٍ مستوحشٌ، وكلُّ مُطيعٍ مُسْتَأْنِسٌ، وكلُّ خائفٍ هاربٌ، وكلُّ راجٍ طالبٌ، وكلُّ قانعٍ غنيٌّ، وكلُّ محبٍّ ذليلٌ(١).

قال أبو سليمان: أنشدني بعضُ أهل المعرفة:

فإنْ كُنْتَ قَدْ أَوْحَشْتْكَ الذُّنوبُ   فَدَعْها إذا شِئْتَ واسْتَأْنِسِ

قال: وأنشدني رجلٌ فاضلٌ من أهلِ زمانِنا لنفسه في كلمة له:

[و] يأنس من وحدةِ العارفين   فأَوْحَشَ مِن وحدةِ الجاهلِ

قال بعض الحكماء: إنما يستوحشُ الإنسانُ بالوحدة؛ لخلاءِ ذاته وعدمِ الفضيلةِ من نفسه فتتكثَّرُ حينئذ بملاقاةِ النَّاس، ويطرُدُ الوَحْشَةَ عن نفسه بالسكون(٢) معهم. فإذا كانت ذاتُه فاضلةً طلب الوحدةَ؛ ليستعين بها على الفكرة، ويتفرَّغَ لاستخراج الحكمة.

وقال بعضهم: الاستئناسُ بالناس من علامات(٣) الإفلاس.

قال الشيخ(٤): وأخبرني الحسن بن عبد الرحيم، قال: حدثنا محمد ابن الحسين اللَّخميّ، قال: حدثنا عمر بن سعيد الطائي، عن خَلَف بن تَميم(٥)، قال: جئتُ أطلبُ إبراهيمَ بن أَدْهم(٦) في يوم مطير، فاطلعْتُ

---

(١) الخبر في حلية الأولياء ٩: ٣٧٦، مع خلاف يسير. وانظر صفة الصفوة ٤: ٣١٩.
(٢) في الأصل: «بالكون معهم».
(٣) في الهامش: «من علامة» بخط مختلف.
(٤) أي المصنف رحمه الله. وهي زيادة من الناسخ.
(٥) هو خلف بن تميم بن أبي عتاب، أبو عبد الرحمن الكوفي، نزيل المِصِّيصة، وصحب إبراهيم بن أدهم بن منصور التميمي البلخي، أبو إسحاق. زاهد مشهور، توفي سنة ١٦١ هـ. ٣: ١٤٨، وسير أعلام النبلاء ١: ٢١٢).
(٦) إبراهيم بن أدهم بن منصور التميمي، أبو إسحاق. زاهد مشهور، توفي سنة ١٦١ هـ. انظر: حلية الأولياء ٧: ٣٦٧، وتهذيب ابن عساكر ٢: ١٧٠، والبداية والنهاية ١٠: ١٣٥، وسير أعلام النبلاء ٧: ٣٨٧.

فلم أره، فأعدْتُ النظرَ فإذا هو قاعدٌ تحت السرير وقد فرَّ من الوَكْف[1]، / ٦٤/ب
فلمَّا نظر إليَّ، قال:

ارضَ باللَّه صاحباً وذرِ النَّاسَ جانباً[2]

أخبرنا أبو سليمان، قال: سمعت ابن الأعرابي، يقول: سمعت سالم بن عبد الله، يقول: سمعت الفُضَيْل بن عِياض[3] رحمه الله، يقول: كفى باللَّه محباً، وبالقرآن مؤنساً، وبالموت واعظاً.

---

(١) الوكف: قطر الماء.

(٢) في شرح الإحياء للزبيدي ٦: ٣٣١ ما نصه: «روى ابن عساكر في تاريخه من غريب المسلسل ما لفظه: أنبأنا أبو الفرج غيث بن علي الخطيب، أخبرنا أبو بكر الخطيب، أخبرنا القاضي أبو محمد بن رامين الاسترابادي، أخبرنا عبد الله بن محمد النصري، حدثنا أحمد بن محمد الحلبي، قال: سمعت سرياً السقطي يقول: سمعت بشراً، يعني ابن الحارث، يقول: قال إبراهيم بن أدهم:

وقفت على راهب في جبل لبنان فناديته فأشرف عليّ، فقلت له: عظني، فأنشأ يقول:

حد عن الناس جانباً ... كي يعدوك راهبا
إن دهراً أظلني ... قد أراني العجائبا
قلب الناس كيف شئـ ... ـت تجدهم عقاربا

قال بشر: هذه موعظة الراهب لك، فعظني أنت، فأنشأ يقول:

توحش من الإخوان لا تبغ مؤنساً ... ولا تتخذ أخاً ولا تبغ صاحبا
وكن ساميَّ الفعل من نسل آدم ... وكن أوحدياً ما قدرت مجانبا
فقد فسد الإخوان والحب والإخا ... فلست ترى إلا مذوقاً وكاذبا

قال سري: فقلت لبشر: هذه موعظة إبراهيم لك، فعظني أنت، فساق الكلام بتمامه. وفيه: فقال أبو بكر الخطيب: فقلت للقاضي ابن رامين: هذه موعظة الحميدي لك فعظني، فقال: اتق الله وثق به ولا تتهمه؛ فإنَّ اختياره لك خير من اختيارك لنفسك، وأنشأ:

اتخذ الله صاحباً ... وذر الناس جانبا
جرب الناس كيف شئـ ... ـت تجدهم عقاربا»

وانظر: تهذيب ابن عساكر ٢: ١٩٧ ـ ١٩٩، والعقد الفريد ٣: ٢١٣.

(٣) هو الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي، أبو علي. من أكابر العباد =

اتـــخـــذ الـــلَّـهَ صـــاحـــبـــاً وذر الـــنـــاسَ جـــانـــبـــا

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني محمد بن الحسين بن عاصم، قال: حدثنا أبو عمرو الحِيريّ، قال: حدثنا علي بن حرب، قال: حدثنا إسماعيل بن زيَّان، قال: حدثنا أبو الرَّبيع الزاهد، قال: قلت لداود[1] الطَّائي: أوصني. قال: صُم الدنيا[2] واجعل فطرَكَ الآخرة، وفرَّ من الناس فرارك من الأسد[3].

أخبرنا الشيخ أبو سليمان، قال: أخبرني الحسين بن سَعْدان، قال: حدثنا محمد بن حميد، قال: حدثني عبد الله بن أسامة، قال: سمعت جعفر بن عمران الثعلبي[4]، قال:

سمِعت ابن السَّمَّاك[5] يقول: كتب إلينا صاحبٌ لنا: أما بعــد، فإنَّ

= الصالحين، ثقة في الحديث، أخذ عنه خلق، منهم الإمام الشافعي. توفي سنة ١٨٧ هـ.

انظر: حلية الأولياء ٨: ٨٤، وطبقات الصوفية ٦ ـ ١٤، وتذكرة الحفاظ ١: ٢٤٥، والتهذيب ٨: ٢٩٤، وسير أعلام النبلاء ٨: ٣٧٢.

(١) هو داود بن نصير الطائي، أبو سليمان، الكوفي الزاهد، أحد الأولياء. كان من كبار أئمة الفقه والرأي، برع في العلم بأبي حنيفة، ثم أقبل على شأنه، ولزم الصمت، وآثر الخمول، وفرَّ بدينه. روى له النسائي، ووثقه ابن معين. توفي سنة ١٦٠ أو ١٦٥ هـ.

انظر: حلية الأولياء ٧: ٣٣٥، وتاريخ بغداد ٨: ٣٤٧، وخلاصة تذهيب الكمال ١١١، وسير أعلام النبلاء ٧: ٤٢٢، وصفة الصفوة ٣: ١٣١.

(٢) في المطبوع والإحياء ٢: ٢٢٢، وشرحه للزبيدي ٦: ٣٣٢: «صم عن الدنيا». وفي صفة الصفوة ٣: ١٣٣ «صم الدنيا» كما في نسختنا، بغير تعدية بعن.

(٣) انظر: حلية الأولياء ٧: ٣٤٥، وصفة الصفوة ٣: ١٣٣، والكشكول للعاملي ١: ٥.

(٤) هو جعفر بن محمد بن عمران الثعلبي الكوفي، صدوق. توفي بعد سنة ٢٤٠ هـ. (خلاصة تذهيب الكمال ٦٣).

(٥) هو أبو العباس محمد بن صبيح العجلي، مولاهم الكوفي، ابن السمّاك. الزاهد القدوة، سيّد الوعاظ. توفي سنة ١٨٣ هـ. =

النَّاسَ كانوا دواءً[١] يُتَداوى به، فأصبحوا داءً[٢] لا يَقْبَلُ الدَّواءَ، ففِرَّ منهم فِرارك من الأسد، واتخذِ اللَّهَ تعالى مؤنساً. والســلام.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرنا ابنُ الأعرابي، قال: حدثنا علي بن سهل بن المغيرة، قال: سمعت أبي يقول:

٦٥/أ رأيت شَريكاً[٣] وقد خرج من دار / المهدي، فاحتوشَه[٤] أصحابُ الحديث، فتقدَّمْتُ إليه وقلتُ له: اطردْهم عنكَ يا أبا عبد الله، قال: وأنطردُ معهم.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني إسماعيل بن أسَدٍ، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، قال: بلغني عن الحسن[٥] رحمه الله أنه كان يقول: كلمات أحفظهنَّ من التوراة[٦]: قَنِعَ ابنُ آدم فاستغنَى، اعتزلَ النَّاسَ فسلِمَ[٧]، ترَكَ الشهوات فصارَ حرّاً، ترك الحسَدَ فظهرتْ مروءتُه، صَبَرَ قليلاً فتمتَّع طويلاً.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني أبو عمرو الحِيريّ، قال: حدثنا مُسَدَّد بن قَطَن، قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم الدَّورقيّ، قال: حدثني

= (حلية الأولياء ٨: ٢٠٣، وصفة الصفوة ٣: ١٧٤، ووفيات الأعيان ٤: ٣٠١، وسير أعلام النبلاء ٨: ٢٩١).

(١) في الأصل: «دواة».

(٢) في الأصل: «دآة».

(٣) هو شريك بن عبد الله بن الحارث النخعي الكوفي أبو عبد الله، عالم بالحديث، فقيه، اشتهر بقوة ذكائه وسرعة بديهته.
(تاريخ بغداد ٩: ٢٧٩، وتذكرة الحفاظ ١: ٢١٤، وسير أعلام النبلاء ٨: ١٧٨).

(٤) احتوش القوم فلاناً وتحاوشوه بينهم: جعلوه وَسَطَهم.

(٥) هو الحسن بن علي بن أبي طالب، كما في شرح الإحياء للزّبيدي.

(٦) في شرح الإحياء ٦: ٣٣٢: «فهي خمس كلمات، ولكل منها شاهد في المرفوع من الأخبار».

(٧) أي سلم دينه، كما في شرح الإحياء.

محمد بن يزيد عن وُهَيْب(١) بن الورد، قال: بلغنا أنَّ الحكمة عشرةُ أجزاء؛ تسعة منها في الصَّمت، والعاشرة [في](٢) عزلة الناس(٣).

قال الشيخ(٤): ورأيت أنَّ خير هذه الأجزاء عزلةُ الناس.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرنا ابنُ الأعرابي، قال: حدثنا عبد الله ابن محمد القزويني، قال: سمعت يوسف بن مُسلم، يقول: قيل لعلي بن بَكّار(٥): ما أصبرك على الوحدة؟ وقد كان لزم البيتَ، فقال: كنتُ وأنا شاب أصبرُ على أشدّ من هذا؛ كنتُ أجالس الناس ولا أكلمهم(٦).

٦٥/ب أخبرنا [أبو](٧) سليمان /، قال: أخبرني أبو الطيب طبطبٌ الورَّاق،

---

(١) في الأصل: «وهب بن الورد». وهو وهيب بن الورد القرشي، أبو عثمان المكي الزاهد. وثقه ابن معين والنسائي، روى له مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي. قال ابن حبان: مات سنة ١٥٣ هـ.

طبقات ابن سعد ٥: ٤٨٨، وحلية الأولياء ٨: ١٤٠، وصفة الصفوة ٢: ٢١٨، وخلاصة تذهيب الكمال ٤١٩، وسير أعلام النبلاء ٧: ١٩٨.

(٢) تكملة من الإحياء ٢: ٢٢٢، وشرحه للزبيدي ٦: ٣٣٢.

(٣) في شرح الإحياء للزبيدي ٦: ٢٣٢: أخرجه أبو نعيم في الحلية، فقال: قال حكيم من الحكماء: العبادة ـ أو قال الحكمة ـ عشرة أجزاء، تسعة أجزاء في الصمت، وواحد في العزلة، فأدومت نفسي من الصمت على شيء فلم أقدر عليه، فصرت إلى العزلة فحصلت لي التسعة.

وانظر: حلية الأولياء ٨: ١٢٤.

(٤) أراد بالشيخ المصنف رحمه الله.

(٥) هو علي بن بكار البصري الزاهد، أبو الحسن المصيصي صاحب إبراهيم بن أدهم. كان عالماً عاملاً ذا كرامات مشهورة. توفي سنة ٢٠٧ أو ٢٠٩ هـ.

انظر: الحلية ٩: ٣١٧، وخلاصة تذهيب الكمال ٢٧١.

(٦) في شرح الإحياء للزبيدي ٦: ٣٣٢: «وقد جرى لداود الطائي هكذا، فإنه جلس في مجلس أبي حنيفة سنة ترد عليه الفتوى والأسئلة وهو لا يكلمهم، ثم اعتزل الناس؛ وقد علم من ذلك أن مخالفة الناس مع عدم الكلام معهم أشد من الانفراد والوحدة».

(٧) زيادة من المطبوع.

قال: حدثني محمد بن يوسف النحوي الورَّاق، قال: حدثني بعضُ مشايخنا، قال: ركبت في سفينة ومعنا شاب من العلويَّة(١)، فمكث معنا(٢) سبعاً لا نسمع له كلاماً، فقلنا له: يا هذا! قد جمعَنا اللَّهُ وإياكَ منذ سبعٍ، لا نراك تخالطنا ولا تكلمنا؟ فأنشأ يقول:

قليل الهمِّ لا ولدٌ يموتُ ... ولا أمرٌ يحاذره يفوتُ
قضى وطرَ الصِّبا وأفاد عِلماً ... فغايتُهُ التفرُّدُ والسكوتُ(٣)

قال أبو سليمان: هذا من نمط قول سفيان(٤) رحمه الله: هذا زمان السكوت ولزوم البيوت(٥).

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنيه الحسين بن محمد الزبيري، قال: حدثنا محمد بن المسيّب، قال: حدثنا ابن خُبَيق(٦)، عن يوسف بن أسباط، عن سفيان.

وأخذه علي بن حُجْر(٧) فقال:

---

(١) أي من ولد علي بن أبي طالب.

(٢) في الأصل: «لنا» وصححت من الإحياء وشرحه.

(٣) البيتان في إحياء علوم الدين ٢: ٢٢٢، وشرحه للزبيدي ٦: ٣٣٣، وهما مع بيت ثالث منسوبة إلى الشافعي في «مناقب الشافعي» للرازي ٢٠٤، و«مناقب الشافعي» للبيهقي ٢: ٩٨ مع خلاف يسير، وروايتها:

قليل المال لا ولد يموت ... ولا هَمٌّ يبادر ما يفوتُ
قضى وطر الصِّبا وأفاد علماً ... فهمَّتُه التعبُّد والسكوتُ
خفيف الظهر ليس له عيال ... خليٌّ مِن حُرِمت ومِن دُهيتُ

(٤) هو سفيان بن سعيد الثوري.

(٥) وفي شرح الإحياء للزبيدي: «وزاد غيره فقال: والقناعة بأقل القوت». وانظره في الكشكول للعاملي ١: ٥.

(٦) هو عبد الله بن خُبَيْق الأنطاكي. (المشتبه). وانظر: صفة الصفوة ٤: ٢٨٠.

(٧) هو علي بن حُجْر بن إياس السعدي المروزي، أبو الحسن. من حفاظ الحديث وأوعية العلم، وله أدب وشعر. توفي سنة ٢٤٤ هـ. =

زمــانُـكَ ذا زمــانُ لــزومِ بيت   وحفظٍ[1] للســان وخفضِ صوتِ

أخبرنا أبو سليمان، قال: وأخبرني الخزيميُّ في إسنادٍ له، قال: قال إبراهيم النَّخَعِيُّ[2] لمغيرة[3]: تفقه[4] ثم اعتزل.

أخبرنا أبو سليمان، قال: وأخبرني أبو عمرو الحِيريّ، قال: حدثنا مُسَدَّد بن قَطَن، قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم الدَّوْرَقيّ، قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهديّ، قال: سمعت محمد بن النَّضْر الحارثي، قال: قال ربيع بن خُثَيْم[5]: تفقَّهْ ثم اعتزِلْ؛ / ٦٦/أ

= (تهذيب التهذيب ٧: ٢٩٣، وسير أعلام النبلاء ١١: ٥٠٧، وخلاصة تذهيب الكمال ٢٧٢).

والبيت أحد أبيات ثلاثة في تاريخ ابن عساكر ٣/١٢ب برواية «دخول بيت»، وذكرها أيضاً أبو حاتم البستي في روضة العقلاء ص ٨٤، وهي:

زمــانـك ذا زمــانُ دخـول بيت   وحفظ للســان وخفض صــوت
فقـد مَـرَجَتْ عهــود النـاس إلا   أقـلَّهـم، فـبـادر قبــل فَــوْتِ
فمـــا يبـقى عـلى الأيــام شيء   ومــا خُـلِقَ امــرؤ إلا لمــوتِ

(١) في المطبوع: «وحفظك».

(٢) هو إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي، أبو عمران الكوفي، فقيه العراق، من أكابر التابعين صلاحاً وصدق رواية وحفظاً للحديث. مات مختفياً من الحجاج سنة ٩٦ هـ.

(طبقات ابن سعد ٦: ٢٧٠، وحلية الأولياء ٤: ٢١٩، وسير أعلام النبلاء ٤: ٥٢٠، وتهذيب الكمال ٢: ٢٣٣).

(٣) في الإحياء وشرحه «لرجل». ومغيرة: هو مغيرة بن مِقْسَم الضَّبِّيّ، تلميذه.

(٤) أي تعلم من أمور دينك ما يلزمك، ثم بعد ذلك اترك مخالطة الناس. (شرح الإحياء ٢: ٣٣٣).

(٥) هو الربيع بن خُثَيم بن عائذ، أبو يزيد الثوري الكوفي. توفي سنة ٦٥ هـ. (صفة الصفوة ٣: ٥٩، وسير أعلام النبلاء ٤: ٢٥٨).

وفي الإحياء وشرحه: «ابن خيثم»، ومثله في خلاصة تذهيب الكمال ١١٥ ومصادر أخرى.

قال: وأنشدني بعضُ أصحابنا لمنصور بن إسماعيل[١]:

ليسَ هذا زمانَ قولك ما الحُكْـ ـمُ على من يقـولُ أنتِ حَـرَامُ
والْحَقِي بـائنـاً بـأهـلِكِ أو أنـ ـتَ عَتيقٌ مـحـرَّرٌ يـا غـلامُ
ومتى[٢] تنكَحُ المصابـةُ في العِدَّ ةِ عـن شُبْهَـةٍ وكيفَ الكـلامُ
في حـرامٍ أصـابَ سِنَّ غـزالٍ فـتَـولَّـى ولـلـغـزال بُـغَـامُ[٣]
إنمـا ذا زمـانُ كَـدْحٍ إلى المـو تِ وَقُـوتٍ مُـبَـلِّغٍ والـسَّـلامُ

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني المُطَهَّرُ بن عبد الله، قال: حدثني أبـو الحسن محمد بن العبـاس النَّحوي، قـال: كتب إليَّ ابن لَمْحَةَ يستزيرُني، فكتبت إليه:

أنِسَـتْ نـفـسـي بـنـفـسـي فـهـي فـي الـوحـدة أنـسـي
وإذا آنـسـتُ غـيـري فـأحـقُّ الـنـاس نـفـسـي
فَـسَـدَ الـنـاسُ فـأضـحـى جـنـسُـهـم مـن شـرّ جـنـس
فـلـزمـتُ الـبـيـتَ إلا عـنـد تـأذيـنـي لـخـمـس

قال: وكان مؤذن مسجده[٤]. قال: وأنشدني آخر:

وإذا ضجِرْتُ بوحـدتي فمؤانِسي هُـوَ وحشتي حتى يَقُـومَ القـاعـدُ

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني محمد بن أحمد بن سليمان، قال: حدثنا ابن شبيب، قال: حدثنا إبراهيم بن محمد النحويّ، قال:

---

(١) هو منصور بن إسماعيل بن عمر التميمي، أبو الحسن. فقيه شافعي، من الشعراء، كان ضريراً. توفي سنة ٣٠٦ هـ.
(وفيات الأعيان ٥: ٢٨٩، ونكت الهميان ٢٩٧، ومعجم الأدباء ١٩: ١٨٥، وشذرات الذهب ٢: ٢٤٩).
والأبيات في معجم الأدباء ١٩: ١٨٨، وطبقات الشافعية للسبكي ٣: ٤٨٣.
(٢) في معجم الأدباء: «أو متى».
(٣) بغام الظبية: صوتها.
(٤) قوله: «قال: وكان مؤذن مسجده» مستدرك في الهامش.

حدثنا الرِّياشي، قال: حدثنا الأصمعيُّ، قال:

سألني الرشيدُ عن أعراب البادية وعن أخبارها، فحدثته أني كنت بمكان يقال له الطخْفَةُ[١]، وهي قرية لبني كلاب، رأيتُ فيها أعرابياً في عنقه طوقٌ مُلْوِيٌّ من فضة، وبيده / زُكْرَةٌ[٢] ومعه قَدَحُ نَبْعٍ[٣]، فتتبعت أثَرَهُ فجاء إلى جِذمِ[٤] حائطٍ، فجمع رُمَيْلَةً ثم اتَّكأ عليها، وجعل يَصطبُّ[٥] من شكوته[٦] نُبَاذَةً له في قَدَحِ النبعِ ويشرَبُهُ، ويَرْجُزُ عليه، فسلَّمْتُ عليه ووقفْتُ عنده ثم قلت له: يا أعرابي، ما وجدت نديماً غير هذا الجذم من الحائط[٧]؟، فقال: إنَّ فيه خِلالاً ثلاثاً، إن سَمعَ منّي حديثاً لم يَنُمَّهُ عليَّ، وإنْ تَفَلْتُ في وجهه احتَمَلَ، وإنْ عَرْبَدْتُ[٨] عليه لم يغضَبْ. ٦٦/ب

قال الأصمعيُّ: فقال الرشيدُ: زَهَّدْتني في النُّدماء.

قال الشيخ أبو سليمان: هذا من الأعرابي في وزن قولِ بعضهم، وقد كان لزِمَ المقابرَ، فكان يغدو إليها ويروح ومعه دفترٌ، فقيل له في ذلك، فقال: لم أرَ أسلَمَ من وَحْدَةٍ، ولا أَوْعَظَ من قبرٍ، ولا جليساً أمتَعَ من دفترٍ.

قال: ومما يدخُلُ في نمطِ صنيعِ الأعرابي، وإن لم يكن من شكلِ

---

(١) طِخْفَة: بالكسر، ويروى بالفتح: جبل لكلاب، ولهم عنده يوم. (ياقوت).

(٢) الزُّكْرَةُ: وعاء من أدم، أو زقٌ يجعل فيه شراب أو خل.

(٣) النبع: شجر للقسي وللسهام.

(٤) الجِذم، بالكسر: أصل الشيء؛ وجذم الحائط: أصله.

(٥) يصطب: يصب لنفسه.

(٦) الشَّكْوَةُ: جلد الرضيع وهو اللبن، وهي وعاء كالدُّلو أو القربة الصغيرة، وجمعها شكىً.

(٧) قوله: «ثم قلت له... من الحائط»، مستدرك في الهامش.

(٨) العربدة: سوء الخلق.

ما نستحسنُه، ما أنشدنيه بعضُ أهل الأدب[1] لبعضهم:

لـمـا رأيتُ الـزمـانَ نُـكْـسـاً ... وليس بـالـحـكـمـةِ انْـتِـفـاعُ
كـلُّ رئـيـسٍ لـه مَـلالٌ[2] ... وكـلُّ رأس لـهُ صـداعُ
لـزِمْتُ بيتي وصنتُ عـرضـاً ... بـه عـن الـذِّلَّـةِ امْـتِـنـاعُ
أشـربُ مـمـا ادَّخـرْتُ راحـاً ... لـهـا عـلـى راحـتـي شُـعَـاعُ
لـي مـن قـواريـرهـا نَـدَامى ... ومـن قـواقـيـزهـا[3] سـمـاعُ
وأجـتـنـي مـن عُـقُـولِ قَـوْمٍ ... قـد أقـفـرَتْ منهمُ الـبِـقـاعُ

/ و [في][4] نسخة الشيخ: ومِمَّا يقرُبُ من هذا قولُ بعضهم: ٦٧/أ

تبيَّنْ هـداكَ اللَّهُ وابتَـغِ صـاحباً ... تقيّاً وإلاَّ عِشْ وصاحِبُـكَ الـظِّلُّ

وللمتنبي في هذا المعنى[5]:

أجـلُّ مكانٍ رمتُه سَرْجُ سَابـحٍ ... وخَيْرُ جَلِيسٍ في الزَّمَـانِ كِتابُ

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني محمد بن نافع الخُزاعيّ، قال: حدثنا عمِّي إسحاق بن أحمد، قال: حدثنا الأَزْرقيّ، قال:

لما انصرف أبو موسى الأشعريُّ من الحكَمَيْن نزل مكة، فبنى سقيفةً من حجارة على فُوَّهَةِ شعبِ أبي الدّبّ[6]، وهناك مقبرة، فقال: أجاوِرُ قوماً لا يغدِرون، يعني أهلَ القبورِ.

قال أبو سليمان: فأمَّا نهيُ النبيِّ ﷺ عن الهجرة أكثر من ثلاثٍ، فإنَّ

(١) في الأصل: «الأدباء».
(٢) الملال: الملل، وهو أن تملَّ شيئاً وتعرض عنه.
(٣) القواقير: القوارير أو صغارها.
(٤) زيادة يقتضيها السياق.
(٥) ديوانه ١: ١٣٥، برواية: «أعزُّ مكان في الدُّنَى سرجُ...».
والبيت من قصيدة في مدح كافور الأخشيدي، مطلعها:
منىً كنَّ لي أنَّ البيـاض خِضابُ ... فيخفى بتبييض الـقـرونِ شبـابُ
(٦) شعب أبي دب: بمكة، يقال فيه مدفن آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ. (ياقوت).

العُزْلة لا تجرِي مجراها، ولا تدخلُ في معناها، إنَّما المكروه من الهجرة ما يدعوكَ إليه عَتْبٌ أو موجِدَةٌ، وما قصدْتَ به الإفحاشَ لأخيك، وتعمّدتَ الإضرارَ به والإخلالَ بحقوقه؛ في منع الكلام، وردِّ التحيَّة والسَّلام؛ وليس في شيء من هـذا يجري مؤْثـرُ العُزْلـةِ ومَنْ يميلُ إلى الإقـلالِ من الخِلْطَة[1]؛ لأنَّه لا يهمل هذه الحقوقَ، ولا يقصد بها[2] قصدَ الجفاءِ والعقوقِ.

وقد يحتمل عندي أن يقال: إنَّه ليس يضيقُ هجران الظالم أكثر من
٦٧/ب ثلاث إذا لم تأمن بوائقه[3]، / ولا هجران مَنْ تريد بهجرك إيَّاه تقويمَهُ واستصلاحَهُ؛ إذا كان خاصاً بك أو منقطعاً إليك، أو داخلاً في جملتك ومن طبقات أهلِ سياستك؛ وربَّ هجرٍ أشبَهَ وصلاً؛ واللَّه يعلمُ المفسِدَ من المصلح.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرنا محمد بن بكر بن عبد الرزاق، قال: حدثنا أبو داود سليمان بن الأشعث، قال: حدثنا موسى[4] بن إسماعيل التَّبوذكيّ، قال: حدثنا حمادٌ، عن ثابت[5]، عن سُمَيَّة[6]، عن عائشةَ رضي الله عنها: «أنَّ رسول الله ﷺ هجرها ذا الحجة والمحرم وبعض صفر»[7].

---

(١) الخِلطةَ؛ بالكسر: العشرة، والخُلطة، بالضم: الشِّركة.

(٢) في الأصل: «ولا يقصد فيها بها».

(٣) بوائقه: غوائله وشروره، واحدها بائقة، وهي الداهية.

(٤) موسى بن إسماعيل التَّبُوذكي، أبو سلمة البصري. روى عن حماد بن سلمة البصري. مات سنة ٢٢٣ هـ. (تهذيب التهذيب ١٠: ٣٣٣).

(٥) هو ثابت بن أسلم البُناني، أبو محمد البصري، أحد الأعلام. ثقة. توفي نحو سنة ١٢٧ هـ.
(سير أعلام النبلاء ٥: ٢٢٠، وخلاصة تذهيب الكمال ٥٦).

(٦) هي سميَّة البصرية. (خلاصة تذهيب الكمال ٤٩٢).

(٧) خرَّجه العراقي في الإحياء ٢: ٢٢٤، وقال: «إنما هجر زينب هذه المدة، كما رواه =

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني الحسن بن محمد، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، قال: حدثنا بُنْدار، قال: حدثني عُمر بن يُونُس اليَماني، قال: حدثنا عِكْرِمَةُ بن عمّارٍ، قال: حدثني سِماك[1] أبو زُمَيل، قال: حدثني عبد الله بن عباس، قال: حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ الله ﷺ اعتزلَ نساءَه شَهراً، وصعد إلى غرفة له ـ وهي خزانته ـ فلبث تسعةً وعشرين، فلما نزَلَ قيل: يا رسولَ اللَّهِ! إنما كنتَ في الغرفة تسعة وعشرين، قال: «إنَّ الشهرَ قد يكونُ تسعةً / وعشرين»[2]. ٦٨/أ

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرنا ابنُ الأعرابي، قال: حدثنا محمد ابن إسماعيل الصائغ، قال: حدثنا محمد بن الحجَّاج المصفَّرُ، قال: حدثنا عبد العزيز بن محمد الدّراورديُّ، عن هشام بن عُرْوَةَ، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا يصلحُ لمسلم أن يهجر أخاه فوقَ ثلاثةِ أيامٍ، إلاَّ أنْ يكونَ ممن لا يؤمَنُ بوائقُه»[3].

= أبو داود من حديث عائشة، وسكت عليه فهو عنده صالح».

وفي سنن أبي داود (كتاب السنة) عن عائشة رضي الله عنها أنَّه اعتلَّ بعيرٌ لصفية بنت حُييٍّ، وعند زينب فضل ظهر، فقال رسول الله ﷺ لزينب: «أعطها بعيراً»، فقالت: أنا أعطي تلك اليهودية؟! فغضب رسول الله ﷺ، فهجرها ذا الحجة والمحرم وبعض صفر.

(١) هو سماك بن الوليد الحنفي، أبو زميل اليمامي نزيل الكوفة. وثقه أحمد وابن معين. (خلاصة تذهيب الكمال ١٥٦).

(٢) خرَّجه العراقي في تخريج الإحياء ٢: ٢٢٤، وقال: «متفق عليه».

والحديث في البخاري (كتاب التفسير)، وفي مسلم (كتاب الطلاق) باب أن تخيير المرأة لا يكون طلاقاً إلا بالنية.

وانظر جامع الأصول بتحقيق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط ١: ٣٥٢ ـ ٣٥٦ و٢: ٤٠٠ وما بعد.

(٣) رواه أبو داود من حديث عائشة رضي الله عنها في (كتاب الأدب) رقم (٤٩١٣) مع اختلاف في اللفظ.

وخرجه العراقي في كتاب الإحياء ٢: ٢٢٤، بلفظ: «لا يحل لمسلم»، وقال فيه: =

قال الشيخ أبو سليمان رحمه الله: ومحمد بن الحجاج المصفَّرُ، وإن لم يكن بالقوي عند أهل الحديث، فإنَّ دلائلَ الكتاب والسنَّة والقياس[1] متظاهرةٌ على جواز هجرانِ مَنْ لا تؤمَنُ بوائقُه، والتباعدِ منه، بل هو الواجب على كل أحدٍ من الناس.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرنا ابنُ الأعرابي، قال: حدثنا إبراهيم ابن مهدي الأبلي، قال: حدثنا سلمة بن شبيب، قال: حدثنا الثوريُّ عن يُونُس[2]، عن الحسن، قال: هجرانُ الأحمق قُرْبَةٌ إلى الله عزَّ وجلَّ.

أخبرنا أبو سليمان، قال: وأخبرني محمد بن نافع الخزاعيّ، قال: قال الحارث بن أبي أسامة: ذُكر عند محمد بن عمر الواقِدي[3] رجلٌ هجرَ رجلاً حتى مات.

فقال: هذا شيء قد تقدَّم فيه قومٌ؛ سعد بن أبي وقاص كان مهاجراً
٦٨/ب لعمَّار بن ياسر / حتى هلكا؛ وعثمان بن عفَّان كان مهاجراً لعبد الرحمن ابن عوف؛ وعائشة رضي الله عنها كانت مهاجرة لحفصة؛ وكان طاوس[4]

= «أخرجه ابن عدي وقال: غريب المتن والإسناد. وحديث عائشة عند أبي داود دون الاستثناء بإسناد صحيح».

(١) في الهامش: «والنظر مكان القياس».

(٢) هو يونس بن عبيد بن دينار العبدي بالولاء، البصري، أبو عبد الله، من صغار التابعين وفضلائهم، ومن أصحاب الحسن البصري، توفي سنة ١٣٩ هـ.

(٣) محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، أبو عبد الله الواقدي، من أقدم المؤرخين في الإسلام، ومن أشهرهم، صاحب التصانيف والمغازي، ومن حفاظ الحديث. توفي سنة ٢٠٧ هـ.

(طبقات ابن سعد ٧: ٣٣٤، وتاريخ بغداد ٣: ٣، ووفيات الأعيان ١: ٥٠٦، وتذكرة الحفاظ ١: ٣٤٨، وسير أعلام النبلاء ٩: ٤٥٤).

(٤) هو طاوس بن كَيْسان اليماني الجَنَدِي، الإمام العالم. وثقه ابن معين وغيره. توفي سنة ١٠٦ هـ.

(تهذيب التهذيب ٥: ٨، وخلاصة تذهيب الكمال ١٨١).

مهاجراً لوَهْب[1] بن مُنَبِّه حتى مات.

قال أبو سليمان: أمَّا ما شجر بين الصحابة من الأمور، وحدث في زمانهم من اختلافِ الآراء؛ فإنَّه بابٌ كلما قلَّ التسرّعُ فيه والبحثُ عنه كان أولى بنا وأسلَمَ لنا.

وممَّا يجب علينا أن نعتقدَ في أمرهم أنَّهم كانوا أئمةً علماءَ، قد اجتهدوا في طلب[2] الحقِّ، وتحرّوا جهتَه، وتوخَّوا قصدَه؛ فالمصيبُ منهم مأجورٌ، والمخطىء معذورٌ؛ وقد تعلَّق كلٌّ منهم بحجة، وفزع إلى عذرٍ. والمقايسةُ عليهم، والمباحثةُ عنهم اقتحامٌ فيما لا يغنينا، والله تعالى يغفر لنا ولهم برحمته.

وليس التهاجرُ منهم والتصارمُ بأكثرَ من التقاتل في الحروب، والتواجه بالسيوف، ولا أعجبَ من التباهل[3] فيما شجر بينهم من الاختلاف والتنازع في التأويل؛ وكلٌّ منهم في ذلك مأجورٌ على قَدْرِ اجتهاده في طلب الحق، وحسنِ نيته، واللَّهُ يغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ونسأله ألا يجعلَ في قلوبنا غِلاًّ للذين آمنوا، إنه رؤوف رحيم.

٦٩/أ فأمَّا من بعد الصحابة / من التابعين ومن وراءهم من طبقات المتأخِّرين، فلنا مناظرتُهم في مذاهبهم، وموافقتهم عليها، والكشفُ عن حججهم، والقولُ بترجيح بعضِها على بعض، وإظهارُ الحقِّ من أقاويلهم؛ ليقتديَ بهم، والتنبيه على الخطأ منهم؛ لينتهي عنه.

---

(١) وهب بن منبه الأبناوي الصنعاني الذماري، أبو عبد الله، من أصل فارسي. العلامة الإخباري القصصي. توفي سنة ١١٤ هـ.
(طبقات ابن سعد ٥: ٥٤٣، وحلية الأولياء ٤: ٢٣، وتاريخ الإسلام ٥: ١٤، وسير أعلام النبلاء ٤: ٥٤٤، وتهذيب التهذيب ١١: ١٦٦).

(٢) في الأصل: «طالب».

(٣) المباهلة: الملاعنة، يقال: باهلت فلاناً أي لاعنته. ومعنى المباهلة: أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولوا: لعنة الله على الظالم منا. (اللسان).

في نسخة الشيخ: قال أبو سليمان رحمه الله: وإنما كان هجرانُ طاوسَ وَهْباً؛ لأنَّ وَهْباً مالَ في آخر أمره إلى رأي القَدَرية[١] وأظهره للناس، فعاتبه طاوس على ذلك، فلما لم ينته عنه نابَذَه وهجرَه.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني إسماعيل بن محمد، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، قال: كان مالك بن أنس يشهد الجنائز، ويعودُ المرضى، ويعطي الإخوان حقوقَهم؛ فتركَ واحداً واحداً حتى تركها كلها[٢]، وكان يقول[٣]: لا يتهيّأ للمرء أن يخبر بكل عذر[٤].

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرنا محمد بن إبراهيم المكْتب، قال: حدثني شَكّر، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن مدرك البصري، قال: سمعت حرملةَ بن يحيى، يقول: قال لي ابن وَهْب:

لا تَعُدْ إلاَّ مَنْ يعودُكَ، ولا تشهدْ جَنازةَ مَنْ لا يشهد جنازتك، ولا تؤدِّ[٥] حقَّ من لا يؤدّي حقَّك، وإن عدلت عن ذلك فأَبْشِرْ[٦] بالجَوْرِ في الكيل.

/ قال الشيخ: مثل هذه المحاسبة إذا كان من الأئمة وأهل القدوة. ٦٩/ب

---

(١) يقال: إن وهب بن منبه اتهم بالقدر، ورجع عنه. كما يقال: إنه ألف فيه كتاباً، ثم ندم عليه. وقد حبس في كبره وامتحن.
(تاريخ ابن عساكر ١٧/٤٧٩/ب، وسير أعلام النبلاء ٤: ٥٤٨).

(٢) في شرح الإحياء للزبيدي ٦: ٣٣٣: «واستمر على العزلة نحو اثنتي عشرة سنة، وأقام عليه أهل عصره النكير وكثر فيه الكلام».

(٣) أي حين كان يسأل عن سبب انفراده.

(٤) الخبر في سير أعلام النبلاء ٨: ٥٨، والوفيات ٤: ١٣٦، وجاء في هامش الأخير عن نسخة ما نصه: «وإنما كان تخلف عن المسجد لأنه سَلس بوله فقال عند ذلك: لا يجوز أن أجلس في مسجد الرسول ﷺ وأنا على غير طهارة، فيكون ذلك استخفافاً؛ كذا وجد في نسخة بخط المصنف».

(٥) في الأصل: «ولا تؤدي».

(٦) في المطبوع: «فاشتر».

فإنما يرادُ به التأديبُ والتقويمُ دون المكافأةِ والمجازاة، وبعض هذا مما يُراضُ به بعضُ الناس، ويُصلح بذلك من أَوَدِ[1] أخلاقهم. وقد رُوي فيما يشبه هذا المعنى حديثٌ مرفوع.

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا الحسن بن يحيى بن صالح، قال: حدثنا محمد بن قُتَيْبَة العَسْقَلاني، قال: حدثنا إبراهيم بن أيوب الحَوراني، قال: حدثنا بكر بن سُلَيم، قال: حدثنا ابن أبي حازم، عن أبيه، عن سهل بن سَعْدٍ السَّاعِديّ، قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا خيرَ في صحبةِ مَنْ لا يَرى لكَ مثلَ الذي ترى له»[2].

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني محمد بن منصور بن أبي الدِّق، قال: حدثنا محمد بن المنذر بن سعيد، قال: حدثني أحمد بن محمد، قال: حدثني عمرو بن علي، قال: قلت لأبي عاصم: يا أبا عاصم! إنَّ لي قرابةً، إذا كلمته آذاني، وإذا تركته استرحْتُ منه، فقال أبو عاصم:

وفي الأرضِ منجاةٌ وفي الصَّرْمِ راحةٌ وفي النَّاس أَبْدالٌ سواه كثيرة[3]

---

(١) الأود: الميل والعوج.

(٢) في كتاب المجروحين لابن حبان ١: ١٩٨، أن الذي يروي عن ابن أبي حازم بكار بن شعيب، وليس ابن سليم. وروى عنه إبراهيم الحوراني.

وبكار بن شعيب شيخ من أهل دمشق، يروي عن الثقات ما ليس من أحاديثهم؛ لا يجوز الاحتجاج به.

وأول الحديث عنده: «الناس سواء كأسنان المشط، وإنما يتفاضلون بالعاقبة (وفي بعض النسخ: بالعافية)، والمسلم كثير بأخيه المسلم، ولا خير في صحبة من لا يرى لك مثل الذي ترى له».

ورواه ابن عدي من حديث أنس بن مالك، وإسناده ضعيف. وبالجملة فالحديث ضعيف.

وقد قال السخاوي في «المقاصد الحسنة»، وشاهده ـ يعني بالمعنى ـ الأمر بأن يحب لأخيه ما يحب لنفسه. (ع).

(٣) في المطبوع: «كثير».

ثم قال: حدثتني زينب بنت[1] أبي طليق، قالت[2]: حدثتني الصحيحة، قالت[3]: قلت لعائشة رضي الله عنها: إنَّ لي قرابةً يُهينونني، وجيراناً يُكْرِمُونني. فقالت: أكرمي مَنْ / أكرمك، وأهيني من أهانك. ٧٠/أ

قال: أنشدني أبو رجاء الغَنَوِيّ، قال: أنشدني محمد بن أبي حكيم:

إذا كنتُ أرضَى من الدَّهر أنْ ... أنالَ الكَفافَ وعيشاً سِدادا[4]
فإنَّ الغنيَّ وإنَّ الفقيرَ ... وإنَّ البخيلَ وإنَّ الجوادا
عليَّ سواءٌ فما لي أذِلُّ ... لمن لا يذِلُّ وأعطي القِيادا
ومَنْ لم يكنْ منصفاً في الإخاء ... إذا زرتُ زارَ وإنْ عُدْتُ عادا
يراني سواءً فيُعطي السواء ... على كلِّ حالٍ وإنْ زدْتُ زادا
أَبَيْتُ عليه أشدَّ الإباء ... وإن كان أعلى قريشٍ عمادا
وقارضتُه الفعلَ وزناً بوزنٍ ... وكَيْلاً بكيلٍ على ما أرادا
ونافَقْتُه باقتصار السَّلام ... عليه ولم آلُ عنه بُعادا
وإن هو سار بسيرة حُرٍّ ... جعلْتُ اللسانَ له والفؤادا
صَحِبْتُ الزَّمانَ فإمَّا مُقيماً ... وإمَّا مُغِذّاً أجوبُ البلادا
وأستعرِضُ النَّاسَ عَرْضَ العِيانِ ... وأسألُ عن ذا وذاكَ اعتمادا
فلم أرَ مثلَ الرِّضا صاحباً ... أعزَّ وأوطأ منه مِهادا
ومَنْ فارَقَ الصَّبْرَ أعطى القِيادَ ... وراحَ يذُمُّ إليك العِبادا
ومَنْ طَلَبَ النُّجْحَ عند الكَذُوبِ ... أطالَ الركوبَ وأَحْفَى[5] الجوادا
وأعيا الكتابَ بردِّ الجوابِ ... فأفنى قراطيسَهُ والمِدادا

---

(١) لفظ: «بنت» في الهامش.

(٢) في الأصل: «قال: حدثني»، وأثبت ما في المطبوع.

(٣) كتبت: «قال» وأحدهم جعلها: «قالت».

(٤) يقال: أصبت به سداداً من عيش، أي ما تُسَدُّ به الخَلَّةُ، فيكسر ويفتح، والكسر أفصح. (اللسان).

(٥) أي أتعبه، يقال: حفي الفرس، إذا رقت حوافره من كثرة المشي.

وأقــربَ مـا كــان مِن مَــوْعِــدٍ   وأَبْــعَــدَ مـنـه إلــى مــا أرادا

وعلى المعنى الأول من هذا الشعر قولُ مَعن بن أوس[1]:

/إذا أنتَ لم تُنْصِفْ أخاكَ وَجَدْتَهُ   على طَرَفِ الهِجْرانِ إنْ كان يَعْقِلُ ٧٠/ب
ويركبُ حَدَّ السيفِ من أن تضِيمَهُ   إذا لم يكُنْ عن وقعةِ السيفِ مَزْحَلُ

وأنشدونا عن أبي العباس محمد بن يزيد المبرّد لمالك بن الرَّيْب[2]:

فـإنْ تُنْصِفُونـا يالَ مَـرْوَانَ نَقْتَرِبْ   إلـيكُـمْ وإلاَّ فـأْذَنُـوا بِبِـعـادِ
فإنَّ لنا عنكُمْ مَزَاحاً[3] ومَـزْحلاً   بعِيسٍ إلى ريحِ الفلاةِ صَـوادِي
ففي الأرضِ عن دارِ المَذَلَّةِ مَذْهَبٌ   وَكُــلُّ بــلادٍ أوطَـنَـتْ كـبِــلادِي

---

(١) ديوانه ص ٩٤ من قصيدة مطلعها:

لعمــرُك مـا أدري وإني لأوجــل   عــلى أيِّنــا تــغــدو الـمـنـيَّــةُ أوّلُ

وروايته فيه: «عن شفرة السيف». وانظر شرح ديوان الحماسة ١١٢٦، وزهر الآداب ٨١٦، والمقاصد النحوية ٣: ٤٣٩، ومعاهد التنصيص ٤: ٤، وخزانة الأدب ٣: ٥٠٦.

(٢) الأبيات في الكامل للمبرد ٤٤٦ ـ ٤٤٧ قالها مالك بن الريب حين هرب من الحجاج، والأول والثاني في الشعر والشعراء ٣٥٤، والخزانة ١: ٣٢١، منسوبان إلى مالك بن الريب أيضاً.

ونسبها المرصفي في أسرار الحماسة إلى البرج بن خنزير التميمي، قالها حين ألزمه الحجاج البعث إلى المهلب بن أبي صفرة لقتال الأزارقة فهرب إلى الشام وقال هذه الأبيات، ومعها أبيات أخر في هجائه الحجاج بن يوسف.

ونسبت الأبيات مع غيرها في شرح الحماسة للتبريزي ١: ٢١٥، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٦٧٦ إلى الفرزدق، وهي في ديوانه ص ١٩٠، ورواية الشطر الأول من البيت الثالث فيه: (وفي الأرض عن ذي الجَوْر منأىً ومَذْهَب).

(٣) مزاحاً: مصدر ميمي من زاح الرجل يزيح، إذا ذهب وتباعد، والزواح: الذهاب. والصوادي: العطاش.

قال: وبلغني عن ابن شُبْرُمَة[1] أنَّه رأى من صديق له انقباضاً، فكتب إليه[2]:

كِلانا غَنِيٌّ عن أخيه حَيَاتَهُ ونحنُ إذا مِتْنَا أشدُّ تَغَانِيا

* * *

(1) هو عبد الله بن شبرمة الضبي الكوفي. فقيه عاقل عفيف ثقة شاعر، حسن الخلق. توفي سنة ١٤٤ هـ.
(سير أعلام النبلاء ٦: ٣٤٧، وخلاصة تذهيب الكمال ٢٠٠).

(2) البيت مع أبيات أخر في الكامل للمبرد ١٨٣ منسوبة إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وكذا في العقد الفريد ٢: ١٧٤ - ١٧٨، وحماسة ابن الشجري ص ٢٥٣، وهو في الصداقة والصديق للتوحيدي ١٤٧، ومحاضرات الراغب الأصبهاني ٢: ١١ دون نسبة.

بـــاب في ذكر أسباب تسهل على المرء العزلة وتفطمه عن صحبة كثير من ذوي الخلطة

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني إسماعيل بن محمد، قال: سمعت ابنَ إبراهيم، يقول: لو لم يكن في العزلة أكثر من أنَّك لا تجد أعواناً على الغِيبة لكفى.

قال أبو سليمان: صَدَقَ أبو محمد رحمه الله؛ فإنَّه ما من أحدٍ جالَسَ الناسَ في هذا الزمانِ وعاشرهم إلا قلَّتْ سلامتُه من الغيبة، فإنَّ من شأنهم اليومَ أنْ يقَعَ بعضُهم في بعض، وأن يَسْبَعَ[1] / بعضهم بعضاً، وأن يتمضمضوا بذكر الأعراض، ويتفكَّهوا بها، ويتنقَّلوا[2] بحلاوتها، فإمَّا أن يساعدهم جليسُهم على إثمٍ وتركِ مروءةٍ، وإمَّا أن يخالفَهم عن قِلىً وشنآنٍ[3]؛ فمجالستهم داءٌ يُعدي، يضرُّ ولا يجدي. ٧١/أ

قال: ولو لم يكن في العُزْلَة إلا السَّلامةُ من آفةِ الرِّياء، والتصنُّعِ للناس، وما يدفع إليه الإنسان إذا كان فيهم من استعمال المداهنة معهم، وخداع المواربة في رضاهم، لكان في ذلك ما يرغِّبُ في العُزْلَة ويحرِّكُ

---

(١) في الأصل غير واضحة. وسبعه: طعن عليه وعابه وشتمه ووقع فيه بالقول القبيح. وسبعه أيضاً: عضَّه بسنه.

(٢) النُّقل: ما يتنقَّل به على الشراب من فواكه وكوامخ وغيرها، وما يُتفكَّه به من جوز ولوز وبندق ونحوها. واستعمله هنا على المجاز.

(٣) الشنآن: البغض.

إليها، وقد قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ من شرار النَّاسِ ذا الوَجْهَيْنِ، الذي يأتي هَؤلاء بِوَجْهٍ، وهؤلاء بِوَجْهٍ»[1].

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا ابنُ داسَةَ، قال: حدثنا أبو داود، قال: حدثنا مُسَدَّد، قال: حدثنا سفيان، عن أبي الزِّناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة؛ أنَّ رسولَ الله ﷺ قاله.

قال الشيخ أبو سليمان: فَمَنْ أحبَّ السَّلامةَ من هذه الخَلَّةِ فليُقِلَّ من مخالطة الناس، وليحذرْ مداخلتهم والتوسُّطَ في أمورهم؛ فإنَّه إذا مُني بذلك وابْتُلي بشيءٍ منه لم يَسلمْ أنْ يلقَى هذا بوجهٍ، وصاحبَهُ بوجهٍ آخرَ، ولئن خالفَ هذه الطريقةَ أوشك أن يشنأه الناسُ ويتخذوه عدواً.

٧١/ب قال الشيخ أبو سليمان: وفي العُزْلة السَّلامةُ / من المأثَمِ في المنكَرِ يراه الإنسانُ فلا يغيِّرُه، والأمانُ من غوائل أهله ومن عاديتهم إذا غيَّره؛ فقد أبى أكثرُ أهل هذا الزمان قبولَ النصائح، ونصبوا العداوةَ لمن دعاهم إلى هُدًى، أو نهاهم عن ردي، فلو لم تكن في الوحدة والتباعدِ منهم إلا السَّلامةُ من إثمِ المداهنَةِ وخطَرِ المكافحة، لكان في ذلك الربحُ الرابحُ، والغنيمةُ الباردةُ.

أخبرنا أبو سليمان، قال: سمعتُ ابنَ الأعرابي، يقول: سمعت سالم بن عبد الله يقول: سمعت الفُضَيْلَ بنَ عِياض[2] يقول: من خالطَ

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب ١٠: ٣٩٥، باب ما قيل في ذي الوجهين. ومسلم بشرح النووي في كتاب البر والصلة (باب ذم ذي الوجهين) ١٦: ١٥٦ ورقم (٢٥٢٦)، والموطأ ٢: ٩٩١ في الكلام، (باب ما جاء في إضاعة المال وذي الوجهين)، والترمذي في البر (باب ما جاء في ذي الوجهين) رقم (٢٠٢٦)، وأبو داود في كتاب الأدب رقم (٤٨٧٢)، (باب في ذي الوجهين).

كما خرَّجه العراقي في تخريج الإحياء ٢: ٢٢٩. وفي مسلم: «إن من شرّ الناس...».

(٢) مضت ترجمته في ص: ٨٣.

الناس لم يسلَمْ من أحد اثنين؛ إمَّا أن يخوضَ معهم إذا خاضوا في الباطل، أو يسكتَ إنْ رأى منكراً فيأثم.

وقد جَمَعَ رسولُ الله ﷺ في الوعيد، وسوَّى في العقوبة، بين مَنْ أتى المنكرَ وبين من رآه فلا يغيّره ولا يأباه(١).

حدثنا أبو سليمان، قال: حدثنا إسماعيل بن محمد الصَّفَّار، قال: حدثنا عبَّاس الدُّوري، قال: حدثنا أبو النَّضْر، قال: حدثنا أبو خيثمة: زهير بن معاوية(٢)، قال: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حَازم، قال: قام أبو بكر رضي الله عنه خطيباً، فحمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم قال: أيُّها الناس! إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا عَلَيكُمْ أنفسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ / إذا اهْتَدَيْتُمْ﴾(٣)، وإنَّكم تضعونها ٧٢/أ
على غيرِ مواضعها، فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ الناسَ إذا رأوا المنكرَ فلم يغيِّروه، أوشَكَ أنْ يعمَّهم اللَّهُ بعقاب»(٤).

قال أبو سليمان: ومن مناقبِ العُزْلَةِ السَّلامةُ من آفاتِ النظر إلى زينةِ الدنيا وزَهرتها، والاستحسانُ لما ذَمَّهُ الله تعالَى من زخرفها، وعابَهُ من

---

(١) سيذكر الحديث بعد قليل عن أبي بكر رضي الله عنه.

(٢) في الأصل: «معونة» وصحح من مسند أحمد وغريب الحديث للخطابي. وهو زهير ابن معاوية بن خديج، أبو خيثمة الجعفي الكوفي. ثقة ثبت. توفي سنة ١٧٣ هـ. (التقريب ١: ٢٦٥، وخلاصة تذهيب الكمال ١٢٣).

(٣) سورة المائدة، الآية: ١٠٥.

(٤) أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن (باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) رقم (٤٠٠٥)، وأبو داود في كتاب الملاحم (باب الأمر والنهي) رقم (٤٣٣٨) ولفظه مختلف؛ والترمذي في الفتن رقم (٢١٦٩)، (باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر)، وتفسير القرآن رقم (٣٠٥٩) وقال: حسن صحيح، ومسند أحمد ١: ٢، ٥، ٧، ٩.

وخرَّجه العراقي في الإحياء ٢: ٢٢٩، وقال: «أخرجه أصحاب السنن. قال الترمذي: حسن صحيح».

زِبْرِج[1] غرورها؛ وفيها منعُ النفس من التطلُّع إليها والاستشراف[2] لها، ومن محاكمة أهلها ومنافستهم عليها؛ قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إلى ما مَتَّعْنا به أزواجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الحياةِ الدُّنيا لِنَفْتِنَهُمْ فِيه ﴾[3]، وقد قال رسول الله ﷺ: «انظُروا إلى مَنْ هُوَ دونَكُمْ ولا تَنْظُروا إلى مَنْ هُوَ فوقَكُمْ؛ فإنَّه أَجْدَرُ ألَّا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ»[4].

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن عَتَّاب العَبْدِيّ ومحمد بن أحمد بن زَيْرك، قالا: حدثنا إبراهيم بن عبد الله العَبْسي، قال: حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ.

قال: وحدثنا ابن عتَّاب، قال: حدثنا أبو الأحوص القاضي، قال: حدثنا محمد بن كثير، عن مَخْلَد بن حسين، عن هشام، عن الحسن،
٧٢/ب قال: إيَّاكم ومجالسةَ / أهلِ البَسْطَةِ[5]؛ فإنَّ مجالستهم مَسْخَطَةٌ للرزق.

قال: وقال عَوْنُ بن عبد الله[6]: كنتُ أجالسُ الأغنياء فلا أزالُ

---

(١) الزِّبرج: الزينة من وشي أو جوهر.

(٢) يقال: استشرف الشيء: تعرَّض له، ورفع بصره ينظر إليه.

(٣) سورة طه، الآية: ١٣١.

(٤) أخرجه مسلم بشرح النووي ١٨: ٩٧ في كتاب الزهد برقم (٢٩٦٣)، وابن ماجه في كتاب الزهد (باب القناعة) رقم (٤١٤٢)؛ والترمذي في اللباس رقم (١٧٨١)، والقيامة رقم (٢٥١٥)، وأحمد بن حنبل في مسنده ٢: ٢٥٤، ٤٨٢.
وخرَّجه العراقي في الإحياء ٢: ٢٣٥.
ومعنى أجدر: أحق. وتزدروا: تحتقروا.

(٥) البسطة: السعة، وأراد هنا الغنى.

(٦) هو عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، أبو عبد الله الكوفي.
وثقه أحمد وابن معين ورماه ابن سعد بالإرجاء. مات بعد سنة ١٢٠ هـ. (خلاصة تذهيب الكمال ٢٩٨).

مغموماً؛ كنتُ أرى ثوباً أحسنَ من ثـوبي، ودابَّةً أفـره[1] من دابتي؛ فجالسْتُ الفقراء فاسترحْتُ[2].

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرنا الكُرَانيّ، قال: حدثنا عبد الله بن شَبيب، قال: حدثنا زكريا بن يحيـى المِنْقَرِيّ، قال: حدثنا الأصمعيُّ، قال: حدثنا يزيد بن زُرَيْع، عن أبي رجاء عُبَيْد الله بن شاذان الأزديّ، عن الحسن؛ في قـولـه عـزَّ وجـلَّ: ﴿وَجَعَلْنَـا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَـةً أَتَصْبِرُون﴾[3]، قال: جعلنا الغنيَّ فتنةً للفقير، والفقيرَ فتنةً للغني.

قال أبو سليمان: سمعتُ ابنَ أبي هريرة[4] أو غيرَهُ من فقهـاء أصحابنا يقول: بلغني أن المُزَنيَّ[5] خرج من باب جامع الفُسْطاطِ معلِّقاً نَعْلَه، وقد أقبل ابنُ عبد الحكم[6] في موكبه، فبهره ما رأى من حاله وحسن هيئتـه، فتلا قـولَه عـزَّ وجلَّ: ﴿وجَعَلْنـا بَعْضَكُم لِبَعْضٍ فِتْنَةً

---

(١) فراهة الدابة: نشاطها وخفتها.

(٢) انظر الخبر في صفة الصفوة ٣: ١٠٠ مع اختلاف في اللفظ.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٢٠.

(٤) هو حسن بن حسين، أبو علي، المعروف بابن أبي هريرة، شيخ الشافعية ببغداد. أخذ الفقه عن أبي العباس بن سريج، وأبي إسحاق المروزي، وشرح مختصر المزني. توفي سنة ٣٤٥ هـ.
(تاريخ بغداد ٧: ٢٩٨، ووفيات الأعيان ٢: ٧٥، وشذرات الذهب ٢: ٣٧٠).

(٥) هو إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل، أبو إبراهيم المزني، صاحب الإمام الشافعي، من أهل مصر. كان زاهداً عالماً مجتهداً، قوي الحجة. مات سنة ٢٦٤ هـ.
(وفيات الأعيان ١: ٢١٧، وطبقات الشافعية للسبكي ٢: ٩٣، وسير أعلام النبلاء ١٢: ٤٩٢).

(٦) هو محمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري، أبو عبد الله، فقيه عصره. وكان عالم الديار المصرية في عصره مع المزني. توفي سنة ٢٦٨ هـ.
(وفيات الأعيان ٤: ١٩٣، وطبقات الشافعية للسبكي ٢: ٦٧، وسير أعلام النبلاء ١٢: ٤٩٧).

أَتَصْبِرُون ﴾(١)، ثم قال: اللهم بلى، أصبِرُ وأرضى؛ وكان مقلاً رحمةُ اللّهِ عليه.

قال: ومِن مناقب العُزْلَةِ أنَّها خالعةٌ عنك رِبْقَةَ ذلِّ الآمال، وقاطعةٌ رقَّ الأطماعِ، ومفيدةٌ[٢] عزَّ اليأس عن الناس، فإنَّ من صحبهم وكان فيهم
١/٧٣ ومعهم / لم يكَدْ يخلو من أنْ يحدِّثَ نفسَه بنوعٍ من الطمع فيهم؛ إما في مالٍ أو جاهٍ، والطَمعُ فقرٌ حاضرٌ، وذلٌّ صاغرٌ، وقد قال رسولُ الله ﷺ: «الغِنَى: اليَأْسُ عمَّا في أيدي النَّاسِ، ومَنْ مَشَى مِنكُم إلى طَمَعٍ فلْيَمْشِ رُويداً»[٣].

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرناه ابنُ الأعرابي، قال: حدثنا الفضلُ ابن يوسف الجُعْفيّ، قال: حدثنا إبراهيم بن زياد العجليّ، قال: حدثنا أبو بكر بن عيّاش، عن عاصم، عن زِرٍّ[٤]، عن عبد الله بن مسعود.

وحدثنا ابنُ داسَةَ، قال: حدثنا العبَّاسُ بن الفضل الأَسْفَاطي[٥]، قال: حدثنا سعيد بن سليمان النّشيطي[٦]، قال: حدثنا حمّاد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن الحسن، عن جُنْدب، عن حُذَيْفَة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس لمؤمنٍ أنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ»[٧].

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٢٠.

(٢) في الأصل غير واضحة، وفي العبارة وقفة.

(٣) الحديث في الفيض القدير ٤: ٤١٤، بسند ضعيف، ورقمه (٥٨١٢).

(٤) هو زِرّ بن حُبَيْش الأسدي الكوفي، مخضرم. كان ثقة كثير الحديث. روى عنه عاصم ابن بَهْدلة وآخرون. توفي سنة ٨٢ هـ.

(طبقات ابن سعد ٦: ١٠٤، وسير أعلام النبلاء ٤: ١٦٦، وخلاصة تذهيب الكمال ١٣٠).

(٥) نسبة إلى بيع الأسفاط وعملها. روى عنه أبو القاسم الطبراني. (اللباب ١: ٥٤).

(٦) سعيد بن سليمان البصري النشيطي، نسب إلى جده لأمه نشيط. ضعفه ابن حجر في التقريب.

(٧) أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن باب: قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم =

قال أبو سليمان: أنشدني الخُرَيْمِيُّ لعبد الصَّمَدِ بن المُعَذَّل[1]:

تُكلِّفُني إذْلاَلَ نَفْسي لعِزِّها ... وهانَ عليها أَنْ أُهانَ فتُكْرَما
تقولُ سَلِ المعروفَ يحيى بنَ أكثم ... فقلْتُ سَلِيهِ رَبَّ يحيى بنِ أكثما

قال أبو سليمان: وأنشدني أبو عمر، قال: أنشدنا أبو العباس ثَعْلَب، عن ابن الأعرابي[2]:

إذا كانَ بابُ الذُّلِّ مِنْ جانِبِ الغِنَى ... سَمَوْتُ إلى العَلْيَاءِ من جانِبِ الفَقْرِ
/صَبَرْتُ وكانَ الصَّبْرُ مِنِّي سَجِيَّةً ... وحَسْبُكَ أنَّ الله أثْنى على الصَّبْرِ ٧٣/ب

قال: ولو لم يربح الإنسانُ في العُزْلة والتخلّي عن الناس وفي النأي عن مثاويهم[3]، والانقطاع عن محاورتهم، إلَّا ما يُكْفَاهُ من فضل مؤونةِ

= أنفسكم ﴾ رقم (٤٠١٦)، وأحمد في مسنده ٥: ٤٠٥، والترمذي في الفتن رقم (٢٢٥٥)، وفي سنده علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف، ومع ذلك قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وانظر حاشية جامع الأصول ١١: ٧٠٠، ولفظه عند الترمذي: «لا ينبغي للمؤمن أن يُذِلَّ نفسه، قالوا: كيف يذل نفسه؟ قال: يتعرَّض من البلاء لما لا يطيق».

(١) هو عبد الصمد بن المعذَّل بن غيلان بن الحكم العبدي، أبو القاسم. من شعراء الدولة العباسية، ولد ونشأ في البصرة. كان هجاءً شديد العارضة سكيراً خميراً. توفي نحو سنة ٢٤٠ هـ.
(فوات الوفيات ٢: ٣٣٠، والموشح ٣٤٦، والأعلام ٤: ١١).
والبيتان في الكامل للمبرد ١: ٣٤٨، وزهر الآداب للحصري ٦٥٤.

(٢) البيتان في غريب الحديث للخطابي ١: ٥٩٦، وعيون الأخبار ١: ٢٤٧، وأمالي المرتضى ٢: ١٨٦. وهما في البيان والتبيين ٢: ٣٠٧ رواهما أحمد بن المعذّل عن أعرابيّ من طيّىءٍ، وروايتهما فيه:
ولستُ بميَّالٍ إلى جانب الغنى ... إذا كانت العلياءُ في جانب الفقر
وإنّي لصبَّار على ما ينوبني ... وحسبُك أنَّ الله أثنى على الصبر
وفي الأغاني ١٢: ٥٥ أن البيتين للمعذل بن غيلان، والد أحمد وعبد الصمد.

(٣) مثاويهم: منازلهم، جمع مثوى.

التحرُّزِ[1] منهم، وليستفيده من الأمان أن يرفعوا عليه قولاً يسمعونه يتكلم به في حال غَفْلَةٍ واسترسالٍ، أو يتأوَّلوا عليه كلاماً لا يبلغ عقولَهم كنهُهُ، فيوجهوه إلى غير جهته، ويَنْحَلُوه غيرَ صفتِهِ؛ لكان فيه كفايةٌ كافيةٌ وعصمةٌ واقيةٌ.

وقد روينا عن عبد الله بن مسعود أنَّه قال: ما أنت محدِّثٌ قوماً حديثاً لا يبلُغه عقولُهم إلَّا كان لبعضهم فتنةً.

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثناه عَلَّكَانُ المروَزِيُّ، قال: حدثنا أبو العلاء الوَكِيعيُّ، قال: حدثنا هشام بن عمَّار، قال: حدثنا عبد العزيز بن الحُصَيْن، عن الزُّهري، عن عُبَيد الله بن عبد الله، عن ابن مسعود.

قال أبو سليمان: وحدثني ابن أبي الدِّقّ، قال: حدثنا شَكَّر، قال: حدثنا كَثير بن عبد الله، قال: حدثنا العلاءُ بن سعيدٍ الكنديُّ، قال: حدثني شيخٌ لنا، قال: كنت أماشي إسماعيلَ بن سُهيل ـ وكان أحدَ الحكماء ـ فقال: ألا أخبرك ببيتِ شعرٍ[2] خير لك من عشرة آلاف درهم؟

٧٤/أ فقلت: بيتُ شعرٍ خيرٌ / من عشرة آلاف درهم!؟ فقال: نعم، ثم قال: أيُّهما أحبّ إليك؛ نفسُكَ أو عشرة آلاف درهم؟ قلت: نفسي، فأنشأ يقول[3]:

اخفضِ الصَّوْتَ إنْ نطقْتَ بليلٍ والتفِت بالنَّهار قبلَ المقالِ
ليس في القولِ رَجْعَةٌ حين يبدو بقبيحٍ يكونُ أو بجمالِ

قال أبو سليمان: فصاحبُ العُزْلَة في أمانٍ من هذا الوَجَل، وفي حصْنٍ من هذا الثَّغْر، وقد أنعم[4] بيانَ هذا المعنى ذو الرُّمَّة حين يقول[5]:

(١) يقال: احترزت من كذا وتحرَّزت، أي توقيته.

(٢) في الإحياء وشرحه: «أأعلمك بيتين».

(٣) البيتان في الإحياء وشرحه ٦: ٣٥٦.

(٤) أنعم: أحسَنَ وزاد.

(٥) ديوان ذي الرمة ٢: ١١٧٢ من قصيدة مطلعها:

ألا أيها المنزل الدارس اسْلَمِ وأُسْقِيتَ صوبَ الباكر المُتَغَيِّمِ

أُحِبُّ المكانَ القَفْرَ من أجلِ أنَّني   بـه أتغنَّى بـاسْمِهـا غيـرَ مُعْجِمِ

قال أبو سليمان: ولو لم يكن في العزلة إلَّا السَّلامةُ من صحبة العامَّة، والراحةُ من تعبِ مُجالستهم، ومصابرةِ أخلاقهم الأخلاق[1]، وما يستفيده الإنسان بمفارقتهم، ويُكْفَاهُ من مؤونة تقويمهم، ويأمَنُه من غوائلهم في صدقهم عن أنفسهم، وإمحاض النصيحة لهم - فإنَّ الحقَّ كما قيل مَغْضَبَةٌ، وبعض النُّصْحِ للعداوة مَكْسَبَةٌ - لكانَ في ذلك راحةٌ مريحةٌ. وقد قلَّ مَنْ يعرِفُ، وأقلَّ منه من يُنْصِفُ.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني أحمد بن إبراهيم بن مالك، قال: حدثنا الدَّغُولي، عن سليمان بن مَعْبَد، قال: قلتُ للأصمعيّ: ما قولُ الناس: الحقُّ مَغْضَبَةٌ؟ فقال: يا بُنيّ! وهل يُسْأَلُ عن مثل هذا إلا رازم[2]، قلَّ ما يُكِعُ[3] أحدٌ بالحقِّ إلَّا اعْرَنْزَمَ [له][4].

/ قال أبو سليمان: أنشدونا عن الرِّياشِيّ[5]: ٧٤/ب

وكم سُقْتُ في آثاركم مِن نصيحةٍ   وقـد يَسْتَفِيـدُ البِغْضَـةَ المُتَنَصِّحُ

قال: وقد روينا[6] عن النبي ﷺ في الترخُّص لمن رأى منكراً فلم يغيِّره حَذَرَ الفتنةِ وخَوْفَ القالَةِ من الناس.

---

(١) الأخلاق هنا من: خَلُقَ الثوبُ إذا بلي، ويقال: ثوب أخلاق، يصفون به الواحد، إذا كانت الخلوقة فيه كلّه. (اللسان).

(٢) الرَّازم: الذي قد سقط فلا يقدر أن يتحرك من مكانه. والرازم من الإبل: الثابت على الأرض الذي لا يقوم من الهزال. (اللسان).

(٣) يكع: يجبن ويضعف. وأكع الخوف فلاناً: حبسه عن وجهه وردّه عنه.

(٤) تكملة من غريب الحديث للخطابي ٢: ٧٥، وجاء فيه: «المُعْرَنْزِمُ: المنقبض. ويقال: المنقطع». وفي المطبوع: «إلا عن لوم له» وهو تحريف.

(٥) هو العباس بن الفرج الرياشي، والبيت في الكامل للمبرد ١٢٨٨ برواية «الظِّنَّة» بدل «البغضة»، وهو في الإحياء وشرحه ٦: ٣٤٦.

(٦) الحديث المروي سيرد بعد قليل.

أخبرنا أبو سليمان، قال[1]: حدثنا أحمد بن إبراهيم بن مالك، قال: حدثنا بِشْرُ بنُ موسى، قال: حدثنا الحُمَيدِيُّ، قال: حدثنا سُفْيان، قال: حدثنا يحيى بن سعيدٍ: أنَّه سمعَ أبا طُوَالَةَ[2] يحدِّثُ عن نهارٍ العَبْديّ[3]، عن أبي سعيد الخُدريّ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ اللَّه تبارَكَ وتعالى لَيَسْأَلُ العَبْدَ حتى يقولَ: ما مَنَعَكَ إذا رأيتَ المنكَرَ في الدنيا أن تنكِرَهُ؟ فإذا لَقَّنَ اللَّهُ عبداً حُجَّتَهُ قال: يا ربِّ، رَجَوْتُكَ وخِفْتُ النَّاسَ»[4].

قال أبو سليمان: هذا طريقٌ في الرواية يَرتضيه أهل النَّقْلِ من أهل الحديث، فعلى هذا لا يحرج المرء إنْ شاء الله إنْ تركَ أنْ يتعرَّضَ لأهل المنكر إذا خاف عاديَتَهُمْ، ولم يأمَنْ بوائقَهم ما دام كارهاً لفعلهم بقلبه، ومصارِماً لهم بعزمه ونيَّتِه.

ثم اعلم يا أخي، أنَّ عامَّةَ أهل هذا الزمان قد ساءت رغبتهم[5]، ٧٥/أ وقلَّتْ آدابهم، وغلُظت محنتهم / على من يعاشرهم؛ لأن موقفه فيهم بين أن يخونَهم فيسالمَهُمْ، وبين ألّا يصونَ نفسَهُ فيناصحَهُمْ.

---

(١) قوله: «قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم» مكرر في الأصل.

(٢) هو عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر الأنصاري البخاري، أبو طوالة. قاضي المدينة. وثقه أحمد وابن سعد. مات بعد سنة ١٣٠ هـ.
(سير أعلام النبلاء ٥: ٢٥١، وخلاصة تذهيب الكمال ٢٠٤).

(٣) نهار العَبْدي القيسي المدني. صدوق.
(التقريب ٢: ٣٠٧، وتهذيب التهذيب ١٠: ٤٧٧).

(٤) أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن باب: قولـه تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكـم﴾ حديث رقم (٤٠١٧)؛ وأحمد في مسنده ٣: ٢٧.
وفي الزوائد: إسناده صحيح، رجاله ثقات.
وخرَّجه العراقي في الإحياء ٢: ٢٢٩، وقال عنه: أخرجه ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري بإسناد جيد.

(٥) في الأصل غير واضحة.

وقـد كانـوا ـ والنَّاسُ نـاسٌ والزمـانُ زمـانٌ ـ يَسْتَبْشِعُـونَ الحقَّ، ويستمرُّون[١] طَعْمَ النُّصْحِ، ويتنكَّـرون[٢] لمن يهدِي إليهم عيـوبَهُمْ، ويَصْدُقُهُم عن أنفسهم، فما ظَنُّكَ بهم الآن مع فساد هذا الزمان الكلِبِ اللولبيّ[٣] المتقلب؟ أتُراهم يُذْعِنُونَ للحقِّ ويُصيخون[٤] إلى النُّصح؟ كلَّا، إنَّك إلى أن تَفْسُدَ بهم يخضعون أقرب منهم، يستمعونَ إلى أن يصلحوا بك[٥]، وقد قال بعضُ الحكماء: مَنْ قَابَلَ الكثيرَ من الفساد باليسير من الصَّلاح فقد غرَّ بنفسه؛ مثاله أن يميلَ جدارٌ فيأتيه رجلٌ فيدعَمَهُ بيده ليقيمَهُ؛ فإنَّه يوشكُ أن يسقطَ عليه فيكونَ فيه تلفُهُ. بلى، إذا وجد أعواناً وآلةً فدعَّمَهُ بأعمدةٍ، ورَفَدَهُ بقوائمَ من خَشَبٍ ونحوها، كان جديراً أن يستقِلَّ[٦] ويثبت، وكان الرجل حقيقاً أن يسلَمَ وينجَحَ[٧].

قال أبو سليمان: فانظرْ ـ رحمكَ اللَّهُ ـ وتأمَّلْ، هل تجدُ اليوم أعواناً على المعروف، ودعاةً إلى الخير، ونُهَاةً عن المنكر؟ فإنْ كنتَ لا تظفَرُ بهم، ولا تقدِرُ عليهم، فانجُ برأسِكَ، ولا تغرِّرْ بنفسك؛ إنَّ رضا الناسِ غايةٌ لا تدرك، هيهات!! / قد أعيا الأولين دواؤهم، وانقـطعت فيهم ٧٥/ب
حيلُهُمْ، فما حاجتُك[٨] إلى غَناءٍ[٩] لا غَنَاء له، وتعبٍ لا نجحَ فيه؛ وما أربُكَ إلى صحبةِ قومٍ لا تستفيد بلقيِّهم علماً، ولا بمشهدهم جمالاً، ولا بمعونتهم مالاً؛ إذا تأملتهم حقاً وجدتَهم إخوانَ العلانيةِ، أعداءَ السَّريرة؛

---

(١) أي يجدون طعم النصح مرّاً.
(٢) في الأصل: «وينكرون» وأثبت ما في المطبوع.
(٣) اللولبي: ما كان على شكل اللولب.
(٤) يُصيخون: يستمعون.
(٥) كذا في الأصل، وفي الجملة وقفة.
(٦) أي يرتفع في الهواء منتصباً ويثبت في الأرض.
(٧) في المطبوع: «وينجو».
(٨) في الأصل: «فما حاجتكم».
(٩) الغَناء بمعنى الغِنى.

إذا لقوك تملَّقوكَ، وإذا غِبتَ عنهم سَبَعُوكَ[١]، من أتاكَ منهم كان عليك رقيباً، ومَنْ خرجَ قام بك خطيباً[٢]، أهلُ نفاقٍ وخديعةٍ، وأصحابُ نَقْلٍ ونميمةٍ، وإخوانُ بَهْتٍ[٣] وعظيمة[٤]، لا يغرنّك ما ترى من احتشادهم عندك، وازدحامهم عليك، ولا تتوهمَنَّ أنَّ بهم تعظيماً لعلمك أو تقديماً لحقِّكَ؛ إنَّ عُظْمَ ما يقودُهم اليومَ إلى مجالس العلماء، ويحشرهم إلى أبوابهم، الرغبةُ في منالٍ لِمآربهم؛ وسلَّماً[٥] إلى أوطارهم، وحميراً[٥] لحاجاتهم، فهم المساكينُ بين شرَّيْن؛ منهم ومن تكاليفهم؛ إن أسعفوهم ببعضها أضجروهم بكثرة توابعها وآذوهم، وإن امتنعوا عليهم فيها سَبعوهم وعادوهم[٦]، ثم إنَّهم على ذلك يلزمونهم بدالَّةِ المعرفَةِ أَنْ يُهدِفوا[٧] لهم

٧٦/أ أغراضهم، فيخاصموا عنهم من خاصمهم، ويُعادوا من عاداهم، ويُنازلوا / من نازلهم، فيصيرون من حيثُ قدَّروا أنَّهم فقهاءُ سفهاءَ، ومن حيث ظنوا أنَّهم متبوعون رؤساءُ أتباعاً أخِسَّاءَ؛ فَمَنْ أخسرُ صَفْقَةً وأشدُّ بليّةً من هؤلاء معهم؟ أليس الفِرارُ منهم حقّاً واجباً؟ والتخلُّصُ من بينهم غُنْماً؟ بلى، إنّه لكذلك، وبحقٍّ ما قيل: اعتزالُ العامَّة مروَّة تامَّةٌ.

قال أبو سليمان: ومن مناقب العُزْلَة أنَّها تحسِمُ عنك أوهام المتجنِّين، وتقطعُ موادَّ شِكاياتِ المتجرِّمين[٨]؛ وذلك أن طباع الناس متفاوتةٌ متعاديةٌ، وهمَمهم مختلفةٌ، ووساوسَ صدورِهم كثيرةٌ، وأنَّ سوءَ

---

(١) في الإحياء وشرحه: «سلقوك». وفي المطبوع: «شبعوك». وسَبَعه يَسْبَعُه سبعاً: طعن عليه وعابه وشتمه ووقع فيه بالقول القبيح. وسبعه أيضاً: عضه بسنه.

(٢) في الإحياء وشرحه: «كان عليك خطيباً».

(٣) البَهْتُ: الكذب.

(٤) في الأصل: «وعضيمة» بالضاد. والعظيمة: النازلة الشديدة.

(٥) كذا الأصل، وحقه الرفع. وفي الإحياء: «وأن يتخذوك سلماً... وحماراً».

(٦) في الهامش: «شفقوا لهم».

(٧) الإهداف: الدنو.

(٨) المتجرم كالمتجني: هو الذي يدعي عليك ذنباً لم تفعله.

ضمائرهم يصوِّرُ لهم، ويوحي إلى قلوبهم أنَّ اجتماع كلِّ طائفةٍ من الناس، وتناجيَ كلِّ شِرْذمةٍ منهم، إنما هو في التَّنْفِير عنهم والبحثِ عن عيوبهم، أو في تبييتِ رأيٍ ودسيسِ غائلةٍ عليهم، ويغلِبُ هذا الظَّنُّ خصوصاً على من يحسُّ من نفسه بتُهمةٍ، ويُقْرَفُ[1] عند الناس بريبةٍ. وقد وصفَ الله عزَّ وجلَّ المنافقين بذلك فقال عزَّ وجلَّ: ﴿ يَحْسَبُونَ كلَّ صَيْحَةٍ عليهم هُمُ العَدُوُّ فاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾[2].

وما أحسنَ قولَ المتنبي في أهل هذه الصفة حين يقول[3]:

إذا سَاءَ فِعْلُ المرءِ ساءَتْ ظُنُونُهُ ... وَصَــدَّقَ مـا يعتــادُهُ مِن تَـوَهُّمِ
وعــادَى مُحِبِّيـهِ بقــولِ عُـداتِــهِ ... وأصْبَحَ في ليلٍ مِنَ الشَّكِّ مُظْلِمِ

/ قال بعضهم: معاشرةُ الأشرار تُورثُ سوءَ الظَّنِّ بالأبرار، فَمَنِ اعتزلَ الناسَ وانقطع عن مجالستهم فقد أحسَنَ في هذا الباب الدفاعَ عن نفسه، واستظهَرَ بالاحتياط في طلبِ السلامة لها. ٧٦/ب

ومما يقطَعُ بها[4] عنك موادَّ الشكايات أنَّكَ إذا عُرِفْتَ فيها لم تستبطأ في حقٍّ إذا فاتك؛ من عبادةٍ، أو شهودِ جنَازة، أو حضورِ أملاك[5]، أو وليمةٍ أو نحوها؛ فإنَّ الناس إذا فقدوك عذروكَ، وإذا وجدوك عَذَلُوك واستقصروك، وقد تكون للإنسان[6] في بعض الأوقات أعذارٌ لا تُفْصِحُ بها الأخبارُ؛ وقد روينا فيما مضى من هذا الكتاب[7] عن مالك بن أنس أنَّه

---

(١) يقال: هو يُقْرَف بكذا، أي يرمى به ويتهم. (اللسان).
(٢) سورة المنافقون، الآية: ٤.
(٣) ديوانه ٢: ٣٩٠ من قصيدة في مدح كافور الإخشيدي، مطلعها:
فِـراقٌ ومَنْ فـارقْتَ غيـرُ مُـذَمَّمِ ... وأَمٌّ ومن يَمَّـمْتَ خيــرُ مُيَـمَّمِ
(٤) أي بالعزلة.
(٥) الأملاك: عقد النكاح.
(٦) في الأصل: «الإنسان».
(٧) انظر صفحة: ٩٦.

كان يشهدُ الجنائزَ، ويعودُ المرضى، ويؤدِّي الحقوقَ، ثم تركَ واحداً واحداً حتى تركَها كلَّها، وكان يقول: ليس كلُّ عذرٍ يتهيَّأ للمرء أن يخبِرَ به ويُطلِعَ الناسَ عليه.

قال: وفي العزلة السلامةُ من قرين السَّوء، وصاحب السَّوءِ، وعشير السَّوء؛ وقد شبَّهه رسول الله ﷺ بحرق النار، فقال[1] عليه السلام: «مَثَلُ جَليسِ السَّوءِ كمثَل الكِيرِ[2]، إنْ لم يحرقْك بشرَرِهِ عَلِقَ بك من رِيحِهِ»[3].

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا ابن مالك[4]، قال: حدثنا بِشْرُ بنُ مُوسى، قال: حدثنا الحُمَيدِيُّ، قال: حدثنا سُفيان، قال: حَدثنا بُرَيْد / ٧٧/أ
ابن عبد الله بن أبي بُرْدَة، عن جدِّه[5] ميرم بن أبي بُرْدَةَ، عن أبي موسى، عن النبي صلى اللّٰه عليه.

وقال بعضُ الحكماء: إنَّك لن تصلُحَ أبداً حتى يَصلُحَ جليسُك.

قال: وأنشدني بعضُ أهلِ العلم:

إذا كنتَ مِن أهلِ العفافِ فلا يكن ... قرينُك إلَّا كُلّ مَنْ يتعفَّفُ

---

(١) في الأصل: «وقال».

(٢) في الأصل: «القير». والكير: الزِّق الذي ينفخ فيه الحداد.

(٣) قطعة من حديث في مسند أحمد ٤ : ٤٠٥ ولفظه فيه: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً. ومثل جليس الصالح مثل العطار إن لم يحذك من عطره علقك من ريحه. ومثل الجليس السوء مثل الكير إن لم يحرقك نالك من شرره. والخازن الأمين الذي يؤدي ما أمر به مؤتجراً أحد المتصدقين».

وللحديث شواهد في صحيح الجامع الصغير حديث رقم (٥٧٠٥) (ع).

وخرّجه العراقي في الإحياء ٢ : ٢٣١، وقال: متفق عليه من حديث أبي موسى.

(٤) هو أحمد بن إبراهيم بن مالك، من شيوخ الخطابي.

(٥) في تهذيب الكمال: «عن جده أبي بردة بن أبي موسى».

وقد أفردنا لهذا باباً في الكتاب[١].

قال أبو سليمان: وفي العُزْلَةِ السَّلامةُ من التبذُّلِ لعـوامِّ الناس وحواشيهم، والتصوُّنُ عن ذِلَّة الامتهان منهم، وأمانُ المَلَالِ عند الصديق، واستحداث الطراءة [٢] وقت اللقاء، فإنَّ كلَّ موجودٍ مملوك[٣]، وكلَّ ممنوع مطلوبٌ. وفي هذا قولُ رسول الله ﷺ: «زُرْ غِبّاً[٤] تَزْدَدْ حُبّاً»[٥].

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرناه ابن الأعرابي، قال: حدثنا الحارث ابن أبي أسامة، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا طلحة بن عمرو[٦]، عن عطاء، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ.

قال: ولقد أحسن في هذا الطائيُّ[٧] حين يقول:

---

(١) هو باب: «في التحذير من قرناء السوء وحسن ارتياد الجليس والصاحب» وانظر صفحة: ١٤١.

(٢) كذا في الأصل، ولعل المصنف أراد بها معنى المفاجأة.

(٣) كذا في الأصل، وفي المطبوع: «مملول».

(٤) الغِب: أن ترد الإبل الماء يوماً وتدعه يوماً، نقل ذلك إلى الزيارة.

(٥) من حديث أبي هريرة عند البزار والطبراني الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان، ومن حديث أبي ذر عند البزار وشعب الإيمان للبيهقي، ومن حديث حبيب بن مسلمة الفهري عند الطبراني والحاكم في مستدركه، ومن حديث ابن عمرو عند الطبراني، ومن حديث ابن عمر في الطبراني الأوسط، ومن حديث عائشة رضي الله عنها في تاريخ الخطابي.

انظر الفيض القدير ٤ : ٩٢ رقم (٤٥٥٥)، وصحيح الجامع الصغير رقم (٣٥٦٢).

(٦) هو طلحة بن عمرو بن عثمان الحضرمي المكي. مات سنة ١٥٢ هـ.

(التقريب ١ : ٣٧٦، وخلاصة تذهيب الكمال ١٨٠).

(٧) هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي. والبيتان من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الطائي. مطلعها:

سَرَتْ تستجيرُ الدمْعَ خوفَ نَوَى غَدِ ... وعَـادَ قَتَاداً عنـدهـا كُـلُّ مَـرْقَـدِ

وانظر ديوان أبي تمام بشرح التبريزي ٢ : ٢٣.

وطُولُ مُقَامِ المرءِ في الحيِّ مُخْلِقٌ لـديباجتَيْـه فـاغْتَـرِبْ تَتَجـدَّدِ
فإنِّي رأيْتُ الشَّمْسَ زِيدتْ مَحَبَّةً إلى الناسِ أَنْ ليسَتْ عليهم بِسَرْمَدِ

قال: وفي العُزْلَة أنَّها تستُر الفاقَةَ، وتكثُفُ[1] جلبابَ التجمُّلِ، فلا
٧٧/ب يظهر على عورةٍ إن كانت وراءَه تسُوء / صديقاً، أو تُشْمِتُ عدوّاً؛ فإنَّ التجمُّلَ مِن شيمِ الأحرارِ، وشمائلِ ذوي الهمم والأخطار، وقد وصف الله تعالى به الأبرارَ من عباده فقال تعالى ذكره: ﴿ يَحْسَبُهُمُ الجاهِلُ أغنياءَ من التَّعَفُّفِ ﴾[2].

قال: أنشدني الكُرَانيّ، قال: أنشدنا عبد الله بن شبيب للعتَّابي[3]:
إنَّ الكريمَ لَيُخفِي عنكَ خَلَّتَـه[4] حتَّى تـراهُ غَنِيّاً وهـو مَجْهُـودُ[5]

وفي معناه لعليٍّ بن الجَهْمِ[6]:
ولا عـارَ إن زالَتْ عن الحرِّ نعمةٌ ولكنَّ عـاراً أَنْ يَزولَ التَّجمُّـلُ

---

(١) كذا في الأصل. والكثافة: الكثرة والالتفاف.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٧٣.
(٣) هو كلثوم بن عمرو بن أيوب التغلبي، أبو عمرو العتّابي. كاتب حسن الترسّل، وشاعر مجيد يسلك طريقة النابغة. وهو من أهل الشام، سكن بغداد ومدح هارون الرشيد وآخرين، ورمي بالزندقة فطلبه الرشيد فهرب إلى اليمن، فسعى الفضل بن يحيى البرمكي بأخذ الأمان له من الرشيد، فأمنه وعاد، فاختص بالبرامكة، توفي سنة ٢٢٠ هـ.
(معجم الأدباء ١٧: ٢٦، والمرزباني ٣٥١، والشعر والشعراء ٨٦٣، والأغاني (بولاق) ١٢: ٢، وتاريخ بغداد ١٢: ٤٨٨، والأعلام ٥: ٢٣١).
والبيت في تاريخ بغداد ١٢: ٤٨٨، أحد أبيات أربعة، برواية: «ليخفي عنك عسرته».
(٤) الخَلَّة: الفقر والفاقة والحاجة.
(٥) الجهد: ما جَهَد الإنسان من مرض أو أمر شاق، فهو مجهود.
(٦) ديوانه ص ١٦٣ من قصيدة يمدح بها المتوكل، مطلعها:
هي النفس ما حمَّلتها تتحمَّل وللدهـر أيـام تجـورُ وتعـدِلُ

قال: وفي العُزْلَة أنَّها معينةٌ لمن أرادَ نظراً في علم، أو أَثارةً[1] لدفين رأيٍ، واستنباطاً لحكمةٍ؛ لأنَّ شيئاً منها لا يجيء إلا مع خلاءِ الذَّرْع[2]، وفراغِ القلب؛ ومخالطةُ الناس ملغاةٌ ومَشْغَلةٌ.

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثني الحسين بن إسماعيل الفقيهُ، قال: بلغني أنَّ محمد بن الحسن[3] رحمةُ اللّهِ عليه، لمَّا أخذ في تصنيف «الجامع الكبير» خلا في سِردابٍ، وأَمَرَ أهله أن يُراعوا وقت غَدَائه ووضوئه فيقدِّموا إليه حاجتَه منهما، وأن يؤخذَ من شَعره إذا طال، وأن ينظِّفَ ثوبَه إذا اتسخ، وألاَّ يُوردوا عليه شيئاً يشتغل به خاطرُه؛ وأقامَ في ماله وكيلاً وفوَّض إليه أمرَه، ثم أقبلَ / على تصنيف الكتاب، ولم يشعر إلاَّ برجل ٧٨/أ ينزل إليه حتى وقف بين يديه، فأنكَرَهُ، فقال له: من أنتَ؟ قال: أنا صاحبُ الدار، قال: وكيف ذاك؟ قال: لأنِّي قد ابتعت هذه[4] الدار من فلان ـ يعني وكيلَه ـ وكان وكيلُهُ [باعه][5] إياه عن تفويضٍ، فاحتاج إلى الانتقال.

---

(١) أثارة من علم: بقية منه.

(٢) كذا في الأصل. والـذَّرع: البدن. ورجـل واسع الـذَّرع والذِّراع، أي الخلق. (اللسان).

(٣) هو محمد بنِ الحسن بن فرقد الشيباني، أبو عبد الله. إمام بالفقه والأصول، وهو الذي نشر علم أبي حنيفة. أصله من قرية حرسْتا في غوطة دمـشق، وولد بواسط، ونشأ بالكوفة، وانتقل إلى بغداد، فولاه الرشيد القضاء بالرقة ثم عزله، ثم صحبه معه إلى خراسان فمات في الري. وصفه الشافعي بالفصاحة، ونعته الخطيب البغدادي بإمام أهل الرأي. له كتب كثيرة في الفقه والأصول. وكتابه «الجامع الكبير» مطبوع. توفي سنة ١٨٩ هـ.
(الفهرست لابن النديم ١: ٢٠٣، ولسان الميزان ٥: ١٢١، وتاريخ بغـداد ٢: ١٧٢، والأعلام ٦: ٨٠).

(٤) في الأصل: «هذا» وأثبت ما في المطبوع. والتذكير على معنى المكان.

(٥) زيادة يقتضيها السياق.

قال: ولمجنون العامري[1] في هذا:

وإني لأستغشي ومـا بيَ نَعْسَـةٌ   لعـلَّ خيـالاً منـك يلقى خيـاليـا
وأخرجُ من بينِ الجلوسِ لعلَّني   أحدِّثُ عنكِ النَّفْسَ بالسرِّ خـاليا

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا[2] ابن الأعرابي، قال: حدثنا أحمد ابن عمرو القَطِرانيّ[3]، قال: حدثنا عمرو بن مرزوق، قال: حدثنا زائدة، عن الأعمش، عن مسلم بن صُبيح، عن مَسْرُوقٍ[4]، قال:

المرء حقيقٌ أنْ يكونَ له مجالسُ يخلو فيها، فيذكر ذنوبَهُ ويستغفرُ منها.

قال: وفي العُزْلَة السَّلامةُ من صحبة الثقيل ومؤونةِ النظر إليه؛ فإنَ ذلك هو العمى الأصغر.

حدثنا أبو سليمان، قال: أخبرني الحسن بن عبد الرحيم، عن الغلابي، قال: حدثنا عبد الله بن الضحاك، عن الهيثم بن عدي، قال: قيل للأعمش: مم عمشَتْ عيناك[5]؟ قال: من النظر إلى الثقلاء[6]. وقال

---

(١) ديوانه ٢٩٩ ـ ٣٠١، ورواية البيت الثاني فيه:

وأخــرج من بين البيـوت لعلّني   أحدِّث عنك النفس يا ليلَ خاليا

(٢) فوقها لفظ: «أخبرنا».

(٣) في الأصل والمطبوع: «القطواني» وأثبت ما في غريب الحديث للخطابي ١ : ٥٢٤ و ٢ : ٦٧.

وهو أحمد بن عمرو بن حفص بن عمر بن النعمان، أبو بكرالقريعي البصري القطِراني. توفي سنة ٢٩٥ هـ. (سير أعلام النبلاء ١٣ : ٥٠٦).

(٤) هو مسروق بن الأجدع بن مالك، أبو عائشة الكوفي، الإمام القدوة، توفي سنة ٦٣ هـ.

(حلية الأولياء ٢ : ٩٥، وسير أعلام النبلاء ٤ : ٦٣، وخلاصة تذهيب الكمال ٣٧٤).

(٥) في الأصل: «عينيك» وأثبت ما في المطبوع.

(٦) في شرح الإحياء للزبيدي ٦ : ٣٦١: أن الإمام أبا حنيفة دخل على الأعمش فقال: =

الأعمش: قال جالينوس: لكلِّ شيء حُمَّى، وحمَّى الرُّوحِ النظرُ إلى الثقيل.

/ أخبرنا [أبو][1] سليمان، قال: حدثني محمد بن معاذٍ، قال: ٧٨/ب حدثنا أحمد بن محمد بن الحسن، قال: حدثنا العباس بن أبي طالب[2]، قال: حدثنا إبراهيم بن المنذر، قال: حدثنا حمّاد بن زيد، عن أيوب، عن ابن سيرين، قال: سمعت رجلاً يقول: نظرتُ إلى ثقيل مرَّةً فغُشِيَ عليَّ.

قال: وفي العُزْلَة الأمانُ ـ ببلد بُسْت[3] خاصة ـ من دواهي الكُنُفِ الشارعة[4] والمثاعب[5] السائلة؛ فإنَّ جِنايتها عند أهلها جُبَارٌ[6] لا أَرْشَ[7] لها، ودماءَ قتلاها مطلولةٌ[8] لا عَقْلَ[9] ولا قَوَدَ[10] فيها، فكلما قلَّ بروزُ الإنسان إليها، وعبورُهُ عليها، كان أوفَرَ لمروءته، وأبقى لنظافته، وأبعدَ له من أذاها وغائلتِها، وأسلمَ له من دائها وعاديتها.

* * *

= في الخبر أن من سلب الله كريمتيه عوضه الله عنهما ما هو خير منهما، فما الذي عوضك؟ فقال في معرض المطايبة: عوضني الله عنهما أنه كفاني رؤية الثقلاء وأنت منهم.

(١) زيادة يقتضيها السياق، وهي في المطبوع.

(٢) هو العباس بن جعفر بن عبد الله بن الزبرقان العباسي مولاهم، أبو محمد بن أبي طالب. توفي سنة ٢٥٨ هـ.
(خلاصة تذهيب الكمال ١٨٨).

(٣) بلد المصنف رحمه الله، وكان لا يجد فيها راحة لنفسه.

(٤) الكُنُف الشارعة: المراحيض المكشوفة في الطرق النافذة.

(٥) المثاعب: جمع مَثْعَب، وهي مجاري المياه.

(٦) الجُبار: الهَدَر، وهو مالا قصاص فيه ولا غُرْمَ، يقال: ذهب دمه جُبَاراً.

(٧) الأرش: الدِّية.

(٨) الدماء المطلولة: هي الدماء المهدورة.

(٩) العَقْل: الدية.

(١٠) القَوَد: القِصاص، وقتل النفس بالنفس.

بــاب في خفة الظهر
وقلة العيال والأهل

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرنا ابن الأعرابي، قال: حدثنا عباس ابن عبد الله التَرْقُفيّ، قال: حدثنا رَوَّادُ[1] بن الجرَّاحِ، عن سفيان، عن منصور، عن رِبْعِي بن حِراش[2]، عن حُذَيْفَة، قال: قال رسول الله ﷺ: «خيارُكُمْ في المائتين كلُّ خَفِيفِ الحاذ[3]» قالوا: يا رسولَ الله! وما الخفيفُ الحاذ؟ قال: «الذي لا أَهْلَ لَهُ وَلا وَلَدٌ»[4].

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم بن مالك، قال:
٧٩/أ / حدثنا بشْر، قال: حدثنا الحُمَيدِيُّ، قال: حدثنا سُفيان، قال: حدثنا مُطَّرِحٌ[5] أبو المهلَّب، عن عُبيد الله بن زَحْر، عن القاسم، عن أبي أمامة

---

(١) روَّاد بن الجراح العسقلاني، أبو عصام. وثقه ابن معين. قال ابن عدي: روى غير حديث منكر، وعامة ما يرويه لا يتابعه عليه الناس.
(خلاصة تذهيب الكمال ١٢٠).

(٢) ربعي بن حِراش العبسي، أبو مريم الكوفي. مخضرم ثقة عابد. توفي سنة ١٠٠ أو ١٠٤ هـ. (التقريب ١: ٢٤٣، وخلاصة تذهيب الكمال ١١٤).

(٣) خفيف الحاذ: ضعيف الظهر من العيال، أو قليل المال والعيال. والحاذ: الحال.

(٤) خرَّجه العراقي في الإحياء ١: ٢٤، وقال فيه وفي الحديث الذي يليه: «أخرجه أبو يعلى من حديث حذيفة، ورواه الخطابي في العزلة من حديثه وحديث أبي أمامة؛ وكلاهما ضعيف».

(٥) هو مُطَّرح بن يزيد، أبو المهلب الكوفي. ضعيف. (التقريب ٢: ٢٥٣).

الباهليّ: أنَّ رسولَ الله ﷺ، قال: «أَغْبَطُ[1] أوليائِي عندِي مَنْزِلَةً: رَجُلٌ مُؤمنٌ خَفِيفُ الحاذ، ذو حَظٍّ من صلاةٍ، وكان غامضاً[2]، فَعُجِّلَتْ له منيتُهُ، وقلَّ تُرَاثُهُ، وقلَّتْ بواكِيهِ»[3] [4].

قال أبو سليمان: قد غَبَطَ النبيُّ ﷺ مَنْ كان بهذه الصفةِ من غموض الشَّخْصِ، وخمولِ الذكر في الناس، واشترط له الرضا بقلَّةٍ؛ لأنَّ القناعةَ تقطعُهُ عن الناس، واشترط له أيضاً خفَّةَ العيال؛ لئلاّ يَشْغَلَهُ الكَسْبُ لهم، ثم وتعجيل الوفاة لئلا يطولَ مُقامه فيما بينَهم. وهذه الأسبابُ كلُّها تشير إلى العُزْلَة وتبيِّن عن فضيلتها.

أخبرنا[5] أبو سليمان، قال: أخبرنا ابنُ الأعرابيّ، قال: حدثنا أحمد

---

(١) أغبط: أحق أن يتمنى مثل حاله.

(٢) غامض: الخفي، غير مشهور. وأراد بالحاذ الخفيف الظهر من العيال، القليل المال، القليل الحظ من الدنيا. والحاذ في الأصل: بطن الفخذ، وقيل: هو الظهر والموضع الذي يقع عليه اللبد من ظهر الفرس.

(٣) أخرجه الترمذي في الزهد رقم (٢٣٤٨) باب ما جاء في الكفاف والصبر عليه، وإسناده حسن، وابن ماجه في الزهد رقم (٤١١٧)، باب من لا يؤبه له، وبإسناد فيه ضعف، ولفظه مختلف. ونصه عند الترمذي كما في جامع الأصول ١٠: ١٣٧:

«قال الله: إنَّ أغبط أوليائي عندي: مؤمن خفيفُ الحاذِ، ذو حظ من الصلاة، أحسن عبادة ربِّه، وأطاعه في السِّرِّ، وكان غامضاً في الناس، لا يُشار إليه بالأصابع، وكان رِزقُه كفافاً فصبر على ذلك. ثم نقر بيده، فقال: عُجِّلَتْ منيتُه، قَلَّ تراثُه، قلَّت بواكيه».

(٤) وفي شرحه قال الشاعر:

أحسُّ الناس بالإيمانِ عبدٌ ... خفيفُ الحاذ مسكنُه القِفارُ
له في الليل حظٌّ من صلاة ... ومن صوم إذا طلع النَّهارُ
وقوتُ النفس يأتيها كفافاً ... وكان له على ذاك اصطبارُ
وفيه عفَّة وبه خمول ... إليه بالأصابع لا يُشارُ
فذلك قد نجا من كلِّ شرٍّ ... ولم تمَسَّهُ يوم البعث نارُ

(٥) فوقها لفظة «مقدَّم».

ابن مُلاعب، قال: حـدثنا ثابت بن محمد الزاهد، قال: حدثنا سفيان الثوري، عن الأوزاعي، عن عبد الرحمن بن اليَمان، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «رُحِمَ عبدٌ في سبيل الله؛ إنْ كان غزو غزا[١] فيه، وإن كانت سريَّة خرج فيها، وإنْ غابَ لم يُفْتَقَدْ، وإن شهِدَ لم يُعْرَف. طُوبَى له ثم طُوبَى له»[٢].

٧٩/ب / أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا إبراهيم بن فراس، قال: حدثنا ابنُ سَالم[٣]، قال: حدثنا إسحاق بن راهَوَيْه، قال: حدثنا عبد الرزَّاق، قال: حدثنا محمد بن مُسْلم، عن إبراهيم بن مَيْسَرَةَ، عن ابن أبي سُويد، قال: سمعتُ عُمَرَ بن عبد العزيز يقول: زَعَمتِ المرأةُ الصالحةُ خَوْلَةُ بنتُ حَكيمٍ[٤] أنَّ رسولَ الله ﷺ خرج وهو محتضِنٌ أحدَ ابني ابنتِه وهو يقول: «واللَّهِ إنَّكم لتُبَخِّلون وتُجبِّنــونَ وتجهِّلون، وإنَّكم لمن رَيحــانِ الـلَّه سبحانَه»[٥].

---

(١) في الأصل: «وغزا فيه».

(٢) إسناد هذا الحديث فيه ضعف وانقطاع، فإن عبد الرحمن بن اليمان غير معروف، والذي يروي عن الأوزاعي إنما هو عبد الرحمن بن حرملة بن عمرو بن سَنَّة الأسلمي أبو حرملة، وعبد الرحمن بن حرملة يروي عن سعيد بن المسيب، وابن المسيب يروي عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ فالإسناد منقطع (ع).

(٣) هو أحمد بن محمد بن سالم.

(٤) خولة بنت حكيم بن أمية السلمية، أم شريك. زوجة عثمان بن مظعون. لها خمسة عشر حديثاً. انفرد لها مسلم بحديث. حدث عنها عروة، وأرسل عنها عمر بن عبد العزيز.

(الإصابة ٤: ٢٩١، وخلاصة تذهيب الكمال ٤٩٠).

(٥) تفرد به الترمذي وأخرجه في كتاب البر والصلة (باب ما جاء في حب الولد) رقم (١٩١١)، وقد سقط منه لفظ القسم، وفي سنده انقطاع.

وانظر حاشية جامع الأصول ١: ٤١٥، وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ١٥.

قال أبو سليمان: يريدُ أنَّهم يحملون الرجلَ على البخل والجبن، ويدعونه إلى الجهل، حبّاً لهم وشفقةً عليهم.

قال: أنشدني أبو عمر، قال: أنشدنا أبو العباس ثعلب(١):

لولا أميمةُ لم أَجْـزَعْ من العَدَمِ ... ولم أَجُبْ في الليالي حِنْدِسَ الظُّلَمِ
وزادني حـذراً للمـوت معـرفتي ... ذلَّ اليتيمـةِ يجفوهـا ذوو الرحمِ
تهوَى حياتي وأهوى موتَهـا شَفَقاً ... والموتُ أكرمُ نَزَّالٍ على الحُرَمِ

قال أبو سليمان: وأنشدني ابن الزِّئبقِيّ، قال: أنشدنا الكُدَيْمِيّ، قال: أنشدني الأصمعي لأعرابي(٢):

لـقــد زادَ الحيــاةَ إليَّ حُبّــاً ... بنــاتِي إِنَّهُـنَّ مِـن الـضِّعــافِ
مخـافَـةَ أن يَـذُقْنَ الفقـرَ بعـدي ... وأن يَشْـرَبْنَ رَنْقـاً بعــد صَـافِ
وأَنْ يَعْــرَيْنَ إن كُسِيَ الجـوارِي ... فتَنْبُــو العينُ عَنْ كَـرَمٍ عِجـافِ

قال: وأنشدني بعض أهل الأدب لأعرابي:

/وإني لأهـوى وهو يغتـال مدتي ... مــرورَ الليـالي كي يشبَّ حكيمُ ٨٠/أ
مخـافَةَ أن يغتـالَني الموتُ دونَـهُ ... فيغشى بيــوتَ الحيِّ وهــو يتيمُ

أخبرنا [أبو](٣) سليمان، قال: أخبرنا ابن الأعرابي، قال: حدثنا أبو

---

(١) الأبيات لإسحاق بن خلف من شعراء العصر العباسي. وهي في فوات الوفيات ١: ١٦٤، برواية: «وزادني رغبة في العيش» و «تهوى لقائي».

(٢) الأبيات لأبي خالد القناني وكان من قعد الخوارج، كما في الكامل للمبرد ٣: ١٦٧ واللسان (كرم)، يرد بها على قول قطري بن الفجاءة:

أبـا خالـد انْفِـرْ فلست بخالـدٍ ... وما جعل الـرحمن عُذْراً لقـاعِدِ
أتزعم أنَّ الخارجيَّ على الهدى ... وأنت مقيم بين لصٍّ وجـاحِـدِ

وتنسب أيضاً لغيره. انظر المشوف المعلم بتحقيقنا ٦٧٠، وشرح أبيات مغني اللبيب للبغدادي ٧: ١٣٨.

(٣) زيادة يقتضيها السياق وهي في المطبوع.

داود[1]، قال: حدثنا هنَّاد بن السَّرِيّ، عن أبي الأحوص، عن عطاء بن السَّائب، عن أبي البَخْتَرِيّ، قال: كان بين عمَّار بن ياسر وبين رجلٍ كلامٌ في المسجد، فقال عمَّار: أسأل الله تعالى إن كنتَ كاذباً ألا يميتَكَ حتى يكثرَ مالُكَ وولدُكَ ويُوطَأ عقِبُكَ[2].

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني إسماعيل بن محمد، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، قال: حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وَهْبٍ، قال: حدثنا عمّي[3]، قال: حدثني ابنُ لَهيعَةَ، عن خالد بن يزيد، عن سَعيد بن أبي هِلالٍ[4]، أن داود النبي ﷺ كان يقول: «اللهم إنّي أعوذُ بك من جار السَّوء، ومن مالٍ يكون عليَّ عذاباً، ومن ولدٍ يكون عليَّ وبالاً[5]، ومن زوجةٍ تشيبني قبل المشيب، ومن خليلٍ ماكرٍ؛ عينُه ترعاني وقلبُهُ يَشْنَؤني؛ إنْ رأى خيراً أخفاه، وإنْ رأى شرّاً أفشاه».

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن زياد، قال: [قال]

---

(١) هو أبو داود السجستاني سليمان بن الأشعث، إمام أهل الحديث في زمانه. صاحب السنن. توفي سنة ٢٧٥ هـ.

(تاريخ بغداد ٩: ٥٥، وتذكرة الحفاظ ٢: ١٥٢).

(٢) في اللسان (وطأ): «وفي حديث عمَّار أن رجلاً وشى به إلى عُمَرَ فقال: اللهم إن كان كَذَبَ، فاجعله موطَّأ العقِب، أي كثير الأتباع. دعا عليه بأن يكون سلطاناً ومقدّماً، أو ذا مال، فيتبعه الناس ويمشون وراءه».

وانظر طبقات ابن سعد ١٨٣/١/٣، وحلية الأولياء ١: ١٤٢، وسير أعلام النبلاء ١: ٤٢٣.

(٣) هو عبد الله بن وَهْب بن مسلم القرشي، أبو محمد المصري. مات سنة ١٩٧ هـ. (التقريب).

(٤) هو سعيد بن أبي هلال الليثي، أبو العلاء المصري، أحد الثقات. مات سنة ١٣٥ هـ.

(سير أعلام النبلاء ٦: ٣٠٣، وخلاصة تذهيب الكمال ١٤٣).

(٥) في الأصل: «ربا».

ابن أبي الجحيم، قال: حدثنا عِصْمَةُ بن سليمان الكوفيّ، قال: حدثنا جعفر ابن أبي شُعيب الكِندي، قال:

كان رجل / من أهل البصرة، وكانت له تجارةٌ، وكان له عقلٌ، فأراد ٨٠/ب الله به خيراً، فترك التجارة وأقبلَ على العبادة، فكان يسمع الناسَ يقولون: مالكُ بن دينارٍ[١]، فقال: والله لأذهبنَّ إلى مالك هذا الذي شُغِفَ النَّاسُ به، فلأنظرنَّ ما عملُه، قال: فأتيتُه فإذا هو جالسٌ وحولَهُ قومٌ يقرؤون القرآن، فجلسْتُ في جانب المسجد حتى تفرَّقوا، وجاء قـوم آخرون فسمعوا الحديثَ وسمعوا الزُّهْدَ والكلامَ، فلما تفرَّقوا قام فصلَّى ركعتين أو أربعاً، ثم خرج وتبعْتُه، فقال لي: ألك حاجةٌ؟ قلتُ: نعم، أردت أن أجيءَ معك إلى بيتِك، قال: مُرَّ، فذهبتُ معه، فأدخلني إلى حجرة نظيفة، وظلٍّ باردٍ رطبٍ، وبيتٍ نظيفٍ، وفيه بدريّ[٢] ودورقٌ[٣] ومطهرةٌ، وجُلة[٤] فيها كِسَرٌ. فقلت: يا مالك، ألك امرأةٌ؟ قال: أعوذ بالله، قلت: يا مالك، ألك ولدٌ؟ قال: أعوذُ بالله، قلت: يا مالك، ألك تجارةٌ؟ قال: أعوذُ بالله، قلت: يا مالك، عليك دَيْنٌ؟ قال: أعوذ بالله، قلت: يا مالك، ألك على الناس دينٌ؟ قال: أعوذ بالله، قلت: يا مالك، يزعم الناس أنك أزهدُ الناس وأنت خديمٌ[٥] ناعمٌ[٦]. قال: فَشَهِقَ شهقةً.

---

(١) هو مالك بن دينار البصري، أبو يحيى، من رواة الحديث. كان ورعاً يأكل من كسبه، ويكتب المصاحف بالأجرة. توفي بالبصرة نحو سنة ١٣٠ هـ.
(طبقات ابن سعد ٧: ٢٤٣، وحلية الأولياء ٢: ٣٥٧، وسير أعلام النبلاء ٥: ٣٦٢، وخلاصة تذهيب الكمال ٣٦٧).

(٢) كذا في الأصل، ولعله اسم لوعاء.

(٣) الدورق: مقدار لما يشرب يكتال به، فارسي معرب.

(٤) الجُلَّة: وعاء يتخذ من الخوص يوضع فيه التمر يكنز فيها.

(٥) أي مخدوم منعم.

(٦) في الأصل: «الناعم».

قال أبو سليمان: صدق القائلُ فيما وصفه من أمرِ مالكٍ، إلَّا ما قصَّرَ
٨١/أ فيه / من التشبيه، وإني لحزيم[1] ذلك.

وإنما قيل له الناعم؛ للبسه الجديدَ في الشتاء، والخَلَقَ في الصيف، وما عسى أن يبلغَ ذلك أو نحوه من التنعُّمِ. ولعله من وراء ذلك قد يكون عليه عيال تؤوده، ومؤونة تفدحُهُ وتثقله، وأمور من أسباب المعيشة تهمه وتكرِّثُه[2]. لكنَّ الناعم حقّاً مالكٌ وما سَعَدَ به من خفّة الظهر، وقلَّةِ مَن يشغَلُهُ ويفتِنُهُ من العيال والأهل، هذا إلى ما ناله من فَضْلِ العلم، وحازَهُ من كرم التقوى.

وقد قيل: في كثرةِ العيالِ فضيحةُ الرِّجال.

ويقال: ما أيسَرَ ذو عيالٍ وإن كان بحسن حالٍ.

وقيل لسفيان بن عُيَيْنَةَ في قَبُولِ عطاءِ السلطان، فقال: صاحبُ العيال لا يفلح.

قال: وحكي لنا عن سفيان الثوري أنَّه كان يقول:

ما العيشُ إلاَّ القُفْلُ والمفتاحُ
وغرفةٌ تصفِّقُها الرِّياحُ
لا صخبٌ فيها ولا صِياحُ

* * *

(١) يقال: شددت لهذا الأمر حزيمي، والحزيم: الصدر. وتقرأ في الأصل أيضاً: «لخريم»، ولم أجد لها معنى.

(٢) كرثه الأمر يكرِثه، بكسر الراء وضمها: ساءه واشتد عليه، وبلغ منه المشقة.

بـــاب في ترك الاستكثار من الأصدقاء وما يستحب من قلة الالتقاء

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرنا ابن الأعرابي، قال: حدثنا أحمد ابن عُبَيد النّخعيّ، قال: حدثنا مؤمّل بن إهاب، قال: حدثنا مالك بن سُعَيْرٍ، عن الأعمش، عن مجاهدٍ، / عن ابن عمر، قال: أخذ رسولُ الله ﷺ بيدي فقال: «كُنْ في الدنيا كأنَّك غَرِيبٌ أو كأنَّك عابِرُ سَبيلٍ»[1]. ٨١/ب

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم بن مالك، قال: حدثنا بِشْرُ بنُ موسى، قال: حدثنا الحُمَيدِيّ، قال: حدثنا سُفيان، قال: حدثنا مَعْمَرٌ، عن الزُّهريّ، عن سالمٍ، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «تَجِدُون النَّاسَ كإبِلٍ مائةٍ ليس فيها راحلةٌ»[2].

---

(١) أخرجه البخاري في الرقاق ٨: ١١٠، واللفظ له؛ والترمذي في الزهد رقم (٢٣٣٤)، باب ما جاء في قِصر الأمل؛ وابن ماجه في الزهد، (باب مثل الدنيا) رقم (٤١١٤)؛ وأحمد في مسنده ٢: ٢٤، ٤١.

(٢) أخرجه البخاري في الرقاق ١١: ٢٨٦، باب رفع الأمانة؛ ومسلم بشرح النووي في فضائل الصحابة ١٦: ١٠١ رقم (٢٥٤٧)؛ وابن ماجه في الفتن (باب من ترجى له السلامة من الفتن) رقم (٣٩٩٠)؛ وأحمد في مسنده ٢: ٧؛ والترمذي رقم (٢٨٧٦) في الأمثال، (باب ما جاء في مثل ابن آدم وأجله وأمله).

وذكره الخطَّابي أيضاً في كتابه غريب الحديث ١: ٥٦١، وقال في شرحه له: «فمعناه أنهم متساوون في الحُكْم، لا فضل لشريف على مَشْروفٍ، ولا لِرفيعٍ على وضيع».

قال أبو سليمان: الراحلة: البعير الذَّلول الذي يُرْحَلُ ويُركب، فاعل بمعنى مفعول، كقولهم: سرٌّ كاتمٌ، أي مكتومٌ؛ وماءٌ دافقٌ بمعنى مدفوقٍ.

يريد ـ والله أعلم ـ: ليعلم أنَّ الواحدَ من المائة من الناس[1] لا يصلح أن يُصحَبَ، كما أنَّ الواحد من هذه المائة من الإبل لا يصلح أن يُركَبَ. يشير به إلى الإقلال من صحبة الناس والتحذير منهم[2].

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثني محمد بن إبراهيم المُكْتِبُ، قال: حدثنا شكَّر، قال: حدثنا إبراهيم بن هانىء، قال: حدثنا سعيد بن عُفَيْر[3]، قال: حدثنا يحيى بن أيوب، عن موسى بن علي، عن أبيه، عن

= أو أن الإنسان الكامل النجيب يعز وجوده في الناس، كالراحلة الذي لا يوجد في كثير من الإبل. وانظر النهاية ١٥٨. والراحلة: البعير القوي النجيب التام الخلق الحسن المنظر، ويقع على الذكر والأنثى، والهاء فيه للمبالغة.

(١) حتى قوله: «هذه المائة من» مستدرك في الهامش.

(٢) في شرح مسلم للنووي ٦: ١٠١: «قال ابن قتيبة: الراحلة: المختارة من الإبل للركوب وغيره، فهي كاملة الأوصاف؛ فإذا كانت في إبل عرفت. قال: ومعنى الحديث: أن الناس متساوون ليس لأحد منهم فضل في النسب، بل هم أشباه كالإبل المائة.

وقال الأزهري: الراحلة عند العرب: الجمل النجيب والناقة النجيبة. قال: والهاء فيها للمبالغة، كما يقال: رجل فهامة ونسابة. قال: والمعنى الذي ذكره ابن قتيبة غلط، بل معنى الحديث: أن الزاهد في الدنيا الكامل في الزهد فيها والرغبة في الآخرة قليل جداً كقلة الراحلة في الإبل.

هذا كلام الأزهري وهو أجود من كلام ابن قتيبة. وأجود منهما قول آخرين: أن معناه: المرضي الأحوال من الناس الكامل الأوصاف، الحسن المنظر، القوي على الأحمال والأسفار.

سميت راحلة؛ لأنها ترحل، أي يجعل عليها الرحل، فهي فاعلة بمعنى مفعولة، كعيشة راضية، أي مرضية ونظائره».

(٣) في الأصل غير واضحة. وفي تهذيب التهذيب وخلاصة تذهيب الكمال: «عُفَير» وكذا هو في التذكرة ٤٢٧. وهو سعيد بن كثير بن عفير بن مسلم الأنصاري، أبو عثمان. توفي سنة ٢٢٦ هـ.

عمرو بن العاص أنَّه قال: إذا كثُرَ الأخلاء كثر الغرماء[1].

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني أبو عمر غلام ثعلب، قال: حدثنا السَّيَّاريُّ[2]، عن الناشي، قال: الاسْتِكثارُ من الإخوان وسيلةُ الهجران.

قال أبو / سليمان: يريد أنَّهم إذا كثُروا كثُرَتْ حقوقُهم فلم يَسَعْهم ٨٢/أ
بِرُّكَ، فإذا تأخَّرَتْ عنهم حقوقُهم استبطؤوك فهجروكَ وعادوكَ، وما أحسنَ ما عبَّر به ابنُ الرومي عن هذا حين يقول[3]:

عــدوُّكَ من صـديقِــكَ مُسْتفــادٌ   فــلا تَستكثِــرَنَّ من الصِّحــابِ
فــإنَّ الــدَّاءَ أوَّلَ مــا تــراهُ   يكـونُ من الـطعــام أو الشرابِ

قال أبو سليمان: فأمَّا قول سفيان الثوري: كثرةُ أصدقاء المرء من سخافة دينه، فإنَّه يريدُ أنَّه ما لم يداهنْهم ولم يحابهم لم يكثُروا؛ لأنَّ الكَثْرَةَ إنما هي في أهل الرِّيبة. وإذا كان الرجلُ صُلْبَ الدِّين لم يصحَبْ إلَّا الأبرارَ الأتقياءَ، وفيهم قِلَّةٌ.

قال: أنشدني بعض العلماء لبعض الشعراء[4]:

---

(١) في الإحياء عن عمرو بن العاص: كثرة الأصدقاء كثرة الغرماء.
وفي شرح الإحياء للزبيدي ٣: ٣٥٩: شبه الأصدقاء بالغرماء في ملازمتهم ومطالبتهم الحقوق.

(٢) هو أبو الحسين أحمد بن إبراهيم السياري، خال أبي عمر الزاهد. يروي عن الناشيء، روى عنه أبو عمر الزاهد. (اللباب ٢: ١٦٣).
والناشي: هو الناشي الكبير، أبو العباس، عبد الله بن محمد بن شِرْشِير الأنباري. من كبار المتكلمين، وأعيان الشعراء، ورؤوس المنطق. سكن مصر ومات سنة ٢٩٣ هـ. (سير أعلام النبلاء ١٤: ٤٠).

(٣) ديوان ابن الرومي ١: ٢٣١ من أبيات قالها في مجانبة صحبة الناس، ورواية البيت الثاني فيه:
فــإن الــدَّاءَ أكــثــر مــا تــراهُ   يحـولُ من الـطعــام أو الشـرابِ

(٤) البيت الأول في محاضرات الراغب ٢: ٣ بلا نسبة، وهما في أدب الدنيا والدين =

لكل امرىءٍ شكلٌ من الناس مثلُهُ   فـأكثَرُهُمْ شَكْـلاً أقلُّهُمُ عقـلا
وكـلُّ أنـاسٍ آلِفـون لشكلهِـمْ   فـأكثـرُهم عقـلاً أقلُّهُمُ شكـلا

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثونا عن محمد بن الحسن الخلّادي، قال: قال يوسف بن أسباط: كنت مع سفيان في المسجد، فنظر إلى
٨٢/ب الخَلْق فقال: ترى هذا الخلق، / ما يسرني مؤاخاتهم بقيراطِ فلوسٍ.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرنا محمد بن منصور، قال: حدثنا محمد بن المنذر، قال: حدثنا محمد بن مَسْلمةَ الواسطيُّ، قال: سمعت[(١)] عبد الله بن يزيد المقرىء، قال: سمعت ابنَ عَوْن يقول:

أسيء ظنَّك بالناس تقَعْ قريباً، وأقلَّ معرفةَ الناس تسْلَمْ.

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا محمد بن إبراهيم المُكْتِبُ، قال: حدثنا شكَّر، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن يونس، قال: حدثنا إسماعيل بن محمود، عن سفيان: أنَّ يُونُسَ بنَ عُبَيد أُصيبَ بمصيبةٍ فقيل له: إنَّ ابنَ عَوْنٍ[(٢)] لم يأتك، فقال: إنَّا إذا وثقنا بمودَّةِ أخينا لم يضرَّنا ألَّا يأتينا[(٣)].

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرنا ابنُ الأعرابي، قال: حدثنا مُشرَّف ابن سعيد الواسطيُّ، قال: حدثنا بِشْر بن قَطَن، قال: سمعتُ شَبِيبَ بن شَيْبة، يقول: إنَّ من إخواني مَنْ لا يأتيني في السَّنةِ إلَّا اليومَ الواحدَ هم

= للماوردي ص ١٥٦ غير منسوبين أيضاً، وبعدهما:

لأن كثيـر العقـل لستَ بـواجـدٍ   له في طريق حين يسلكـه مِثلا
وكـل سفيه طـائشٍ إن فقـدتَـهُ   وجدتَ له في كل ناحيـة عِدْلا

(١) بعدها: «حدثنا».

(٢) هو عبد الله بن عون بن أبي عون الهلالي، أبو محمد البغدادي الخراز، ثقة. توفي سنة ٢٣٢ هـ.

(التقريب ١: ٤٣٩، وخلاصة تذهيب الكمال ٢٠٩).

(٣) الخبر في رسالة الصداقة والصديق للتوحيدي ص ٩٤.

الذين اتَّخذُهم وأعدُّهم للمحيا والممات، ومنهم من يأتيني كلَّ يومٍ فيقبِّلني وأقبِّله، ولو قدرت أن أجعلَ مكان قبلتي إياه عضَّةً لعضضته.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرنا أبو فارس، قال: سمعت إسحاق بن إبراهيم، يقول: كان بين عبد الرحمن بن مهدي[1] / ويحيى بن سعيد القطَّان[2] مودةٌ وإخاءٌ، فكانت السنة تمرُّ عليهما لا يلتقيان، فقيل لأحدهما في ذلك، فقال: إذا تقاربت القلوب لم يضرَّ تباعدُ الأجسام، أو كلمةً نحوها. ٨٣/أ

قال: ولقد أبلَغَ القائلُ في هذا حين يقولُ:

رأيتُ تهاجرَ الإلفين برّاً إذا اصطلحَتْ على الودِّ القلوبُ
وليس يواظبُ الإلمامَ[3] إلاَّ ظَنينٌ في مودَّته مريبُ[4]

أخبرنا أبو سليمان، قال: حُدِّثت عن الخلاَّدي، قال: كتب رجلٌ من أهل الموصل إلى بِشْر بن الحارث[5] يستأذنه أن يلقاه، فقال بِشر: أَحَبُّ

---

(١) عبد الرحمن بن مهدي بن حسان الأزدي، أبو سعيد البصري اللؤلؤي. الإمام الحافظ العلم. قال أبو حاتم: إمام ثقة، أثبت من القطان وأتقن من وكيع. مات سنة ١٩٨ هـ.
(خلاصة تذهيب الكمال ٢٣٥).

(٢) يحيى بن سعيد بن فروخ التميمي، أبو سعيد الأحول القطان البصري. قال ابن معين: يحيى أثبت من ابن مهدي. مات سنة ١٩٨ هـ. (خلاصة تذهيب الكمال ٤٢٣).

(٣) الإلمام: الزيارة.

(٤) المريب مثل الظنين: المتهم.

(٥) بشر بن الحارث بن علي بن عبد الرحمن المروزي، أبو نصر، المعروف بالحافي. من كبار الصالحين، له في الزهد والورع أخبار، وهو من ثقات رجال الحديث. توفي ببغداد سنة ٢٢٧ هـ.
(طبقات ابن سعد ٧: ٣٤٢، وحلية الأولياء ٨: ٣٣٦، وتاريخ بغداد ٧: ٦٧، وسير أعلام النبلاء ١٠: ٤٦٩، وخلاصة تذهيب الكمال ٤٨).

إخواني إليَّ مَنْ لا يراني ولا أراه.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني إسماعيل بن أسد، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، قال: سمعت ابنَ حربٍ، يقول: زار الزِّياديُّ(١) العتَّابيَّ، فأراد العتَّابيُّ أن يتزحزح له عن البِساط، فقال الزِّياديُّ: مكانَكَ، فإنَّ البِساط لا يضيق عن متحابِّين، والدنيا لا تتسع للمتباغِضَيْن(٢).

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا عبد الله بن الزبير، قال: حدثنا ابن عمرو، قال: حدثنا أبي، قال: سمعت عبد الرحمن بن مهدي، قال: سمعت ابن المبارك يقول: إذا قدُم الإخاءُ قُبُحَ الثناء.

٨٣/ب أخبرنا أبو سليمان، / قال: أخبرني الدقَّاق النحوي، قال: اجتمع أبو العباس بن سريجٍ(٣) وأبو العباس المبرّد وأبو بكر بن داود في طريقٍ، فأفضى بهم إلى مضيق، فتقدَّم ابنُ سريج وتلاه أبو العباس محمد المبرِّد، وتأخَّر ابن داود، فلما خرجوا إلى الفضاء التفت ابنُ سُريجٍ، فقال: العلمُ قدَّمني، فقال ابن داود: الأدبُ أخَّرني، فقال لهما المبرّد أبو العباس

---

(١) هو إبراهيم بن سفيان الزيادي، أبو إسحاق. من أحفاد زياد بن أبيه. أديب راوية، كان يشبه بالأصمعي في معرفته للشعر ومعانيه. له شعر، وكان فيه دعابة ومزاح. توفي سنة ٢٤٩ هـ.

انظر: معجم الأدباء ١: ٦٢، وبغية الوعاة ١٨١.

(٢) وشبه هذا ما جاء في الصداقة والصديق للتوحيدي ص ١٠٨، قال: «أخبرني المرزباني، حدثنا الصُّولي، حدثنا المبرد، حدثنا أبو عمر، قال الأصمعي: دخلت على الخليل وهو جالس على حصير صغير، فقال: تعال واجلس، فقلت: أضيِّق عليك، فقال: مَهْ؛ فإنَّ الدنيا بأسرها لا تسعُ مُتباغضَيْن، وإنَّ شبراً في شبرٍ يَسَعُ متحابَّيْن».

(٣) هو أحمد بن عمر بن سريج البغدادي، أبو العباس. فقيه الشافعية في عصره. توفي سنة ٣٠٦ هـ.

انظر: طبقات الشافعية للسبكي ٢: ٨٧، وتاريخ بغداد ٤: ٢٨٧، ووفيات الأعيان ١: ١٧، والبداية والنهاية ١١: ١٢٩.

محمد: أخطأتما جميعاً؛ إذا صحَّت المودَّة سقطَ التكلُّفُ والتعمّلُ.

قال أبو سليمان: وأعلى ما يُذكر في هذا الباب قولُ ابن عباس، قال: أخبرناه ابن الأعرابي، قال: حدثنا سَعْدانُ[1]، قال: حدثنا سفيان، عن إبراهيم بن مَيْسَرة، عن طاووس، قال: سمعت ابنَ عبَّاسٍ يقول: إنَّ الرَّحِمَ تُقطَعُ، وإنَّ النّعم تُكفر، ولم يُرَ مثل تقارب القلوب.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني محمد بن الحسين بن عاصم، قال: حدثنا محمد بن إسحاق الثَّقفي، قال: سمعت إبراهيم بن بشّار، يقول: سمعت عليَّ بن الفُضَيل[2]، قال: اتَّفَق أبي وابنُ المبارك على باب بني شيبة، فقال ابنُ المبارك: يا أبا علي! ادخل بنا المسجد حتى نتذاكرَ، فقال الفُضَيل لابن المبارك: إذا دخلنا المسجدَ أليس تريدُ أنْ تحدِّثني بغريبِ ما / عندك وأحدِّثُكَ بغريب ما عندي من العلم؟ فقال ابنُ المبارك: ٨٤/أ بلى، فانصرفا ولم يدخلا المسجدَ.

قال أبو سليمان: وإنما كَرِه من هذا التصنُّعَ وخاف الرياء. ونحو هذا قولُ الفُضَيل: لأن يلقى[3] الشيطانَ خيرٌ للقارىء من أن يرى قارئاً مثله.

* * *

---

(١) هو سَعْدان بن نصر البزاز، كما في التذكرة والتهذيب، وسير أعلام النبلاء ١٢: ٣٥٧.

(٢) في الأصل: «الفضل». وهو علي بن الفضيل بن عياض التميمي، من السادات علماً وعملاً. مات قبل والده.

(سير أعلام النبلاء ٨: ٣٩٠، وتهذيب التهذيب ٧: ٣٧٣، وخلاصة تذهيب الكمال ٢٧٧).

(٣) في المطبوع: «لأن يلقى القارىء الشيطان خير له...».

وللفضيل في ذلك أقوال أيضاً وردت في سير أعلام النبلاء ٨: ٣٨٩، قال: «تباعد من القراء، فإنهم إن أحبّوك مدحوك بما ليس فيك، وإن غضبوا شهدوا عليك، وقُبِلَ منهم». وقال: «آفة القرّاء العُجْبُ».

كتـــاب جامع في ترك ما لا يعني
ورفض الاشتغال بما لا يجدي

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا أحمد بن عُبَيْد الصَّفَّار، قال: حدثنا عبد الله بن أيّوب، قال: حدثنا علي بن الجَعْد، قال: أخبرنا مالك، عن الزّهري، عن علي بن الحسين، قال: قال رسول الله ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إسلامِ المرءِ تركُهُ ما لا يَعْنِيهِ»(١).

قال أبو سليمان: قال بعضُ الحكماء: من اشْتَغَلَ بما لا يعنيه فاته ما يعنيه، ومن لم يَستغْنِ بما يكفيه فليس في الدنيا شيءٌ يُغْنِيه.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني إسماعيل بن محمد، قال: حدثنا محمد بن سليمان، قال: حدثنا إبراهيم بن صالح القرشي، عن أبيه، عن جدِّه: أنَّ ابنَ عبَّاس أوصى رجلاً فقال: لا تتكلم بما لا يَعْنيكَ؛ فإنَّ ذلك فَضْلٌ(٢)، ولستُ آمن عليك الوِزْرَ، ودع الكلامَ في كثير مما يَعْنيك حتى

٨٤/ب تجدَ له موضعاً؛ فربَّ متكلِّمٍ / في غير موضعه قد عُنِّتَ(٣)، ولا تمارِ(٤)

(١) أخرجه مالك في الموطأ في كتاب حسن الخلق ص ٩٠٣، وأحمد في مسنده ١: ٢٠١.

وأخرجه الترمذي في الزهد رقم (٢٣١٨)، وابن ماجه في الفتن رقم (٣٩٧٦)، باب كف اللسان في الفتنة، من حديث الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة.

(٢) فضل: زيادة عن اللازم.

(٣) العنت: الخطأ والغلط.

(٤) لا تمار: لا تجادل.

حليماً ولا سفيهاً؛ فإنَّ الحليم يَقْلِيكَ[1]، والسَّفِيه يؤذيك، واذكر أخاك إذا توارَى عنك بما تحبُّ أن يذكرك به إذا تواريتَ عنه، ودعه مما تحبُّ أَنْ يدعَكَ منه؛ فإنَّ ذلك العَدْلُ، واعمل عَمَلَ امرىءٍ يعلم أنَّه مجزيٌّ بالإحسان، مأخوذٌ بالإجرام.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرنا ابنُ الأعرابي، قال: حدثنا فضل الأشج، قال: حدثنا ابنُ أبي الأسود[2]، قال: حدثنا جعفر بن سليمان، عن المعلَّى بن زياد، قال: قال مُورِّقٌ العِجْلي[3]: أمرٌ أنا أطلبُهُ منذ عشرين سنةً لم أنلْهُ، ولستُ بتاركِهِ فيما أستقبلُ، قيلَ: وما هو يا أبا المعتَمِر؟ قال: الصمت عمَّا لا يعنيني[4].

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني بعضُ أصحابنا، قال: حدثنا سعيد ابن عبد العزيز، قال: حدثنا أحمد بن أبي الحَواري، قال: حدثنا أحمد بن عاصم، قال: كتب أخٌ ليونُسَ بن عُبَيد الله[5]: أما بعد! يا أخي، فاكتب إليَّ كيف أنتَ. قال: فكتب إليه يُونُس: أما بعد! فإنَّك كتبتَ إليَّ تسألني كيف أنا وكيف حالي، فأخبرك أنَّ نفسي قد ذَلَّتْ لي بصيام اليوم البعيدِ

---

(١) يقليك: يبغضك.

(٢) هو عبد الله بن محمد بن أبي الأسود البصري، أبو بكر. ثقة حافظ. توفي سنة ٢٢٣ هـ.
(التقريب ١: ٤٦٦، وخلاصة تذهيب الكمال ٢١٢).

(٣) هو مُورِّق بن مُشَمْرِج بن عبد الله العجلي، أبو المعتمر البصري. إمام ثقة. مات في ولاية عمر بن هبيرة على العراق.
(التقريب ٢: ٢٨٠، وسير أعلام النبلاء ٤: ٣٥٣، وخلاصة تذهيب الكمال ٣٩٨).

(٤) انظر: حلية الأولياء ٢: ٢٣٥، وسير أعلام النبلاء ٤: ٣٥٤.

(٥) يونس بن عبيد الله بن عبد الرحمن العميري الليثي، أبو عبد الرحمن البصري. صدوق.
(التقريب ٢: ٣٨٥، وخلاصة تذهيب الكمال ٤٤١).

٨٥/أ الطرفين، الشديدِ الحرِّ، / ولم تَذِلَّ لي بترك الكلام فيما لا يَعْنيني.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرنا حَمْزَةُ بن الحارث الدَّهقان(١)، قال: حدثنا عبد الله بن روح المدائني، قال: حدثنا يحيى بن الصَّامت، قال: حدثنا أبو إسحاق الفَزارِيّ، عن الأعمش، عن أبي راشد، قال: جاء رجلٌ من أهل البصرة إلى عبيد بن عمر، فقال: إني رسولُ إخوانك من أهل البصرة إليك(٢)، فإنَّهم يقرؤونك السَّلامَ، ويسألونك عن أمرِ هذين الرجلين: علي وعثمان، وما قولُكَ فيهما؟ فقال: هل غير(٣)؟ قال: لا، قال: جهزوا الرجلَ، فلما فُرِغَ من جهازه قال: اقرأ عليهم السلام وأخبرهم أن قولي فيهم: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ ولَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ولا تُسْأَلُونَ عَمَّا كانوا يَعْمَلُونَ ﴾(٤).

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني محمد بن الحسين الآبري، قال: حدثنا محمد بن الرَّبيع الجِيزِيّ، قال: سمعت يونس بن عبد الأعلى، يقول: حدثنا الشافعيُّ، قال: قيل لعمر بن عبد العزيز: ما تقولُ في أهل صِفِّينَ(٥)؟ فقال: تلك دماءٌ طهَّرَ اللَّهُ يدي منها، فلا أحبُّ أن أخضبَ لساني بها(٦).

قال أبو سليمان: سمعت ابنَ الأعرابي، يقول: سمعت أبا يَعلى السَّاجيَّ، يقول: سمعت الأصمعيَّ يقول: خذ الخيرَ مع أهله، ودع الشرَّ لأهله.

---

(١) في الأصل غير مقروءة، وأثبت ما جاء في غريب الحديث للخطابي.

(٢) في الأصل غير واضحة.

(٣) أراد هل غير ذلك تريد.

(٤) سورة البقرة، الآيـة ١٣٤ و ١٤١.

(٥) صفين: موضع بقرب الرقة على شاطىء الفرات من الجانب الغربي بين الرقة وبالس، وكان فيها وقعة صفين المشهورة بين علي ومعاوية في سنة ٣٧ هـ. (ياقوت).

(٦) أخرجه ابن الجوزي في سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٦٥.

وقيل لبعضهم: / كيف حالُكَ؟ قال: كيف حالُ مَنْ لا يدري كيف حاله. ٨٥/ب

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا الكُرانِيّ، قال: حدثنا ابنُ شبيب، قال: حدثنا المِنْقَرِيّ، قال: حدثنا الأصمعي، قال: قال أعرابي: لا تكن ضحاكاً من غير عَجَبٍ، ولا مشّاءً إلى غير أربٍ[1].

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني سهل بن إسماعيل، قال: حدثنا محمد بن الضُّرَيْس[2] المازني، قال: حدثنا عبد الله بن الحكم الخُبْريّ، قال: حدثنا محمد بن شبيب النحويّ، قال: حدثنا الشَّرْقيّ بن القُطَامي[3]، قال: دخلت على المنصور فقال لي: يا شرقيّ! عَلَامَ يُؤتى[4] المرء؟ فقلت: أصلح الله الخليفة! على معروفٍ سَلَفَ، أو مثلِهِ مؤتنف[5]، أو قديمٍ شرف، أو علم مطَّرف[6].

قال الشيخ: وزادني غيرُ سَهْلٍ، فما عدا هذا فولُوع وكلَفٌ، أو قال: جهلٌ وسرف[7].

---

(١) الأرب: الحاجة.

(٢) في الأصل غير واضحة. ولعله محمد بن أيوب بن يحيى بن ضُرَيْس، أبو عبد الله. الحافظ المحدث الثقة. مات سنة ٢٩٤ هـ.
(تذكرة الحفاظ ٢: ٦٤٣، وسير أعلام النبلاء ١٣: ٤٤٩).

(٣) هو الشرقي بن القطامي: الوليد بن حصين، أبو المثنى. عالم بالأدب والنسب، من أهل الكوفة، استقدمه منها أبو جعفر المنصور إلى بغداد ليعلم ولده المهدي الأدب. توفي نحو سنة ١٥٥ هـ.
(نزهة الألباء ٤٢، والمعارف ٥٣٩، واللباب ٢: ١٧).

(٤) في الأصل: «يؤت».

(٥) أي مستأنف.

(٦) أي جديد مستحدث.

(٧) في الأصل: «وشرف».

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني محمد بن هاشم، قال: دخل محمد بن خُشك[1] على بعض العمال زائراً له، فلم يهشّ له في اللقاء ولم يرفع منه، فنهض وهو يتمثل بقول فلانٍ حين يقول:

إنَّ دخولي على أبي قَتَبِ ... مِن غيرِ ما حاجةٍ ولا أربِ

٨٦/أ /من حمقاتي فإنّني رجلٌ ... مضطربُ العقلِ سيئُ الأدبِ

قرأت لعلي بن عُبَيدة[2] في فصلٍ له: «أما بعد، ولا توجب عليك رقاً لمن لا يعرفُ قَدْرَ ما تملَّكَهُ منك، فإنَّه من لم يتصفَّحْ موالي[3] قلبه، ويختارهم بقدره، أذلته العبودية؛ ولا تتشاغَلْ إلَّا بمن يتفرَّغُ لك، فإن لم تثق ممَّن صافيتَ بالوفاء، فاستظهرْ عليه بمن يسليك عنه، ومتى وجدت مؤثراً لما تهوى، وصفياً صادقاً، فاشغَلْ عمركَ به، واغمُرْ قلبَكَ بطاعته، ولتكن نفسُكَ وديعةً له عندك فتنفذ أحكامه عليها، وما أقلَّ مَنْ يلزمك هذا له إن استوفيتَ لنفسك حقَّها. والسلام».

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرنا سهل بن إسماعيل، قال: حدثنا أحمد بن القاسم البغدادي، قال: حدثنا أحمد بن أبي أميَّة الكاتب، قال: شهدت العتَّابيَّ كَتَبَ إلى رجلٍ: أما بعد! فإنَّ إكرامَكَ غيرَ ذي الدِّين والدنيا حُمْقٌ، والسلام.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني إلياس بن إسحاق، قال: شهدت أحمد بن اليَمان، واستشاره رجلٌ في بعض الأمور فامتنع من الإشارة،

(١) لفظ: «خشك» مكرر في الأصل.

(٢) هو علي بن عبيدة الريحاني، كاتب، من البلغاء الفصحاء. اختص بالمأمون العباسي. صنف كتباً كثيرة نهج بها نهج الحكمة. اتهم بالزندقة، وله مع المأمون أخبار. توفي سنة ٢١٩ هـ.

(فهرست ابن النديم ١ : ١١٩، وتاريخ بغداد ١٢ : ١٨، ومعجم الأدباء ١٤ : ٥١، والنجوم الزاهرة ٢ : ٢٣١، والأعلام ٤ : ٣١٠).

(٣) لعله أراد أصدقاءه القريبين من قلبه.

وقال: هذا أمرٌ لا يلزمني، فقال: وكيفَ / وقد سمعت الله تعالى يقول: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ في الأَمْرِ ﴾[1]، فقال: للإشارة آفاتٌ وأنا أحذرها؛ وذلك أني إذا أشرْتُ على رجلٍ برأي لم يخل من قبول له، أو ردٍّ؛ فإنْ قَبلَه لم يخلُ من أحدِ أمرين؛ إما أنْ يقعَ صواباً فينتفعَ به، أو خطأً فيتضرَّر به؛ فإنْ وقَعَ صواباً وانتفعَ به لم آمن أن يتداخلَني لذلك عُجْبٌ، وأن توهمني نفسي أنْ قد سُقْتُ إليه خيراً؛ [و] إن وقع خطأ وتضرَّرَ به لم أعدَمْ منه لائمةً وذمًّا. ٨٦/ب

وإن لم يقبلْهُ لم يخلُ أيضاً من أحدِ أمرين: إمَّا أنْ ينجحَ أو يُخفقَ؛ فإن أنجح[2] أَزْرَى بي وبرأيي، أو اتَّهَمَني في مشورتي؛ و[إن] أخفَقَ[3] أو ناله ضَرَرٌ، لم آمَنْ من نفسي الشَّمَاتَةَ وأنْ آثَمَ في أمره. وما اعتَوَرَهُ هذه الآفاتُ فترْكُهُ أسْلَمُ.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرنا ابنُ الأعرابي، قال: حدثنا إبراهيم ابن دَنُوقا، قال: حدثنا إبراهيم بن مهدي، قال: حدثنا الحسن بن محمد ابن محمد البَلخي[4]، عن إسماعيل بن مسلم، عن الحسن، عن سَمُرة بن جُندَب، قال: قال رسول الله ﷺ:

«المستشارُ مؤتمنٌ؛ فإنْ شاءَ أشارَ، وإنْ شاءَ سَكَتَ؛ فإنْ أشار

٨٧/أ فَلْيُشِرْ / بما لو نزلَ به فعلَهُ»[5].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٢) يقال: أنجح ونجحت حاجتي.

(٣) في الأصل: «وأخفق» بغير «إن».

(٤) في الأصل: «البَجَلي» وصحح في الهامش: «البَلخي» كما في المطبوع.

(٥) أخرجه ابن ماجه عن أبي هريرة رقم (٣٧٤٥) في الأدب، باب المستشار مؤتمن، وعن أبي مسعود الأنصاري رقم (٣٧٤٦).

والترمذي عن أبي هريرة رقم (٢٣٧٠) في الزهد، وفي الأدب، باب إن المستشار مؤتمن رقم (٢٨٢٣ و ٢٨٢٤).

وأبو داود عن أبي هريرة رقم (٥١٢٨) في الأدب، باب في المشورة. وهو حديث =

قال أبو سليمان: ليست الإشارةُ من الحقوق الواجبةِ على الأعيانِ حتى لا يَسَعَ المستشار أن يمتنعَ منها على المستشير، إنما هي من حقوق الكفاية؛ إذا قام بها بعضُ الناس سقط عن الباقين.

قال محمد بن واسع[1]: لا تُشرْ على معجَبٍ برأيه فإنَّه لا يقبل، فقد ترخَّص العلماءُ في ترك الإشارة لآفةٍ تَعْرِض فيها، أو عائقٍ يمنعُ منها. ولعلَّ ابنَ اليمان كان يعرف من صاحبه المستشير إعجاباً برأيه وتركاً لقبول نصحه، فحذَّرَ الفتنةَ واغْتَنَمَ الرَّاحَةَ.

* * *

= حسن. وانظر جامع الأصول ١١: ٥٦٢.

وفي مسند أحمد ٥: ٢٧٤ من حديث أبي مسعود، وكذا الدارمي في سير أعلام النبلاء ٢: ٢١٩.

ولفظه فيها جميعاً: «المستشار مؤتمن».

وفي الزوائد: إسناد حديث أبي مسعود صحيح، رجاله ثقات.

وقد أخرجه الطبراني في الكبير عن سَمُرة، بلفظ: «المستشار مؤتمن، إن شاء أشار، وإن شاء لم يشر».

وأخرجه أيضاً في الأوسط عن علي، بلفظ: «المستشار مؤتمن، فإذا استشير فليشر بما هو صانع لنفسه».

(١) هو محمد بن واسع بن جابر الأزدي، أبو بكر. فقيه ورع من الزهاد، من أهل البصرة، عرض عليه قضاؤها فأبى. وهو من ثقات أهل الحديث. توفي سنة ١٢٣ هـ.

انظر: صفة الصفوة ٢: ٢٦٦، وتهذيب التهذيب ٩: ٤٩٩، وتاريخ الإسلام للذهبي ٥: ١٥٩، والأعلام للزركلي ٧: ١٣٣.

بـــاب في التحذير من قرناء[1] السوء
وحسن ارتياد الجليس والصاحب

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا محمد بن الطّيّب علكان، قال: حدثنا أبو العلاء الوَكِيعي، قال: حدثنا هشام بن عمَّار، قال: حدثنا يحيـى ابن حمزة، قال: حدثنا زهير بن محمد، عن موسى بن وَرْدان، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «المرءُ على دينِ خليله فلينظُرِ المرءُ مَنْ يُخالِل»[2].

قال أبو سليمان: قوله: «المرءُ على دينِ خليله» معناه: لا تخالل إلاَّ مَنْ رضيتَ دينَهُ وأمانَتَهُ؛ فإنَّك إذا خاللته قادَكَ إلى دينه ومذهبه، فلا تغرّر بدينك / ولا تخاطر بنفسك فتخالل من ليس مرضياً في دينه ومذهبه. ٨٧/ ب

قال سفيان بن عيينة: وقد روي[3] في هذا الحديث: انظروا إلى فرعونَ معه هامان، انظروا إلى الحجَّاج معه يزيدُ بن أبي مسلم[4] شرٌّ منه،

---

(١) في الأصل: «باب في تحذير قرناء...».

(٢) رواه أبو داود رقم (٤٨٣٣) في الأدب، باب من يؤمر أن يجالس. والترمذي في الزهد، باب الرجل على دين خليله، رقم (٢٣٧٩)، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٣) أي روي في تفسير هذا الحديث.

(٤) هو يزيد بن دينار الثقفي، أبو العلاء، وأبو مسلم كنية أبيه. والٍ من الدهاة في العصر الأموي، كان من موالي ثقيف، وجعله الحجاج كاتباً له، فظهرت مزاياه، فلما =

انظروا إلى سليمان بن عبد الملك صحبه رَجَاء بن حَيْوَةَ[1] فقوَّمه وسدَّده.

ويقال: إنَّ الخُلَّةَ[2] مأخوذةٌ من تخلّل المودَّة القلبَ وتمكنها منه، وهي أعلى درج الإخاء؛ وذلك أنَّ الناس في الأصل أجانب، فإذا تعارفوا ائتلفوا فهم أوِدَّاء، وإذا تشاكلوا فهم أحبَّاء، فإذا تأكَّدت المحبَّةُ صارت خُلَّةً.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرنا محمد بن مكيّ، قال: حدثنا الصائغ، قال: حدثنا سعيد بن منصور، قال: حدثنا ابن المبارك، عن حَيْوَةَ بن شُرَيح، عن سالم بن غيلان، عن الوليد بن قيس، عن أبي سعيد الخدريّ، عن النبي ﷺ، قال: «لا تُصَاحِبْ إلاَّ مؤمناً، ولا يأكُلْ طعامَكَ إلاَّ تَقِيٌّ»[3].

قال أبو سليمان: قوله ﷺ: «لا يأكل طعامك إلا تقي» إنما أراد به طعامَ الدعوة دون طعام الحاجة؛ ألا تراه يقول تعالى ذكره: ﴿ وَيُطْعِمُونَ

= استحضر الحجاج استخلفه على الخراج بالعراق. قتل في إفريقية حين ولي عليها سنة ١٠٢ هـ.

(وفيات الأعيان ٢: ٢٧٦، والأعلام ٨: ١٨٢).

(١) هو رجاء بن حيـوة بن جرول الكندي، أبو المقدام. شيخ أهل الشام في عصره، من الوعاظ الفصحاء العلماء. كان ملازماً لعمر بن عبد العزيـز في عهدي الإمـارة والخلافة. واستكتبه سليمان بن عبد الملك، وهو الذي أشار على سليمان باستخلاف عمر، وله معه أخبار. توفي سنة ١١٢ هـ.

(طبقات ابن سعد ٧: ٤٥٤، وحلية الأولياء ٥: ١٧٠، وتذكرة الحفاظ ١: ١١١، وتهذيب التهذيب ٣: ٢٦٥، وسير أعلام النبلاء ٤: ٥٥٧).

(٢) الخُلَّة: الصداقة المختصة التي ليس فيها خلل تكون في عفاف الحب. (اللسان).

(٣) رواه أبو داود رقم (٤٨٣٢) في الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، والترمذي رقم (٢٣٩٧) في الزهد، باب ما جاء في صحبة المؤمن، وإسناده حسن. ورواه أيضاً أحمد في مسنده ٢: ٣٨، والدارمي في سننه (أطعمة) ٢: ١٠٣، وابن حبان في صحيحه، والحاكم، وصححه ووافقه الذهبي.

الطَّعَامَ على حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وأَسِيراً ﴾[1] / ، ومعلوم أنَّ أسراءهم الكفار ٨٨/أ
دون المؤمنين ودون الأتقياء من المسلمين.

وإنَّما وجهُ الحديث ومعناه: لا تدعُ إلى مؤاكلتك إلا الأتقياء؛ لأنَّ المؤاكلة توجب الألفة وتجمع بين القلوب؛ يقول النبي ﷺ: فتوخَّ أن يكونَ خلطاؤك وذوو الاختصاص بك أهلَ التقوى.

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا أبو عمر غلام ثعلب، قال: حدثنا محمد بن يونس الكُدَيْميّ، قال: حدثنا إبراهيم بن زكريا البزاز، قال: حدثنا عبد الله بن عثمان بن عطاء الخراساني، عن أبيه، عن سَلَمة بن كُهَيْل، عن أبي[2] جُحَيْفَة، قال: قال رسول الله ﷺ:
«جالسوا الكبراءَ وتعلَّموا من العلماء»[3].

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا[4] ابن الأعرابي، قال: حدثنا عبد الكريم بن الهَيْثَم، قال: حدثنا عبد الله بن عبد الجبَّار الحمصي، قال: حدثنا عبد الله بن عثمان بن عطاء الخراساني، عن أبيه، عن سَلَمة بن كُهَيْل، عن أبي[2] جُحَيْفَة، قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا تلزموا مجالسَ العشائرِ؛ فإنَّها تميتُ القلبَ، ولا يبالي الرجلُ بما تكلَّمَ في ناديهم، وتفرَّقوا في العشائر؛ فإنَّه أَحْرَى أَنْ تحفظوا في المقالة»[5].

---

(١) سورة الإنسان، الآية: ٨.
(٢) قوله: «عن أبي» مستدرك في الهامش.
(٣) روايته في مجمع الزوائد للهيثمي ١: ١٢٥ عن أبي جحيفة: «جالسوا الكبراء، وسائلوا العلماء، وخالطوا الحكماء». قال: رواه الطبراني في الكبير من طريقين إحداهما هذه، والأخرى موقوفة. والموقوف صحيح الإسناد.
(٤) في الأصل: «أخبرنا حدثنا».
(٥) في سنده الحكم بن عبد الله الفلسطيني، وهو أبو سلمة العاملي الشامي الأزدي، =

٨٨/ب قال أبو سليمان: قد حذَّر النبيُّ ﷺ / مجالسةَ مَنْ لا يستفيدُ المرءُ به فضيلةً، ولا يكتسبُ بصحبته علماً وأدباً؛ وفيه الحضُّ على الغربة في طلب العلم، والرحلةِ إلى بلاد أهل الفضل.

قال أبو سليمان: وبلغني عن بعض العلماء أنَّه سئل عن قريش كيف صارت أفضَلَ العرب قاطبةً، وإنما هي قبيلةٌ من مُضَرَ، فقال: لأنَّ دارَ قريشٍ لم تزل موسمَ الناس ومنسَكَ الحاج، وكانت العرب تقصِدُها في كل عام لحجّهم، وترِدها لقضاء نُسكهم، فهم لا يزالـون يتأمَّلون أحوالهم ويراعونها، فيختارون منها أحسَنَ ما يشاهدونه، ويتكلَّمون بأفصح ما يسمعون من كلامهم، ويتخلَّقون بأحسن ما يرونه من شمائلهم؛ فصاروا أفضلَ العرب من قِبَلِ حُسْنِ الاختيار الذي هو ثمرةُ العقل، فلما ابتعثَ الله تعالى نبيَّه ﷺ منهم، تمَّتْ لهم الفضيلةُ وكَمَلَـتْ لهم به السِّيادة.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرنا الصَّفَّار، قال: حدثنا أبو البَخْتَريّ، قال: حدثنا يزيـد بن هارون، قـال: أخبرنـا المسعوديّ، عن وديعـة الأنصاري، قال:

سمعت عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، يقول وهو يعظُ رجلاً: لا
٨٩/أ تتكلَّمْ فيما لا يعنيك، واعتزل عدوَّكَ، / واحذرْ صديقَكَ إلا الأمينَ، ولا أمينَ إلا مَنْ يخشَى الله عزَّ وجلَّ ويطيعُه؛ ولا تمشِ مع الفاجر فيعلِّمَك من فجوره، ولا تُطلِعْه على سرِّك، ولا تشاوِرْ في أمرِكَ إلَّا الذين يخشَوْنَ اللَّهَ سبحانه.

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا عبد الله بن شاذان الكُرانيّ، قال: حدثنا عبد الله بن شبيب، قال: حدثنا زكريا بن يحيـى المِنْقَرِيُّ، قال:

= ويقال: الأردني الحكم بن عبد الله بن خُطَّاف. قال الذهبي في الميزان: قال أبو حاتم: كذاب؛ وقال الدارقطني: كان يضع الحديث. روى عن الزهري عن سعيد بن المسيب نسخة نحو خمسين حديثاً لا أصل لها (ع).

حدثنا الأصمعي، قال: حدثنا سلمة بن بلال، عن مجالدٍ، عن الشَّعبيّ، قال: قال علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه لرجلٍ وكره له صحبةَ أحمقٍ، فقال له[1]:

[و][2] لا تَصْحَبْ أخا الجَهْلِ وإيَّــــاكَ وإيَّــــاه
فكَمْ من جاهلٍ أَرْدى حليماً حين آخاهُ[3]
يُقاسُ المرءُ بالمرء إذا ما هُوَ ما شاه
وللشيء على الشيء[4] مقاييس وأشباه[5]
وللقلبِ على القلبِ دليلٌ حين يلقاهُ

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرنا ابنُ الأعرابي، قال: حدثنا جعفر بن شاكر، قال: حدثنا عفَّان، قال: حدثنا أبو وُهَيْب، عن أبي قِلابَةَ، عن أبي الدَّرْداء، قال: مِنْ فِقْه الرَّجل مدخلُهُ وممشاه وإلفهُ. قال أبو قِلابة: ألا ترى إلى قول الشاعر[6]:

عن المرءِ لا تسألْ وأبْصِرْ قرينَه فإنَّ القَرينَ بالمقارَنِ يقتدي

---

(١) الأبيات لأبي العتاهية، وهي في ديوانه بتحقيق الدكتور شكري فيصل ص ٦٦٥، مع اختلاف في الترتيب. وانظر فيه مصادر تخريج الأبيات ومن بينها كتاب روضة العقلاء ص ١٠١، ١١٨ وقد نسبها إلى علي بن أبي طالب عن سلمة بن بلال.
وتجدها أيضاً في «الصداقة والصديق» للتوحيدي ص ٢٣٨ بلا نسبة.

(٢) تكملة من الديوان.

(٣) في الأصل: «يغشاه»، وفي الهامش: «آخاه»، ويوافق ذلك رواية الديوان.

(٤) في الديوان: «وللشكل على الشكل».

(٥) لفظ: «وأشباه» مستدرك في الهامش.

(٦) قاله عدي بن زيد كما في عيون الأخبار ٣: ٧٩، والصداقة والصديق للتوحيدي ٩٤؛ ونسب إلى طرفة بن العبد وهو في ديوانه ص ١٥١. والراجح أنه لعدي بن زيد من قصيدة له في جمهرة أشعار العرب ١٧٩ وديوانه ١٠٤، ١٠٧. وذكره البغدادي في «شرح شواهد المغني» ٧: ١٣١، ضمن أبيات خمسة، قال عنها: إنها آخر معلقة طرفة بن العبد.

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا محمد بن إبراهيم المكتب[1]، قال: حدثنا شكَّر، قال: حدثنا الحسن بن أبي الرَّبيع، قال: حدثنا عبد الرزَّاق، قال: أخبرنا سفيان[2]، عن أبي المحجل، عن رجل، عن أبي ذرّ، قال: الصاحبُ الخير خيرٌ من الوحدة، والوحدةُ خيرٌ من جليس السوءِ؛ ومملي الخير خيرٌ من السَّاكت، والسَّاكتُ خيرٌ من مملي الشرِّ؛ والأمانة خيرٌ من الخاتم، والخاتم خير من الظن[3].

٨٩/ب / (marginal folio mark at the line «قال: حدثنا شكَّر»)

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرنا أحمد بن مالك، قال: حدثنا أحمد ابن محمد بن مَسْرُوق[4] الطُّوسيّ، قال: حدثنا محرز بن عَوْن، قال: حدثني أخي المختار بن عَوْن، عن جعفر بن سليمان، قال:

رأيت مع مالك بن دينار كلباً، فقلت: ما هذا يا أبا يحيى؟ قال: هذا خيرٌ من جليس السوء.

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا الكُرانيّ، قال: حدثني ابنُ شبيبٍ، قال: حدثني المِنْقَرِيّ، عن الأصمعي، قال: قال أعرابي:

عداوةُ الحليم أقلُّ ضرراً عليك من مودَّة الجاهل. وفي هذا لبعض الشعراء:

---

(١) في الأصل: «المتكتب».

(٢) في الأصل: «أبو سليمان» ثم شطب على لفظ «أبو» وجعلت سليمان «سفيان».

(٣) أخرجه ابن الجوزي في «صفة الصفوة» ١ : ٥٩٦ عن ابن عمر بن الخطاب عن أبيه. وذكر المحقق بعده نقلاً عن «المختصر» ١٠٤، قوله: «يعني إذا كان لك مال فختمت عليه حتى لا تسيء الظن بأهلك وخدمك، فهو خير من أن تتركه غير مختوم وتظن بالناس الظنون».

(٤) أحمد بن محمد بن مسروق البغدادي، أبو العباس، شيخ الصوفية. توفي سنة ٢٩٨ هـ.

(سير أعلام النبلاء ١٣ : ٤٩٤).

ولأَنْ يعـادي عـاقـلًا خيرٌ لـه   مِنْ أَنْ يكونَ له صديقٌ أحمقُ[1]
فارغبْ بنفسك أن تصادقَ جاهلًا   إنَّ الصَّديق على الصديق مصدِّق

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني ابن أبي الدِّق، قال: حدثنا محمد ابن المنذر، قال: حدثنا محمد بن إدريس، قال: / حدثني عبد الرحمن ابن أبي عطية الحمصي، عن الحطاب بن المُعَلَّى المخزومي: أنَّه وعظ ابنه فقال: إيَّاك وإخوانَ السوء؛ فإنهم يخوِّنون من رافقهم، ويخرِّفون[2] مَنْ صادقهم؛ وقربُهُم أعدى من الجرب، ورفضُهم مِن استكمال الأدب؛ والمرء يُعرف بقرينه. قال: والإخوانُ اثنان؛ فمحافظٌ عليك عند البلاء، وصديقٌ لك في الرَّخاء، فاحفظْ صديقَ البَلِيَّة، وتجنَّبْ صديقَ العافية؛ فإنَّهم أعدى الأعداء. وفي هذا قول الشاعر:

وكـلُّ خليـلٍ بـالهـوينـا مُـلاطفٌ   ولكنَّمـا الإخـوانُ عنـد النـوائبِ

ولآخــر:

أرى النَّاسَ إخوانَ الرَّخاءِ وإنَّمـا   أخوكَ الذي آخاكَ عند الشـدائدِ

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا إبراهيم بن فراس، قال: حدثنا محمد بن إسحاق بن راهَوَيْه، قال: حدثنا عمر بن شبَّة، قال: حدثنا أبو نُعَيْم، قال: حدثنا ابن عم لسانة بن كُهَيْل، قال: قال زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم:

أبني، إمَّــا تفقِــدَنَّ فــلا تـكن   دنسَ الـفعــال مـبيَّض الأثــوابِ
واحـذَرْ مصـاحبـةَ اللِّئـام فـربَّمـا   أزرى الكرامَ فُسُولةُ[3] الأصحابِ

---

(1) وشبه هذا البيت ما قاله شاعر مجهول في الصداقة والصديق للتوحيدي ص ٣٠٠، قال:

عــدوك ذو العقــل خيــر لــك   من الصــديق الــوامِقِ الأحـمقِ

(2) أي يفسدون، يقال: أخرفه، إذا أفسده.
(3) الفَسْل: الرَّذْل النَّذل الذي لا مروءة له ولا جلد.

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا الكُرَانيُّ، قال: حدثنا ابنُ شبيبٍ، قال: حدثنا المِنْقَرِيّ، قال: حدثنا الأصمعيُّ، قال: سمعت أعرابياً يقولُ:
٩٠/ب مخالطةُ الأنذالِ والسِّفلةِ / تحطُّ الهيبةَ، وتضعُ المنزلةَ، وتكلُّ اللسانَ، وتزري الإنسان.

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا إبراهيم بن فراسٍ، قال: حدثنا محمد بن إسحاق، قال: حدثنا أبو سعيد الأشج[1]، قال: حدثنا ابن أبي غَنِيَّةَ[2]، عن شَرِيك بن عبد[3] الله، قال: كان يقال: لا تسافر مع جبانٍ؛ فإنَّه يفِرُّ من أبيه وأمِّه، ولا تسافرْ مع أحمق؛ فإنَّه يخذُلُك أحوجَ ما تكون إليه، ولا تسافرْ مع فاسقٍ؛ فإنَّه يبيعك بأَكْلَةٍ وشَربة.

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا الكُرانيّ، قال: حدثنا ابن شبيبٍ، قال: حدثنا المِنْقَرِي، قال: حدثنا الأصمعيّ، قال: حدثنا الفضل بن عبد الملك، قال: قال خالد بن صفوان[4]: لا تصادق ذميّاً، ولا خَصِيّاً، ولا مؤنثاً.

---

(١) هو عبد الله بن سعيد بن حصين الكندي، أبو سعيد الأشج الكوفي. مات سنة ٢٥٧ هـ.
(تهذيب التهذيب ٥: ٢٣٦).

(٢) هو يحيى بن عبد الملك بن حميد بن أبي غنية، أبو زكرياء الخزاعي الكوفي، أصله من أصبهان. مات نحو سنة ١٨٦ هـ.
(تهذيب التهذيب ١١: ٢٥٢).

(٣) لفظة: «عبد» مستدركة في الهامش. وهو شريك بن عبد الله أبو عبد الله النخعي، أحد الأعلام على لين ما في حديثه.
(تهذيب التهذيب ٤: ١٣٣، وسير أعلام النبلاء ٨: ١٧٨).

(٤) هو خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الأهتم التميمي المِنْقَري. من فصحاء العرب المشهورين. توفي نحو سنة ١٣٣ هـ.
(منهاج اليقين شرح أدب الدنيا والدين ١: ١٢٠، ونكت الهميان ١٤٨، وسير أعلام النبلاء ٦: ٢٢٦).

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرنا ابن الأعرابي، قال: حدثنا حسان ابن الحسن المجاشعيّ، قال: حدثنا بعضُ أصحابنا، عن عبادةَ بن كليب، قال: سمعت محمد بن النَّضْر الحارثيّ يقول[1]:

فـإذا صاحبتَ فـاصحبْ صـاحباً ذا حـيـاءٍ وعَـفَـافٍ وكَـرَمْ
قـولـه في الشيء لا إنْ قلتَ لا وإذا[2] قلت: نَعَـمْ قـال: نَعَـمْ

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا إبراهيم بن فراس، قال: حدثنا محمد بن إسحاق بن راهَوَيْه، قال: حدثنا الحسنُ بن عَرَفة، قال: حدثنا المبارك بن سعيد[3]، قال: أتيتُ الأعمش أنا وأبي، فقال له أبي: إنَّ هذا يريد[4] / مكةَ يلحق بأخويه سفيان وعُمَرَ، فترى أن أشتري له بعيراً أو 91/أ
أكتري؟ قال: بل اشترِ له، وأرى له أن يخرج مع ضَرْبه[5] من الناس، وإيَّاك وأصحابَ الأخيصةِ[6]؛ فإنَّك إنْ أخذْتَ بأخذهم مَحَقُوكَ، وإنْ قصَّرْتَ عنهم ازدروك.

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثني محمد بن إبراهيم المُكْتب، قال:

---

(١) البيتان في «الصداقة والصديق» للتوحيدي ص ١٢٢، وجاء فيه: قال أبو غسان غناة بن كليب: اجتمعت أنا ومحمد بن النَّضْر الحارثي، وعبد الله بن المبارك، والفضيل، ورجل آخر، فصنعت لهم طعاماً فلم يخالف محمد بن النَّضْر علينا في شيء، فقال له ابن المبارك: ما أقلَّ خلافك! فأنشد... البيتين.

(٢) في الأصل: «وإن» وأثبت ما جاء في الصداقة والصديق.

(٣) المبارك بن سعيد بن مسروق، أبو عبد الرحمن الثوري، وأخوه سفيان الثوري. توفي سنة ١٨٠ هـ.
(سير أعلام النبلاء ٨: ٤٢٤، وخلاصة تذهيب الكمال ٣٦٨).

(٤) قوله: «إن هذا يريد» مكرر في الأصل.

(٥) الضَّرْب: المثل، وهذا ضرب هذا، أي مثله.

(٦) في الأصل غير واضحة، ولعل فيما أثبتناه الصواب.
وفي اللسان: الأخيص: الذي إحدى عينيه صغيرة والأخرى كبيرة. وقيل: هو الذي إحدى أذنيه نصباء والأخرى خذواء.

حدثنا شكَّر، قال: حدثنا عمارةُ بن وثيمة بن موسى، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا حفص بن الجارود، قال: حدثنا عيسى بن ميمون، عن يزيد بن ذَكْوَان، قال: قال علي بن الحسن: لا يقول رجلٌ في رجلٍ خيراً لا يعلمه منه إلَّا يُوشك أن يقولَ شرّاً لا يعلمه منه، ولا يصطحبُ اثنان على غير طاعةِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ إلَّا يوشكُ أنْ[1] يفترقا على غير طاعة الله.

قال أبو سليمان: وأنشدني بعض أهل الأدب:

وقـائـلٍ كيف تهـاجـرْتُـمـا ... فـقـلْتُ قـولاً فـيـه إنـصـافُ
لم يـكُ من شَكْلي فـفـارقْتُـهُ ... والـنَّـاسُ أَشْكـالٌ وأصـنـافُ

أخبرنا [أبو سليمان][2]، قال: وأخبرني أبو عمر، قال: أخبرنا أبو العباس ثعلب، عن ابن الأعرابي، قال: العربُ تقول: «أنتَ تئِقٌ وأنا مئِقٌ فمتى نتفِقُ»[3].

قال أبو سليمان: أنشدونا لعُبَيْدِ الله بن عبد الله بن عُتْبَةَ[4]، فقال:

٩١/ب /تبيَّنْ وكُنْ مثلي أو ابتغِ صاحباً ... كمثلكَ إنِّي مبتغٍ صاحباً مِثلي

---

(١) لفظة «أن» في الهامش.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) يضرب هذا المثل للرجلين المختلفين في الأخلاق والشيم. والتئق: السريع إلى الشر. والمئق: السريع إلى البكاء.
انظر الأمثال لأبي عبيد ٢٧٨، والعسكري ١: ١٠٦، والميداني ١: ٤٧، والزمخشري ١: ٣٧٩، واللسان (تأق، مأق).

(٤) هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، المدني، الأعمى، أبو عبد الله، مفتي المدينة، وأحد الفقهاء السبعة فيها، من أعلام التابعين، له شعر جيد. ذهب بصره ومات بالمدينة سنة ٩٨ هـ.
انظر الأغاني ٩: ١٣٩، وطبقات ابن سعد ٥: ٢٥٠، وحلية الأولياء ٢: ١٨٨، ووفيات الأعيان ٣: ١١٥، وتذكرة الحفاظ ١: ٧٤، وسير أعلام النبلاء ٤: ٤٧٥.

ولَنْ يَلْبَثَ الأقـرانُ أن يتفَـرَّقـوا		إذا لم يؤلّف زوج شكلٍ إلى شكلي[1]

قال بعض الحكماء: عمادُ المودَّة المشاكلةُ، وكلُّ ودٍّ عن غيـر تشاكلٍ فهو سريع التصرّم؛ وأحسنَ الطائِيُّ حين يقول[2]:

ولن تنـظِمَ العِقْدَ الكَعَـابُ لِزينـةٍ		كما تنظِمُ الشَّملَ الشتيتَ الشَّمائِلُ

وكان نقشُ خاتم بعض الحكماء: «من وَدَّكَ لأمرٍ ولَّى مع انقضائه».

* * *

---

(١) البيتان في عيون الأخبار ٣: ٧، ورواية الأول: «ابن لي وكن»، والثاني: «وما يلبث الإخوان» و«روح».
وهما في الأغاني ٩: ١٣٩ مع أبيات يعاتب بها عمر بن عبد العزيز وقد ردَّه حاجبه دون علمه. ورواية الأول: «أبن لي فكن» و«إني تابع». والثاني: «وما يلبث الفتيان» و«روح شكل إلى شكل».

(٢) ديوان أبي تمام بشرح التبريزي ٣: ١١٩ من قصيدة في مدح محمد بن عبد الملك الزيات، مطلعها:
متى أنتَ عن ذُهليَّـةِ الحيّ ذاهِلُ		وقلبُـكَ منهـا مُـدَّةَ الـدَّهْـرِ آهِـلُ
وروايته فيه: «ولم تنظم العقد» و«الشمع» عوضاً عن الشمل.
والبيت في عيون الأخبار ٣: ٨ برواية مماثلة.

ذكر أبواب تشتمل على وصفِ عوام الناس
وبيانِ أحوالهم والتحذير من آفاتهم
وما جاء من فساد الزمان وذم أهله
وما يدخل في ذلك من كلام يرغب في
العزلة وينهى عن الإكثار من الخلطة

بــاب في اختلاف طبقات الناس

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرنا ابنُ الأعرابي، قال: حدثنا سَعْدان[1]، قال: حدثنا إسحاق بن يُوسُف الأزرق، عن عوفٍ الأعرابيّ[2]، عن قَسَامَةَ بن زُهير[3]، عن أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله تعالى خَلَقَ آدَمَ عليه السلام من قَبضَةٍ قبضَها من جميع الأرض؛ فجاءَ بنو[4] آدَمَ على قدرِ الأَرْض؛ منهم الأَحْمَرُ؛ والأسودُ، والأبيَضُ، والسَّهلُ والحَزْنُ، بين ذلك الخبيثُ والطيِّبُ[5].

---

(١) هو سَعْدان بن نصر البزاز، وقد ذكر في صفحة ١٣٣. وفي سير أعلام النبلاء ٢: ٣٥٨، الذي روى عن إسحاق الأزرق هو سَعْدان بن يزيد البغدادي، نزيل سُرَّ من رأى. مات سنة ٢٦٢ هـ.

(٢) عوف بن أبي جميلة العبدي، أبو سهل البصري، المعروف بالأعرابي. وثقه النسائي وجماعة، وفيه تشيع. مات سنة ١٤٦ هـ.
(سير أعلام النبلاء ٦: ٣٨٣، وخلاصة تذهيب الكمال ٢٩٨).

(٣) قسامة بن زهير التميمي المازني البصري. قال العجلي: تابعي ثقة.
(التقريب ٢: ١٢٦، وخلاصة تذهيب الكمال ٣١٩).

(٤) في الأصل: «بني» وهو تحريف.

(٥) أخرجه أبو داود في كتاب السنة رقم (٤٦٩٣)، باب في القدر؛ والترمذي في التفسير رقم (٢٩٥٨)؛ وأحمد في مسنده ٤: ٤٠٠، ٤٠٦ بلفظ مقارب.
وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وهو كما قال. وانظر جامع الأصول ٤: ٣٢.

٩٢/أ قال أبو سليمان / : قد بَيَّنَ النبيُّ ﷺ في هذا القول أنَّ الناسَ أصنافٌ وطبقاتٌ، وأنَّهم إلى تفاوتَ في الطباع والأخلاق؛ فمنهم الخيِّرُ الفاضل الذي يُنتفع بصحبته، ومنهم الرديء الناقص الذي يُتضرَّر بقربه وعشرته، كما أنَّ الأرض مختلفة الأجزاء والتـرب. فمنها العَذَاةُ(١) الطيّبةُ التي يطيب نباتها ويزكو(٢) ريعها؛ ومنها السِّباخُ(٣) الخبيثةُ التي يضيع بَذْرُها، ويَبيدُ زرعُها، وما بين ذلك على حسب ما يوجد منها حسّاً، ويشاهد عياناً.

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم بن مالك، قال: حدثنا بِشْرُ بنُ موسى، قال: حدثنا الحُمَيْدِيّ، قال: حدثنا سُفيان، قال: حدثنا أَبو الزِّناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «النَّاسُ معادن»(٤).

---

(١) العَذَاة: الأرض الطيبة التربة الكريمة المنبت البعيدة من المياه والسباخ. (اللسان).

(٢) في الأصل: «أو يزكو».

(٣) السِّباخ: جمع سَبَخَة، وهي الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر. (اللسان).

(٤) قطعة من حديث أخرجه مسلم بشرح النووي في كتاب فضائل الصحابة، باب خيار الناس ١٦ : ٧٨ وبرقم (٢٥٢٦)، من حديث سعيد بن المسيب عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ، قال: «تجدون الناس معادن، فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فَقُهوا. وتجدون من خير الناس في هذا الأمر أكرههم له قبل أن يقع فيه. وتجدون من شرار الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه».

ورواه البخاري ٦: ٢٩٨ في الأنبياء، وأحمد في مسنده ٢: ٢٦٠ بلفظ: «الناس معادن، تجدون خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فَقُهوا».

كما رواه البخاري ٦: ٣٨٥ في الأنبياء، ومسلم رقم (١٨١٨) في الإمارة، باب الناس تبع لقريش. وانظر كشف الخفاء رقم (٢٧٩٣) ولفظه: «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة». وصفة الصفوة ١ : ٢٠٦، وجامع الأصول بتحقيق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط ٤ : ٤٢ و٦: ٥٥٩، و١٠ : ٣٧٦.

ومعادن العرب: أصولها التي يُنسبون إليها ويتفاخرون بها.

قال أبو سليمان: وفي هذا القول أيضاً بيان أنَّ أخلاقَ الناسِ غرائزُ فيهم، كما أنَّ المعادنَ ودائعُ مركوزةٌ في الأرض؛ فمنها الجوهرُ النَّفيسُ، ومنهاالفِلِزُّ[1] الخسيسُ، وكذلك جواهرُ الناس وطبائعُهم؛ منها الـزَّكيُّ الرَّضيُّ، ومنها النَّاقصُ الدنيّ.

وإذا كانوا كذلك، وكان الأمر على العِيان منهم مشكلاً، واستبراءُ العيب / فيهم متعذراً، فالحزمُ إذاً الإمساكُ عنهم والتوقُّفُ عن مداخلتهم، ٩٢/ب
إلى أَن تكشِفَ المحنةُ عن أسرارهم وبواطنِ أمرهم، فيكون عندذلك إقدامٌ على خبرةٍ[2]، أو إحجام عن بصيرةٍ، ولعلَك ـ أسعدكَ الله ـ إذا خَبَرتهم قليتهم، وإذا عرفتهم أنكرتهم، إلا من يخصُّهم الثُّنْيا[3] وقليل ما هم.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني ابن أبي الدِّق، قال: حدثنا محمد ابن المنذر، قال: حدثنا أبو داود الحَرَّانيُّ، قال: حدثنا عبدالله بن واقد، عن أبي بكر بن أبي مريم، عن سعيد بن عبد الله، عن أبي الدَّرْداء، رفعه إلى رسول الله ﷺ، قال: «أُخْبُرْ تَقْلِهْ وثِقْ بالنَّاسِ رويداً»[4].

---

(١) الفِلِزُّ ـ بالكسر وتشديد الزاي ـ: خَبَثُ ما أذيب من الذهب والفضة والحديد وما ينفيه الكير مما يذاب من جواهر الأرض. (اللسان).

(٢) في الأصل: «خيرة».

(٣) الثُّنْيا: ما استثنيته.

(٤) تقدم في الصفحة ٥٩ أن هذا من قول أبي الدرداء، ونصه: «وجدت الناس أخبر تقله».

وفي كشف الخفاء ١: ٦٣ رقم (١٥١) بلفظ: «اخبر تقله». وقال: رواه الطبراني، وأبو يعلى، والعسكري من حديث بقية عن أبي الدرداء رفعه، وكذا ابن عدي بلفظ: «وجدت الناس أخبر تقله». ورواه أيضاً الطبراني، والعسكري من حديث أبي حيوة عن أبي الدرداء بلفظ: إنه كان يقول: ثق بالناس رويداً، ويقول: أخبر تقله. قال في المقاصد: وكلها ضعيفة.

ورواه في الجامع الكبير عن أبي يعلى والطبراني وابن عدي وأبي نعيم عن أبي =

أخبرنا أبو سليمان، قال: سمعت شيخنا أبا بكر القَفَّال رحمة الله عليه، يقول: بلغني عن المأمون أنَّه كان يقول: لولا أنَّه قد قيل: أُخْبُرْ تَقْله، لقلت أنا: أقلِهِ تَخْبُر.

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا الحسن بن يحيى بن صالح، قال: حدثنا محمد بن قُتَيْبة، قال: حدثنا إبراهيم بن أيوب الحَوراني، قال: حدثنا بكر بن سُلَيْم، قال: حدثنا ابن أبي حازم؛ عن أبيه، عن سهل بن سَعْد السَّاعدي، قال: قال رسول الله ﷺ: «النَّاسُ كأَسْنانِ المُشْطِ»(١).

٩٣/أ قال أبو سليمان: هذا يتأوَّل / على وجهين:

أحدهما: أن يكون أراد أنَّهم متساوون في الأحكام؛ لا يُفَضَّل شريفٌ لشرفه على وضيعٍ، كأسنان المُشْط متساوية؛ لا فضلَ لِسنٍّ منها على أخرى.

= الدرداء بلفظ: «أخبر تقله وثق بالناس رويداً». ورواه العسكري عن مجاهد أنه قال: وجدت الناس كما قيل: أخبر من شئت تقله.

ومن شواهده ما اتفق عليه الشيخان عن ابن عمر مرفوعاً: «الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة»، وقد مضى في الصفحة ١٢٧ وسيرد بعد قليل أيضاً (ع).

(١) كشف الخفاء رقم (٢٨٤٧)، وجاء فيه: أخرجه الديلمي عن سهل بن سعد، زاد: وإنما يتفاضلون بالعافية، فلا تصحبن أحداً لا يرى لك من الفضل مثل ما ترى له. وله عن أنس: الناس مستوون كأسنان المشط ليس لأحد على أحد فضل إلا بتقوى الله.

وذكره الخطابي في غريب الحديث ١ : ٥٦٠ بالسند نفسه، وروايته فيه: «الناس كأسنان المشط، وإنما يتفاضلون بالعافية، ولا خير في صحبة من لا يرى لك مثل الذي ترى له». وجاء فيه: قوله: كأسنان المشط مَثَلٌ، والمعنى أنهم سواء في أصل الخِلقة والجبلَّة، كما أن أسنان المشط سواء، لا يفضل سن منها سناً.

وقد ذكره السيوطي في اللآلي ٢ : ٢٩٠، وعزاه إلى الحسن بن سفيان في المسند، والدولابي في الكنى، وأخرجه ابن الجوزي في الموضوعات ٣ : ٨٠ من حديث أنس، وعزاه إلى ابن عدي.

وهو مَثَلٌ تجده في مجمع الأمثال للميداني ٢ : ٣٤٠، والمستقصى للزمخشري ١ : ٣٥٢.

والوجه الآخر: أن يكون ذلك بمعنى المذمَّةِ لهم وأنَّ الغالبَ عليهم النقصُ، كقولهم إذا ذمّوا قبيلةً: هم كأسنانِ الحمار. قال الشاعر:

* سَوَاسِيَةٌ كأَسْنَانِ الحِمارِ[1] *

وشبيه بهذا قوله ﷺ: «النَّاسُ كإبلٍ مائـةٍ، لا تكادُ تَجِـدُ فيها راحلةً»[2]. وقد تقدّم ذكره فيما مضى من هذا الكتاب.

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا ابنُ الزّبيق[3]، قال: حدثنا موسى ابن زكريا التُّسْتريّ، قال: حدثنا أبو حاتم، قال: حدثنا العُتْبيّ، قال: كنا عند سفيان بن عيينة فتلا هذه الآية: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ في الأَرْضِ ولا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ إلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾[4]، وقال: ما في الأرض آدمي إلا وفيه شَبَهٌ من شَبَهِ البهائم؛ فمنهم من يهتصر اهتصارَ الأَسَد، ومنهم من يعدو عَدْوَ الذئبِ، ومنهم من ينبَحُ نباحَ الكلب، ومنهم من يتطوَّسُ كفعل الطاوس؛ ومنهم من يشبه الخنازير التي لو ألقي لها الطعامُ الطيِّبُ عافته، فإذا قام الرجل عن رَجيعِهِ[5] وَلَغَتْ فيه، فكذلك تجدُ من الآدميين من لو سمع خمسين حكمة لم يتحفَّظ واحدةً منها، وإنْ أخطأ رجلٌ عن نفسه أو
حكى / خطأ غيرِهِ تروَّاه وحفظه. ٩٣/ب

قال أبو سليمان: ما أحسَنَ ما تأوَّل أبو محمد[6] رحمةُ الله عليه هذه الآية واستنبطَ منها هذه الحكمة؛ وذلك أنَّ الكلام إذا لم يكن حُكْمُه مطاوعاً لظاهره وجَبَ المصيرُ إلى باطنه، وقد أخبر الله تعالى عن وجود

---

(١) اللسان والتاج (سوا)، وغريب الحديث للخطابي ١: ٥٦١ بلا عزو، وصدره:

* شبابهم وشيبهم سواء *

(٢) تقدم تخريج الحديث في الصفحة ١٢٧.

(٣) في غريب الحديث للخطابي «ابن الزِّيبقيّ». وهو محمد بن أحمد بن عمرو الزئبقي.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

(٥) الرَّجيع: الرَّوْث.

(٦) هو سفيان بن عيينة.

المماثلة بيننا وبين كلِّ دابّةٍ وطائر؛ وكان ذلك ممتنعاً من جهة الخِلْقَةِ والصورة، وعَدَماً من جهة النطق والمعرفة؛ فوجَبَ أن يكونَ منصرفاً إلى المماثلة في الطباع والأخلاق.

وإذا كان الأمرُ كذلك فاعلم يا أخي أنَّك إنما تعاشر البهائمَ والسِّباع، فليكن حذرُكَ منهم ومباعدَتُك إيَّاهم على حسب ذلك؛ ومِصداقُ قولِ سفيان رحمه الله في كتاب الله سبحانه حين يقول في تمثيل من كذَّب بآيات الله بالكلب، فقال عزَّ وعلا: ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ إنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أو تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ﴾(١)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثمَّ لَمْ يَحْمِلُوها كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أسْفاراً ﴾(٢). وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ أولئِكَ كَالأنْعَام بَلْ هُمْ أضَلُّ ﴾(٣)؛ فجعلهم أسوأ حالاً منها، وأبعدَ مذهباً في الضَّلالِ حينَ قامت عليهم الحجَّةُ فلم يُذعنوا لها؛ ولأجل ذلك
٩٤/أ رأى الحكماءُ أنَّ السَّلامةَ / من آفاتِ السِّباع الضَّارية أمكنُ، والخلاصَ منها أسهلُ من السَّلامة من شرِّ الناس.

قال أبو سليمان: وأخبرني محمد بن الحسين بن عاصم، قال: حدثنا الزُّبير بن عبد الواحد، عن الرَّبيع بن سليمان، قال: سمعتُ الشافِعيَّ ينشد(٤):

ليتَ الكِلابَ لنا كانَتْ مُجاوِرةً ... وأنَّنا لا نَرَى مِمَّنْ نَرَى أحدا

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٦.
(٢) سورة الجمعة، الآية: ٥.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.
(٤) الأبيات في ديوان الشافعي جمع عفيف الدين الزعبي مع خلاف في بعض الألفاظ، ورواية البيت الأخير فيه:

فاهرب بنفسك واستأنس بوحدتها ... تبقى سعيداً إذا ما كنت منفردا

وانظرها في حلية الأولياء ٩: ١٤٩، ومناقب الشافعي للرازي ١٩٩، ومناقب الشافعي للبيهقي ٢: ٦٣.

إنَّ الكلابَ لتهدا[1] في مواطِنِها والنَّـاسُ ليسَ بهـادٍ شَـرُّهُم أبـدا
فاحتَلْ لِنَفْسِكَ في تفريدها أبـداً تَعِشْ حَميداً إذا ما كنتَ مُنْفَـرِدا

وفي نحو هذا قولُ بعضِ أهلِ زماننا وهو الفقيهُ الإمامُ رحمة الله عليه[2]:

شَرُّ السِّباعِ الضَّواري دُونَهُ وَزَرٌ[3] والنَّـاسُ شَـرُّهُمُ مـا دُونَـهُ وَزَرُ
كَمْ مَعْشَرٍ سَلِمُوا لم يُؤْذِهِمْ سَبُعٌ ومـا تـرى بَشَـراً لم يُؤْذِهِ بَشَـرُ

وقد روينا عن قَبيصَةَ، قال: قال الفُضَيل: إذا رأيتَ السَّبُعَ فلا يهولنَّك، وإذا رأيتَ ابنَ آدمَ فخذْ ثَوْبَكَ ثمَّ فِرَّ، ثمَّ فِرَّ.

وروينا عن الشافعي أنَّه قال: ما أشبه هذا الزمان إلا بما قال تأبَّطَ شرّاً[4]:

عَوَى الذِّئْبُ فاسْتَأْنَسْتُ بالذِّئْبِ إذ عَوَى وصَـوَّتَ إنسـانٌ فكِـدْتُ أَطِيـرُ

وفي نحوٍ منه قولُ عُبَيد بن أيوب العَنْبَريّ[5]، وقد كان جنى جنايةً

---

(١) في الهامش ما نصه: «يريـد تهدأ، يعني تسكن». ولفظ: «تهـدأ» مستدرك في الهامش.

(٢) البيتان للمصنف رحمه الله، ويظهر أن راوي الكتاب قد وضعهما فيه. وهما في يتيمة الدهر ٤: ٣٣٥، ومعجم الأدباء ٤: ٢٥٨، و١٠: ٢٧١، ووفيات الأعيان ٢: ٢١٥.

(٣) الوَزَر: الملجأ.

(٤) البيت للأحيمر السَّعْدي، من شعراء الدولتين الأموية والعباسية، وذكر مع أبيات أخر في الشعر والشعراء ٧٨٧، والمؤتلف والمختلف ٤٣، وسمط اللآلي ١٩٦.
وهو أحد أبيات خمسة في عيون الأخبار ١: ٢٣٧ منسوبة إلى أحد اللصوص.
وبعد هذا البيت:
رأى الله أني لـلأنيس لَشَـانِىءٌ وتُـبْغِـضُهـم لي مُـقْـلَةٌ وضـمـيـرُ

(٥) هو عبيد بن أيوب العنبري، من بني العنبر، يكنى أبا المطراب أو أبا المطراد، من شعراء العصر الأموي. كان لصاً حاذقاً، أباح السلطان دمه، وبرىء منه قومه، فهرب في مجاهل الأرض، واستصحب الوحوش، وأنس بها، وذكرها في أشعاره. =

عظيمةً فطلبه السلطان، فأمعن في الهرب حتى وقع في مجاهل الأرض:

لقد خِفْتُ حتى لو تمرُّ حمامةٌ لقلْتُ عدوٌّ أو طليعةُ معشرِ
فإنْ قيلَ خيرٌ قلْتُ هذا خديعةٌ وإنْ قيلَ شرٌّ قلْتُ حقٌّ فشمِّرِ

أنشدني الآبُرِيُّ لمنصور بن إسماعيل[1]:

٩٤/ب / النَّاسُ بَحْرٌ عَميقٌ والبُعْدُ منهم سَفِينَهْ
وقد نصحتُكَ فانْظُرْ لِنَفْسِكَ المسكينَهْ

وأنشدونا له:

كُلُّ مَنْ أصبَحَ في دهـ ـرِكَ مِمَّنْ قَدْ تَراهُ
هُو من خلفِكَ مقرا ضٌ وفي الوجه مرآه

قال أبو سليمان: وسأفيدُكَ فائدةً يا أخي يَجِلُّ نفعُها ويعظُمُ عائدتُها، وما أقولُها إلَّا عن وُدٍّ لك، وشَفقةٍ عليك؛ فإنَّ البَلْوَى في معاشرة أهلِ زمانكَ عظيمةٌ، فاستعِنْ بها على ما يلقاكَ من أذاهم؛ فإنَّك لا تخلو من قليلهِ وإن سلِمْتَ من كثيرهِ؛ وذلك أنَّكَ قد ترى الواحدَ بعدَ الواحد منهم يتكالبُ على النَّاس، ويتسَفَّهُ على أعراضهم، وينبحُ فيها نُباحَ الكلب، فيهمُّك من شأنه ما يهمُّك، ويسوءُك منه ما يسوءُك، إلا أنْ يكونَ رجلاً فاضلاً يُرجى خيرُه ويؤمَنُ شرُّه، فيطولُ في أمره فكرُكَ، ويدومُ به شغلُ قلبكَ.

فأزِحْ هذا العارض عن نفسكَ بأن تعُدَّه على الحقيقة كَلْباً خِلْقَةً، وزِدْ به في عدد الكلاب واحداً. ولعلَّك قد مررت مرةً من المَرِّ[2] بكلبٍ

= انظر: الشعر والشعراء ٧٨٤، وسمط اللآلي ٣٨٤، ورغبة الآمل ٤: ٦ و٥: ١٧٣، ومجلة المورد العدد (٢) من المجلد (٣) ص ١٢١ ـ ١٣٦.

(١) البيتان في معجم الأدباء ١٩: ١٨٦ برواية: «والبعد عنهم» و«المستكينة». وهما في طبقات الشافعية للسبكي ٣: ٤٨٢ برواية: «والبعد عنهم» أيضاً.

(٢) المَرّ بمعنى المرار، والواحدة المَرَّة.

من الكلاب يَنبحُ ويَعوي، وربَّما كان أيضاً قد يساور[1] ويعقِرُ، فلم تحدِّثْ نفسَكَ في أمره بأنْ يعودَ إنساناً ينطِقُ ويَسيح، فلا تتأسف له ألَّا يكونَ دابَّةً تُرْكَبُ أو شاةً تُحْلَبُ، فاجعل أيضاً هذا المتكلِّبَ كلباً مثله، / واسترح من شُغْله، واربَحْ مؤونةَ الفكر فيه. وكذلك فليكُنْ عندك منزلةُ مَنْ جهلَ حقَّكَ وكفرَ معروفكَ، فاحسبْهُ حماراً، أو زِدْ به في عدد العانة[2] واحداً، فبمثل هذا تتخلَّصُ من آفة هذا الباب وغائلتِهِ، واللَّهُ المستعان. ٩٥/أ

* * *

(١) سار يسور: وثب وثار، وساوره: واثبه.

(٢) العانة: القطيع من حُمُر الوحش، والأتانِ.

بـــاب في ذكر أخلاق العامة
وما يوجد فيهم من قلة الاستقامة

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا ابنُ الأعرابي، قال: حدثنا محمد ابن سَعيد بن غالب، قال: حدثنا يحيى بن سعيد الأموي، قال: حدثنا الأعمش، عن أبي إسحاق، عن أبي جُحيفة: أنَّ رسولَ الله ﷺ كان جالساً ذات يوم وقُدَّامَهُ قومٌ يصنعون شيئاً كرِهَهُ؛ من كلام ولغط، فقيل: يا رسولَ الله، ألا تنهاهم، فقال: «لو نهيتُهُم عن الحَجونِ[1] لأوشك بعضُهم أَنْ يأتيَه وليست له حاجة»[2].

قال أبو سليمان: قد أنبأ النبيُّ ﷺ بهذا القول أنَّ الشرَّ طباعٌ في الناس، وأنَّ الخلافَ عادةٌ لهم، وخَصَّ بذلك على شدَّة الحذر منهم، وقلَّةِ الثقة بهم.

وقال بعضُ الحكماء: الشرُّ في الناس طباعٌ، وحبُّ الخلاف لهم عادةٌ؛ والجَوْرُ فيهم سنةٌ؛ ولذلك تراهم يؤذون ما لا يؤذيهم، ويظلمون من لا يَظلِمُهم، ويُخالفون من يَنصحهم.

---

(١) في هامش الأصل: «الحجون: مكة».

وفي اللسان: الحَجون: الجبل المشرف مما يلي شِعب الجزّارين بمكة، وقيل: هو موضع بمكة فيه اعوجاج، والمشهور الأول. وانظر معجم البلدان (الحجون).

(٢) لم أعثر على الحديث. وفي سنده يحيى بن سعيد الأموي، وهو صدوق يُغْرِب، عنده عن الأعمش غرائب. والأعمش ثقة حافظ، لكنه يدلس إذا عنعن. وأبو إسحاق السَّبيعي ثقة عابد، لكنه اختلط بآخرة (ع).

قال أبو سليمان: / أخبرني بعضُ أصحابنا، عن ابن الأنباري، قال: ٩٥/ب حدثنا إسماعيل بن إسحاق، قال: قال الأصمعي: قيل لرجل: أتؤذي جيرانَكَ؟ قال: فمن أوذي؟ أوذي مَنْ لا أعرف.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني محمد بن إبراهيم المُكْتب، قال: حدثنا محمد بن المنذر، قال: حدثنا إسماعيل بن حمدَوَيْه، قال: حدثنا عارِمٌ، قال: حدثنا حماد بن زيد، عن يحيى بن سعيد: أنَّ حسان قال: احفظوا عني هذا البيت(١):

وإنَّ امْـرءاً أمسى وأصبحَ سـالماً ... مِنَ النَّـاسِ إلَّا ما جَنَى لَسَعِيـدُ

وقال كُثَيِّر أو نُصَيْب(٢):

ومـا زال كتمـانيـك حتى كـأنَّني ... برجْعِ سؤالِ السائلي عنك أَعْجَمُ
لِأَسْلَمَ مِن قولِ الوُشـاةِ وتَسْلَمِي ... سلِمْتِ وهل حيٌّ على الناس يسلَمُ

ولآخـــر:

ومن ذا(٣) الذي ينجو من النّاسِ سالماً ... وللنـاس قِيـلٌ بـالـظنـون وقـالُ

قال أبو سليمان: وسُئل بعضُ الحكماء: متى يَسْلَمُ الإنسانُ من الناس؟ فقال: إذا لم يكن في خيرٍ ولا شرٍّ. قيل: ومتى يكون كذلك؟ قال: إذا مات. قال: وذلك لأنَّه وهو حيٌّ إمَّا أن يكونَ خيّراً فالأشرارُ يُعادُونَه، وإمَّا أن يكون شِرّيراً فالأخيارُ يمقُتُونه، والمثلُ سائرٌ في قديم الدَّهر: «ما لقِيَ النَّاسُ من الناس».

---

(١) ديوان حسان بن ثابت ص ١٤٢ وانظر قصته فيه.

(٢) هما لنصيب بن رباح في ديوانه ص ١٢٣، والأغاني ١٥ : ١٣٦.
وراوية الأول: «وما زال بي الكتمان» و«برجع جواب»، والثاني: «وهل حي من الناس».

(٣) في الأصل: «ذي» وأثبت ما في المطبوع.

قال: أنشدني بعضُ أهلِ الأدبِ لإبراهيم بن شَكْلَةَ[1]:

وما أَنْتَ إلا ظالمٌ وابنُ ظالمٍ   لأنَّكَ من أولاد حوا وآدمِ
٩٦/أ /ولو كنتَ مثلَ القِدْح ألفيتَ قائلاً   ألا ما لهذا القِدْحِ ليس بقائمِ
ولو كنتَ مثلَ النَّصْلِ ألفيْتَ قائلاً   ألا ما لهذا النَّصْلِ ليس بصارمِ

وقال بعضهم: إنَّ من الناس مَنْ يُولَعُ بالخلاف أبداً، حتى إنَّه يَرى أنَّ أفضلَ الأمور أَلَّا يوافقَ أحداً، ولا يجامعَهُ على رأي، ولا يواتيَهُ على محبَّةٍ؛ ومَنْ كان هذا عادته فإنَّه لا يُبصر الحقَّ، ولا يَنْصُرُه، ولا يعتقِدُه ديناً ومَذْهباً؛ إنما يتعصَّبُ لرأيه، وينتقِمُ لنفسه ويسعى في مرضاتها، حتى إنَّك لو رُمْتَ أن تترضَّاه، وتوخَّيْتَ أن توافقَهُ على الرأي الذي يدعوك إليه تعمَّدَ لخلافك فيه، ولم يرضَ به حتَّى ينتقلَ إلى نقيضِ قولِهِ الأوَّلِ، فإنْ عدْتَ في ذلك إلى وِفاقِهِ عادَ فيه إلى خلافِكَ.

قال أبو سليمان: فمن كان بهذه الحال فعليك بمباعدتِهِ والنِّفار عن قربه؛ فإنَّ رضاه غايةٌ لا تدرك، ومدى شأوِهِ لا تُلحَقَ.

قال أبو سليمان: قال: أخبرني ابن التِّعْيانيّ، قال: أخبرنا الزجَّاج، قال: كنَّا عند المبرّد[2] أبي العباس محمد فوقَفَ عليه رجلٌ فقال: أسألُكَ عن مسألةٍ من النحو؟ قال: لا، فقال: أخطأتَ، فقال: يا هذا! كيف أكونُ

---

(١) هو إبراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور، العباسي الهاشمي، أبو إسحاق، الأمير، ويقال له ابن شكلة نسبة إلى أمه، وكانت جارية سوداء. طلب الخلافة زمن المأمون، فسجنه ثم عفا عنه وأطلق سراحه. ليس في أولاد الخلفاء قبله أفصح منه لساناً ولا أجود شعراً. توفي سنة ٢٢٤ هـ.
(الأغاني ١٠: ٩٥، وتاريخ بغداد ٦: ١٤٢، وأشعار أولاد الخلفاء ص ١٧ - ٤٩).

(٢) بعدها لفظ: «فوقف» وهو زيادة من الناسخ.

مخطئاً أو مصيباً ولم أجبْكَ عن المسألة بعدُ. فأقبلَ عليه أصحـابُه / ٩٦/ب يُعَنِّفُونَهُ، فقال لهم: خَلُّوا عنه ولا تَعَرَّضوا له، أنا أخبركم بقصَّتهِ؛ هذا رجلٌ يحبُّ الخلافَ، وقد خرج من بيته وقصدَني على أَنْ يُخالِفني في كلِّ شيء أقولُه، ويخطِّئني فيه، فسبَقَ لسانُه بما كان في ضميره.

* * *

بـــاب في التحذير من عوام الناس
والتحرز منهم بسوء الظن فيهم
وقلة الثقة بهم وترك الاستنامة إليهم

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم بن مالك، قال: حدثنا السُّكوني(١) محمد بن أيّوب [بن](٢) الضُّرَيْس، قال: حدثنا أبو الوليد الطَّيالِسيّ، قال: حدثنا الضَّحَّاك بن سَيّارٍ النُّكْرِيّ، عن أبي عثمان النَّهْدِيّ، قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «احترِسوا من النَّاس بسوء الظن»(٣).

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثني ابن أبي الدِّق، قال: حدثنا شكَّر، قال: حدثنا عبد الله بن يوسُف الصنعاني، قال: سمعتُ جعفر بن أبي الدُّغَيْش، يقول: سمعتُ عبد الملك الذّمارِيّ، يقول: وجدَ عبد الملك ابن مروان حَجَراً فيه مكتوب بالعِبرانية، فبعث به إلى وَهْب بن مُنَبِّه فإذا فيه مكتوبٌ: «إذا كان الغدرُ في الناسِ طِباعاً فالثِّقةُ بكلِّ إنسانٍ عجزٌ».

---

(١) لفظ: «السُّكوني» مقحم على الأغلب من الناسخ، وهناك أحمد بن أبي نصر السُّكوني، فلعله هو. والذي يروي عنه أحمد بن إبراهيم هو محمد بن أيوب المذكور.

(٢) تكملة من غريب الحديث للخطابي وسير أعلام النبلاء. وهو محمد بن أيوب بن يحيى بن ضُرَيْس، أبو عبد الله البجلي، مات سنة ٢٩٤ هـ.
(الجرح والتعديل ٧: ١٩٨ وتذكرة الحفاظ ٢: ٦٤٣، وسير أعلام النبلاء ١٣: ٤٤٩).

(٣) في الجامع الصغير رقم (٢٣١) عن أنس.

/ أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثني محمد بن منصور، قال: حدثنا محمد بن المنذر، قال: حدثنا أحمد بن الخصيب، قال: حدثنا أحمد بن مَسْعَدَةَ، قال: حدثنا مُعْتَمر بن سليمان، قال: قال أبي: سئل الحُضَيْن[1] الرَّقاشِيّ: ما بقي من رأيك؟ قال: سوء الظنِّ. ٩٧/أ

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا محمد بن منصور، قال: حدثنا محمد بن المنذر، قال: حدثنا الفَيْض بن الخَضِر، قال: حدثني عبد الله ابن خُبَيْق، قال: قال عمر بن عبد العزيز لمحمد بن كعبٍ القُرَظِيّ[2]: أيُّ خصالِ الرجل أوضَعُ[3] له؟ قال: كثرةُ كلامه، وإفشاؤه سرّه، والثقةُ بكل أحدٍ.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرنا ابنُ الأعرابي، قال: حدثنا محمد ابن عبد الله بن نَوْفَل الكنديّ، قال: حدثنا إبراهيم بن منصور، عن علي ابن قادم، قال: لا تخرج مع المهدي حتى تبلوَهُ.

قال[4]: أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الرحيم العَنْبريّ، قال: حدثنا أحمد بن الوليد الفحَّام، قال: حدثنا يَعْلَى بن عبَّاد، قال: حدثنا حمّاد بن زيدٍ، عن أيوبَ، عن أبي قِلابَةَ، قال: قال أبو الدَّرْداء رحمه الله: «إنَّكَ لن تتفقَّه كلَّ الفِقْهِ حتى تمقُتَ الناسَ في جنب الله، ثم ترجع إلى نفسك فتجدَها أمقتَ من سائر الناس».

---

(١) في الأصل والمطبوع: «الحُصَيْن» بالصاد. وهو الحضين بن المنذر بن الحارث الرقاشي، أبو ساسان البصري. مات سنة ٩٧ هـ.
(تهذيب التهذيب ٢: ٣٩٥، وخلاصة تذهيب الكمال ٩٨).

(٢) محمد بن كعب القرظي المدني ثم الكوفي، أحد العلماء. قال ابن عون: ما رأيت أحداً أعلم بتأويل القرآن من القرظي. وقال ابن سعد: كان ثقة ورعاً كثير الحديث. مات سنة ١١٩ أو ١٢٠ هـ.
(سير أعلام النبلاء ٥: ٦٥، وخلاصة تذهيب الكمال ٣٥٧).

(٣) أي أحط لقدره.

(٤) لفظ: «قال» زائد هنا.

٩٧/ب أخبرنا أبو سليمان، / قال: أخبرني أبو عمرو الحِيريّ، قال: أخبرنا مُسَدَّد بن قَطَن، قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم الدَّورَقِيّ(١)، قال: حدثني محمد بن عُبَيْدَة، قال: حدثني أبو الرَّبِيع، عن مسلم بن أبي عبد الله، قال: قال مالكُ بن دينار:

منذ عرفْتُ النَّاسَ لم أفرَحْ بمدحهم، ولم أحزَنْ لذمِّهم. قالوا: كيف ذلك يا أبا يحيـى؟ قال: إني لا أرى إلَّا مادحاً مُفْرِطاً، أو ذامّاً مُفْرِطاً.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني محمد بن معاذٍ، قال: حدثنا الخلَّادي، قال: أخبرني أحمد بن محمد بن بكر، عن داود بن رُشَيْد، قال: حدثني إبراهيم بن شماسٍ(٢)، قال: قال لي حفص بن حُمَيد الأَكَّاف(٣): يا إبراهيم، صحبْتُ النَاسَ خمسين سنةً فلم أجدْ أحداً منهم سَتر لي عورةً، ولا وصَلَني إذا قطعْتُه، ولا أَمِنْتُهُ إذا غَضِبَ؛ فالاشتغالُ بهؤلاء حمقٌ كبير(٤).

---

(١) في الأصل: «الدوري» وهو خطأ. وهو أحمد بن إبراهيم بن زيد الدورقي النُّكري البغدادي، أبو عبد الله. توفي سنة ٢٤٦ هـ.
(تهذيب التهذيب ١ : ١٠).

(٢) في الأصل والمطبوع: «إبراهيم بن ستجماس» وهو خطأ. وهو إبراهيم بن شماس الغازي، كان صاحب سنة وكانت له نكاية في الترك. قتلته الترك سنة ٢٢١ هـ.
(تهذيب التهذيب ١ : ١٢٧).

(٣) الأَكَّاف: بفتح الألف والكاف المشددة، لمن يعمل أكاف البهائم.
وهو أبو عمر حفص بن حميد المروزي الأكاف، الزاهد، صاحب عبد الله بن المبارك.
(الأنساب للسمعاني ١ : ٣٣٧، وتهذيب التهذيب ٢ : ٣٩٩).

(٤) وشبه هذا ما جاء في رسالة «الصداقة والصديق» لأبي حيان التوحيدي ص ٩ نقلاً عن جميل بن مرة حين اعتزل الخاصة والعامة وعوتب في ذلك، فقال: «لقد صحبت الناس أربعين سنة فما رأيتهم غفروا لي ذنباً، ولا ستروا لي عيباً، ولا حفظوا لي غيباً، ولا أقالوني عثرة، ولا رحموا لي عبرة، ولا قبلوا مني عذرة، ولا فكّوني من أسرة، ولا جبروا معي كسرة، ولا بذلوا لي نصرة، ورأيت الشغل بهم تضييعاً للحياة. . .».

قال أبو سليمان: أنشدني بعضُ أصحابنا، قال: أنشدنا ابنُ الأنباريّ[١]:

ليس[٢] للناس وفاءٌ لا ولا بالناس خَيْرُ
قد بلَوْنا النَّاسَ فالنا سُ كسيرٌ وعُوَيْرُ[٣]

قال: وأنشد بعضُهم لأبي العباس[٤] الناشىء.

خَبَرْتُ الأنامَ فما إن وجدتُ على مِحْنَةٍ من يساوي نَقِيرا[٥]
/فلمَّا تبيَّنْتُ أنّي التمسْتُ من الناس شيئاً بعيداً عسيرا ٩٨/أ
فَزِعْتُ إلى الأنسِ بالانفرادِ فكان التقلُّلُ منهم كثيرا

قال أبو سليمان: وأنشدني محمد بن الحسين[٦] بن عاصم لمنصور ابن إسماعيل:

إنَّما النَّاسُ فَزعةٌ[٧] ليس في النَّاسِ مَفْزَعُ
ذُمَّ من شِئْتَ منهم فهو للذمِّ موضِعُ

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثني محمد أبو[٨] بكر بن علي بن

---

(١) البيتان في محاضرات الراغب الأصبهاني ٢: ١٢ بلا نسبة.

(٢) في المحاضرات: «ليس في الدنيا وفاء».

(٣) يقال للمكروهين: كسير وعوير.

(٤) هو عبد الله بن محمد، الناشىء الأكبر، أبو العباس، المعروف بابن شِرْشِير. شاعر معروف مجيد، يعد من طبقة ابن الرومي والبحتري، أصله من الأنبار، وأقام ببغداد مدة طويلة، وخرج إلى مصر فسكنها وتوفي بها سنة ٢٩٣ هـ.
انظر: تاريخ بغداد ١٠: ٩٢، ووفيات الأعيان ٣: ٩١، وسير أعلام النبلاء ١٤: ٤٠.

(٥) النقير: النكتة في ظهر النواة.

(٦) في الأصل: «الحسن» وهو خطأ.

(٧) الفَزعة: من يفزع منهم.

(٨) في الأصل والمطبوع: «محمد بن أبي بكر» وقد زاد الناسخ لفظة «ابن». وهو محمد =

إسماعيل القَفَّال، قال: حدثنا ابنُ الأنباري، قال: حدثنا محمد بن يونس، قال: حدثنا عُبَيد بن يعيش[1]، قال: حدثنا عَبْثَر أبو زُبَيْدٍ[2]، قال: قلت لسفيان: يا أبا عبد الله، دُلَّني على رجلٍ أجلِسُ إليه. قال: تلك ضالَّةٌ لا توجد.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرنا أبو رَجَاء الغَنَوِيّ، عن الحسن بن عُلَيْلٍ، قال: حدثنا نَصْر بن علي، قال: حدثنا الأصمعي، عن سليمان بن المغيرة، عن يونس بن عبيد، قال: شيئان ليس في الأرض أعزُّ منهما؛ لا يزدادان إلا قِلَّةً؛ أخٌ في الله يُسْكَنُ إليه، ودرهمٌ حلالٌ يوضَعُ في حقٍّ.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني ابنُ مالك[3]، قال: حدثنا الحسن ابن سُفيان، قال: حدثنا ابنُ أبي شَيْبَة، قال: حدثنا مروان بن معاوية، عن محمد بن سُوقَةَ، عن نُعَيم بن أبي هندٍ، قال: قال أبو عُبَيدة بن الجرَّاح:
٩٨/ب / كنا نتحدَّث أنَّ أَمْرَ هذه الأمَّة سيرجع إلى أن يكون إخوانُ العلانية أعداءَ السرِّ.

أنشدنا أبو سليمان، قال: أنشدني التَّمَّار النحويُّ، قال: أنشدنا ابنُ الأنباري لأبي حازم:

= ابن علي بن إسماعيل الشَّاشي القفَّال، أبو بكر. من أكابر علماء عصره بالفقه والحديث واللغة والأدب، وصاحب التصانيف، من أهل ما وراء النهر. مات نحو سنة ٣٦٥ هـ.

(طبقات الشيرازي ١١٢، وسير أعلام النبلاء ١٦: ٢٨٣، والأعلام للزركلي ٦: ٢٧٤).

(١) عبيد بن يعيش المحاملي، أبو محمد العطار الكوفي. توفي سنة ٢٢٧ هـ.
(خلاصة تذهيب الكمال ٢٥٦).

(٢) عبثر بن القاسم الزُّبيدي، أبو زُبَيد الكوفي، روى عن سفيان الثوري. قال أبو داود: ثقة. توفي سنة ١٧٩ هـ.
(تهذيب التهذيب ٥: ١٣٦، وخلاصة تذهيب الكمال ٣٠٤).

(٣) هو أحمد بن إبراهيم بن مالك.

إخــوانُ هــذا الــزمــانِ كُــلُّهُــمُ   إخــوانُ غَــدْرٍ عليــه قــد جُبلوا
أخــوهُــمُ المستـحـقُّ وصـلَهُـمُ   مَنْ شــربــوا عنــده ومَــنْ أكلوا
طَــوَوا ثيــابَ الــوصــالِ بينهُمْ   وصــارَ ثَــوبُ الــرِّيــاء يُبتــذَلُ
ولـيس فـيمــا رأيتُ بـيـنــهُــمُ   وبينَ مَنْ كـان مُـعـدمـاً عَـمَـلُ
فاحفظ مِنَ النَّاسِ إنْ ظفِرتَ به   مَنْ لم يكن في إخائِهِ دَغـلُ[1]

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثني محمد بن منصور، قال: حدثنا شكَّر، قال: حدثنا أحمد بن بكر بن سيف المروَزِيّ، قال[2]: حدثنا محمد بن الحسين، عن أبي زكريا، قال: كان أعرابيّ بالكوفة، وكان له صديقٌ، فكان يظهر له مودَّةً ونصيحةً، فاتخذه الأعرابيُّ من عُدَدِهِ للنوائب، فأتاه فوجده بعيداً مما كان يظهر له، فأنشأ يقول:

إذا كـان ودُّ المـرء ليس بـزائـدٍ   على مرحباً أو كيفَ أَنْتَ وحالكا
ولم يـكُ إلَّا كاشـراً أو محـدِّثـاً   فـأفٍّ لـودٍّ لـيس إلا كـذلكـا
لسـانُـكَ مَعْسُـولٌ ونفسُـكَ بَشَّـةٌ   وعند الثُّريَّا من صديقِك مالُكـا[3]
فـأنْتَ إذا هَمَّتْ يمينُـكَ مَـرَّةً   لِتفعلَ خيـراً قـابلَتْها شِمـالُكـا

قال: وأنشدني عبد العزيز بن عبد الله لمحمد بن حازم[4]:

---

(١) الدَّغَل: الفساد.
(٢) لفظة «قال» مكررة في الأصل.
(٣) هذا البيت مستدرك في الهامش. وذكره مفرداً الجاحظ في البيان والتبيين ١: ١٩٥، والحيوان ٥: ٤٣٠ بلا نسبة، برواية: «شحة» بدل «بشة» و«دون» بدل «عند». وأنشد أيضاً في اللسان (شحح) مع قرين بعده، وهو:
وأنت امرؤ خلط إذا هي أرسلت   يمينـك شيئـاً أمسكتـه شمـالكـا
(٤) محمد بن حازم بن عمرو الباهلي، أبو جعفر. شاعر مطبوع، كثير الهجاء، لم يمدح من الخلفاء غير المأمون العباسي. ولد ونشأ في البصرة وسكن بغداد ومات فيها نحو سنة ٢١٥ هـ. أكثر شعره في القناعة ومدح التصوف وذم الحرص والطمع.
انظر: طبقات ابن المعتز ٣٠٧، والأغاني ١٤: ٩٢، ومعجم الشعراء ٣٧١، والمحمدون من الشعراء ٣١٢، وتاريخ بغداد ٢: ٢٩٥.

٩٩/أ /وإنَّ من الإخوان إخوانَ كثرةٍ   وإخوان حيَّاك الإلهُ ومَرْحَبا
وإخوانَ كيفَ الحالُ والأهل كله   وذلك لا يَسْوي[١] نَقيراً[٢] مترَبا
جواداً إذا استغنيْتَ عنه بمالِهِ   يقول إليَّ القَرْضَ والقَرْضَ فاطلبا
فإنّ أنْتَ حاولْتَ الذي خَلْفَ ظهرِه   وجَدْتَ الثُّريّا منه في البُعْدِ أقربا

قال أبو سليمان: وأنشدني الحسنُ بن عبد الرحيم[٣]:

أَنْتَ ما اسْتَغْنَيْتَ عن صا   حبكَ الدَّهْرَ أخوهُ
فإذا احتجْتَ إليه   ساعةً مَجَّكَ فُوهُ
لو رأى النَّاسُ نبيّاً   سائلاً ما وَصَلوهُ

قال أبو سليمان: وأنشدني ابنُ أبي الدِّقّ:

النَّاسُ إخوانُكَ ما لَمْ تَفْتَقِرْ   جَدُّكَ يَسقيكَ بصافٍ أو كدِرْ

قال: أنشدني أحمد بن عبد العزيز بن شابورة، قال: أنشدنا علي بن عبد العزيز، قال: أنشدنا الزُّبير بن بكّار لأبي هَمهمة مولى المزنيين[٤]:

---

(١) أي لا يساوي. وجاء في اللسان: «الفراء: يقال: لا يساوي الثوب غير كذا وكذا، ولم يعرف يَسْوي. قال الأزهري: وقول الفراء صحيح، وقولهم: لا يَسْوي أحسبه لغة أهل الحجاز».

(٢) النقير: النكتة في ظهر النواة.

(٣) الأبيات من قصيدة لأبي العتاهية في ديوانه ٤٢٣، مع تقديم البيت الثالث، ومطلعها:
يُسلم المرءَ أخوه   للمنايا وأبوه
والبيتان الأول والثاني في عيون الأخبار ٣: ٨٤، والأغاني ٤: ١١، والبيان والتبيين ٢: ٧٦، ومعاهد التنصيص ٢: ٢٩٨.

(٤) البيتان الأول والثالث في «الصداقة والصديق» للتوحيدي ص ٢٦٢ بلا نسبة، وروايتهما فيه:
إخوةٌ ما شهدت سَرُّون بَرُّ   ون فإن غبتُ فالذئابُ الجياع
لا لسوءِ البلاء منّي ولكن   طهرتْ نعمة عليَّ فلاعوا

إخوةٌ ما حضرْتُ سُرُّوا بزَوْري[1] فـإذا غِبْتُ فـالسّبـاعُ الـجيـاعُ
بـايَنُـوني حتّى إذا عـايَنُـوني حـانَ منهم تضـاؤلٌ واختِشـاعُ
لا لِـسـوءٍ مـن الـبـلاءِ ولـكـن ظهـرَتْ نعمـةٌ عليَّ فهـاعُـوا[2]
فهُـمُ يـهـمـزون منّي قـنـاةً ليس يألون صَدْعها ما اسْتطاعـوا
مـا كـذا يفعَـلُ الكـرامُ ولكن هكـذا يفعـلُ اللئـامُ الـوِضـاعُ

/ قـال أبو سليمـان: أنشدني بعضُ أهـل الأدب لعبـد الله بن ٩٩/ب المعتز[3]:

وأبعـدَني عن الإخـوانِ عِلْمـي بهم فبقِيتُ مـهجـورَ الـنَّـواحي
فكم ذمٍّ لهم فـي جَنْـب مَـدْحٍ وجِـدٍّ تـحـتَ أثـنـاءِ الـمِـزاحِ

أنشدونا لابن لَنْكَك[4]:

مَضَى الأحْـرارُ وانْقَرَضُـوا جميعاً وخَلَّفَني الـزَّمـانُ على عُلُوجِ[5]
وقـالـوا قـد لَـزِمْتَ البيتَ جِـدّاً فقلْتُ لِفَقْـدِ فـائـدةِ الخـروجِ

---

(١) الزَّور: الزيارة.
(٢) هاع يهوع هَوْعاً وهُواعاً: تهوَّع وقاء. وقيل: قاء بلا كلفة.
(٣) ديوانه ص ٢١ من قصيدة مطلعها:
لـمـن دار وربـعٌ قـد تـعـفّـى بنهـر الكـرخ مهجـور النـواحي
ورواية الديوان: «وأفردني من الإخوان علمي»، و«بين» بدل «تحت».
(٤) هو محمد بن محمد بن جعفر البصري، أبو الحسن. شاعر، أكثر شعره ملح وطرف، جلها في شكوى الزمان وأهله وهجاء شعراء عصره.
انظر: يتيمة الدهر ٢: ٣٤٧، ومعجم الأدباء ١٩: ٦، وبغية الوعاة ٩٤، والوافي بالوفيات ١: ١٥٦.
والبيتان ضمن أبيات أربعة في معجم الأدباء ١٩: ٨ برواية: «وانقرضوا وبادوا»، وهما في يتيمة الدهر للثعالبي ٢: ٣٤٨.
(٥) العلوج: جمع علج وهو العير والحمار، وحمار الوحش السمين، والرجل من كفار العجم؛ فشبه أهل زمانه بهؤلاء.

قال أبو سليمان: أخبرني محمد بن إبراهيم المُكْتِب، قال: حدثنا شكَّر، قال: حدثنا عيسى بن أبي موسى الأنصاريّ، قال: سمعت سليمان ابن موسى ينشد:

حَالَ عمَّا عهدتَ رَيْبُ الزمان ... واستحالَتْ مودَّةُ الخُلّانِ
واسْتَوى النَّاسُ في الخديعة والمكـ ... ـر فكلٌّ لسانُه اثنانِ
قُلْ لمن يبتغي السَّلامَةَ والصِّحَّـ ... ـةَ عِشْ واحداً بلا إخوانِ
فلَعمري لئن بلوْتَ أصحَّ النَّا ... سِ ودّاً وجدْتَ ذا ألوانِ

قال أبو سليمان: أنشدني[1] ابنُ أبي الدنيا، قال: أنشدني أعرابي من بني أسد[2]:

ألا ذَهَبَ التَّذَمُّمُ[3] والوفاءُ ... وبَادَ رجالُهُ وبقي الغُثاءُ[4]
وأسلَمني الزَّمانُ إلى أناسٍ ... كأَنَّهُمُ الذِّئابُ لهم عُواءُ
إذا ما جئتُهُم يتدافعوني ... كأنّي أجربُ أعداه داءُ
صديقٌ لي إذا استغنيْتُ عنهم ... وأعداءٌ إذا نزلَ البَلاءُ
/أقولُ ولا أُلامُ على مقالي ... على الإخوان كلِّهِم العَفاءُ ١٠٠/أ

قال أبو سليمان: هذاقولٌ بَشِعٌ، وكلامٌ جاف، والأخوة مَصُونةٌ عن مثل هذه الصفات. وحاشا للإخاء أن يكونَ عليه العَفاءُ؛ وإنما غَلَطَ القومُ بالاسم فنحلُوه غيرَ أهله، وبدَّلوه غير مستحقه. فسموا المعارفَ إخواناً، ثم أنشؤوا يذمُّون الأخوة، ويَعيبُون الصداقَةَ من أجلهم؛ وهذا جَوْرٌ وعُدوانٌ. وشبيهٌ به ما أنشدني ابنُ الفارسي، قال: أنشدني محمد بن القاسم الجُمَحيُّ، قال: أنشدنا الزُّبَيْر بن بَكَّارٍ:

---

(١) لا يعقل أن يكون ابن أبي الدنيا قد أنشد الخطابي، فقد توفي الأول سنة ٢٨١ هـ بينما ولد الخطابي سنة ٣١٩ هـ.
(٢) الأبيات في العقد الفريد ٢: ١٦٨ بلا نسبة، مع خلاف يسير في بعض الألفاظ.
(٣) تذمَّمَ: استنكف واستحيى، أو ذم نفسه واتهمها.
(٤) الغثاء: الحثالة وأرذال الناس وسقطهم.

لا يُضِيعُ الأمينُ سِرًّا ولكن   ربَّما يُحْسَبُ المضيعُ أمينا

قال أبو سليمان: وأنشدني آخر في معناه[1]:

إذا [ما] كنْتَ مُتَّخِذاً خليلاً   فلا تأمَنْ خليلكَ أنْ يخونا
فإنَّك لم يخنْكَ أخٌ أمينٌ   ولكن قلَّ مَنْ تَلْقى أمينا

قال أبو سليمان: وكيف يكونُ لك صديقاً مَنْ لا يَصْدُقُكَ لسانُهُ عن قلبه، ولا عيانُهُ عن غَيْبِهِ؛ إذا رآك قال: أطال الله بقاءَكَ، وهو يتمنّى فَنَاءَ عُمرِكَ، وقِصَرَ أيَّام حياتِك؛ وأكرمَكَ الله، وهو يريدُ هوانَكَ وهلاكَكَ؛ وسَلَّم اللَّهُ عليكَ، وهو يتمنَّى أَنْ يُسلِّمكَ[2] الله ولا يَصونَكَ. وهل يكونُ مَنْ هذا صفتُهُ أخاً أو صديقاً؟ لا وحقِّكَ، إنَّه أعدى الأعداء، وأولى الناسِ بالإبعاد والإِقصاءِ.

/ قال أبو سليمان: وسمعت أبا جعفر العُتْبِيَّ ينشد لعليِّ بن الجهم[3]: ١٠٠/ب

تَوَقَّ النَّاسَ يا ابنَ أبي وأُمِّي   فَهُمْ تَبَعُ المخافَةِ والرَّجاءِ
ألم تَرَ مُظْهِرينَ عَليَّ عَتْباً[4]   وكانوا أمس[5] إخوانَ الصَّفاء

---

(١) في الكامل للمبرد ٩٠٥: وقال بعض القرشيين:

إذا ما كنت متخذاً خليلاً   فلا تجعل خليلك من تميمِ
بلوت صميمهم والعبدَ منهم   فما أدنى العبيد من الصميم

(٢) أي يخذلك، وأسلم الرجل: خذله.

(٣) الأبيات ضمن قصيدة في ديوانه ص ٨٣، مطلعها:

توكلنا على ربِّ السماء   وسلَّمنا لأسباب القضاء

وجاء في الأغاني ١٠: ٢٠٦ أن علي بن الجهم قال هذه القصيدة أول ما حبس وكتب بها إلى أخيه.

(٤) في الديوان: «غِشًّا»، وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٦٣: «عتباً».

(٥) في الديوان: «وهم بالأمس».

بُلِيتُ بِنَكْبَةٍ فَغَدَوْا وَرَاحُوا   عَلَيَّ أَشَدَّ أَسْبابِ القضاءِ[١]
أَبَتْ أقدارُهُم أَنْ ينصُرُوني   بمالٍ أو بجاهٍ أو بِراءِ[٢]
وخافُوا أَنْ يُقالَ لهم خذلْتُم   صديقاً فادَّعَوا قِدمَ الجفاءِ

قال أبو سليمان: أنشدني بعض أصحابنا لابن الرومي[٣]:

رأيت الأخِلَّاء في دهرنا   يظهر المودَّة إلا قليلا
بِطاءً عن المبتغي نصرَهم   إلى أن يغادَر شلواً أكيلا
وإن حشدوا لامرىء مرةً   أدلُّوا عليه دلالاً ثقيلا
ولا تفزعنَّ إلى نَصرهمْ   وعش[٤] عيش حر عزيزاً ذليلا

قال أبو سليمان: وله في هذا المعنى أيضاً[٥]:

لَسَاءَ اتِّقاؤك إمَّا اتقيْـ   ـتَ أَنْ تستضَامَ بأن تُسْتَرقَّا
فكن للمظالِم حمالةً   وعِشْ عيشَ حُرٍّ مُلَقّى مُوَقَّى

قال أبو سليمان: أخبرني محمد بن الحسين بن عاصم، قال: حدثنا محمود بن محمد الرَّافقي، قال: حدثني عبد الرحمن بن محمد، قال: قيل لأبي العتاهية وهو يموت: ما تشتهي؟ قال: أشتهي أن يكون[٦] زلزلٌ عن يميني ومخارقٌ عن يساري؛ في حجر كلٍّ واحد منهما عودٌ، يدخلان في وتر واحد، ويغنيانني بهذا البيت[٧]:

---

(١) في الديوان: «البلاء».
(٢) الرَّاء: الرأي.
(٣) الأبيات في ديوانه ٥: ٢٠١٣.
(٤) في الديوان: «وكن للظالم ظهراً ذليلًا».
(٥) ديوان ابن الرومي ٤: ١٦٣٣ ضمن أبيات أربعة، وقبلهما:
أرى الضَّيْمَ ذُلًّا على أنَّني   أرى النصر من صاحب المنِّ رِقا
فلا تسأل النصرَ إلا امرأً   تراه بِنصرك يقضِيكَ حقا
(٦) قوله: «أن يكون» مستدرك في الهامش.
(٧) البيت لأبي العتاهية في ديوانه ٣١٦ من قصيدة مطلعها: =

١٠١/أ /سَيُعْرَضُ عَن ذِكْري وتُنْسَى مَوَدَّتي ويَحْـدُثُ بَعْدي للخليـلِ خليـلُ

قال أبو سليمان: أنشدني الحسن بن عبد الرحيم، قال: أنشدني محمد بن الحسين[١] اللخميُّ:

دَهْـرنـا دَهْـرُ افـتـراق ليس ذا دَهْـرَ تـلاقِ
قَـلَّ مَـنْ يـلقـاكَ إلاَّ بـسـلام واعـتـنـاقِ
فـإذا ولَّـيْـتَ عـنـه بِـنْـتَ[٢] مـنـهُ بـطلاقِ

قال أبو سليمان: وأنشدني محمد بن منصور، قال: أنشدني شكَّر، قال: أنشدني محمد بن خلف التَّيميّ:

وليس أخي مَنْ ودَّني بلسانه ولكن أخي مَنْ وَدَّني في النوائبِ
ومَنْ مالُهُ مالي إذا كنْتُ معدَماً وما لي له إنْ عضَّ دَهْرٌ بغاربِ
فلا تحمدَنْ عند الرَّخاءِ مؤاخياً فَقَدْ ينكرُ الإخوانُ عند المصائبِ

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا الخُلْدِيّ[٣] جعفر بن محمد، قال:

= ألا هل إلى طول الحياة سبيلُ وأنَّى وهذا الموت ليس يُقيلُ
وذكر البيت مع آخر في الأغاني ٤: ١٠٩، وحكايتهما فيه:
«حدثني جحظة، قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، قال: قيل لأبي العتاهية عند الموت: ما تشتهي؟ فقال: أشتهي أن يجيء مُخارِق فيضَعَ فمه على أذني ثم يغنِّيني:
سَيُعْرَضُ عن ذكري وتُنْسَى مودّتي ويحدُثُ بعدي للخليل خليلُ
إذا ما انقضَتْ عنّي من الدَّهر مدَّتي فإنَّ غناء الباكياتِ قليلُ
وانظر معاهد التنصيص ٢: ٢٩٧، ومحاضرات الراغب الأصبهاني ٢: ٢٢٣.

(١) في الأصل: «محمد بن الحسن» وهو خطأ.
(٢) أخذه من قولهم: بانت المرأة عن الرجل، وهي بائن، إذا انفصلت عنه بطلاق.
(٣) نسبة إلى الخُلْد، وهي محلّة ببغداد. وهو جعفر بن محمد بن نصير الخلدي الخوَّاص، أبو محمد. أحد مشايخ الصوفية. اتصل بالجنيد وهو الذي دعاه بالخلدي. مات سنة ٣٤٨ هـ.
(اللباب ١: ٤٥٦، ومعجم البلدان ٢: ٣٨٢).

حدثنا أحمد بن محمد بن مسروق الطوسيّ، قال: حدثنا أحمد بن أبي الحَوارِيّ، قال: قال أبو عبد الله النِّباجيُّ(١):

ارفض النَّـاسَ فَكُلٌّ مَشغلَهْ
قد بَخِلَ النَّاسُ بمثل الخَرْدَلَهْ
لا تسألِ النَّاسَ وسَلْ مَنْ أنْتَ لَهْ

قال أبو سليمان: أنشدني الخُزَيْمِيّ(٢):

اللهُ يَغْضَبُ إنْ تـركْتَ سؤالَـهُ ... وبني آدَمَ حـين يُسْـأَلُ يَغْـضَبُ

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرنا ابنُ الأعرابي، قال: حدثنا محمد ابن العباس بن الدّرَفْس، قال: حدثنا أحمد بن أبي الحَوارِيّ، قال: حدثني مَضَاء، قال: قال إبراهيم بن أدهم: يلومنا النَّاسُ ألا نقبَلَ منهم،
١٠١/ب ويوشكُ أن نقبَلَ منهم فنهُونَ عليهم، / ويوشكُ أن نسألهم فلا يعطوننا.

قال: وروينا عن إبراهيم النَّخعيّ أنَّه قال: إنَّ الأغنياءَ لا يُعطونك بقدر ما يُغنونكَ، إنَّما يعطونك بقدر ما يفضحونك.

* * *

---

(١) واسمه سعيد بن يزيد، زاهد متعبِّد، حكى عن الثوري والفضيل وغيرهما. (انظر: صفة الصفوة ٤: ٢٧٩).
والأبيات أوردها أبو حاتم البستي في روضة العقلاء ص ٨٤، وفيه: «وُكُلٌّ مشغَلَهْ».

(٢) كذا في الأصل والمطبوع: «الخزيمي» بالزاي، نسبة إلى الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري، المتوفى سنة ٣١١ هـ. ولعله «الخريمي» بالراء، الشاعر المعروف، اسمه أبو يعقوب إسحاق بن حسان بن قوهي الخريمي، أصله من خراسان. توفي سنة ٢١٢ هـ.
وإنشاد أبي سليمان عنه إنما هو بالوجادة.
وذكر قبله في حاشية المطبوع:
لا تسـألنَّ بـني آدم حـاجـةً ... وسـل الَّذي أبـوابـه لا تحجب

بـــاب في فساد الزمان وأهله

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرنا ابن الأعرابي، قال: حدثنا عبد الله ابن أحمد بن المستورد، قال: [حدثنا][1] أبو نُعَيم، قال: حدثنا شَرِيك، عن بَيانٍ[2]، عن قيس بن أبي حازم، عن مستورِد الفهري[3]، قال: قال رسول الله ﷺ:

«يذهب الصالحون الأوَّلُ فالأوَّلُ، وتبقى حثالةٌ كحثالة الشَّعيرِ، لا يبالي الله تعالى عنهم»[4].

(١) تكملة ليست في الأصل.

(٢) هو بيان بن بشر الأحمسي، أبو بشر الكوفي. وثقه أحمد وابن معين، توفي نحو سنة ٤٠ هـ. (خلاصة تذهيب الكمال ٥٣).

(٣) المستورد بن شداد بن عمر بن فهر القرشي. صحابي توفي سنة ٤٥ هـ. (خلاصة تذهيب الكمال ٣٧٤).

(٤) أخرجه البخاري رقم (٦٤٣٤) في الرقاق، باب ذهاب الصالحين، من حديث قيس ابن أبي حازم عن مرداس الأسلمي رضي الله عنه، وكان من أصحاب الشجرة، ولفظه: «يذهب الصالحون الأول فالأول، ويبقى حفالة كحفالة الشعير أو التمر لا يباليهم الله بالةً».

وحفالة بمعنى حثالة. والحثالة: الرديء من كل شيء. وقيل: آخر ما يبقى من الشعير والتمر وأرداه. ولا يباليهم الله بالةً: قال الخطابي: أي لا يرفع لهم قدراً ولا يقيم لهم وزناً.

وفي رواية عبد الواحد: «لا يبالي الله عنهم»، وكذا في رواية خالد الطحان؛ =

قال أبو سليمان: حُثَالَةُ الشَّعير: رُذَالَتُهُ، وما لا خيرَ فيه منه. يقول: كما لا يؤكل ما يبقى من حثالةِ الشعير، كذلك لا يُصْحَبُ مَن يبقى من الناس في آخر الزمان.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرنا ابنُ الأعرابي، قال: حدثنا أبو داود، قال: حدثنا محمد بن بشَّار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن ابن جُرَيْج، عن ابن أبي مُلَيْكَةَ، عن أبي هريرة، قال: «ذهب الناس وبقي النِّسْنَاسُ». فقيل له: ما النِّسْنَاسُ؟ قال: «يُشْبِهُون[1] النَّاسَ وليسوا بناس».

قال أبو سليمان: وحدثنا ابن الأعرابي، قال: حدثنا الرَّمادِيّ، قال: حدثنا يعقوب بن محمد الزُّهريّ، قال: / حدثنا عَبَّاد بن حبيب، قال: ١٠٢/أ سمعت حسن بن عبد الله يحدِّث، قال: حدثني بعض أهلي عن ابن عباس، قال: النَّاسُ بزمانهم أشبَهُ منهم بآبائهم.

حدثنا أبو سليمان، قال: حدثنا الصَّفَّار، قال: حدثنا أحمد بن سعد الزُّهرِيّ، قال: حدثنا سعيد بن سليمان، قال: حدثنا عَبَّاد بن حبيب، عن الحسن بن عمرو، قال: حدثنا حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جُبَيْر، قال: قرأت كتاب دانيال فإذا فيه: «يأتي على الناس زمانٌ لا يرى حكيمٌ فيه قرَّةَ عينٍ».

= و «عن» هنا بمعنى الباء؛ يقال: ما باليت به وما باليت عنه.

والحديث أيضاً في البخاري رقم (٤١٥٦) في المغازي، باب غزوة الحديبية، ولفظه: «يقبض الصالحون الأول فالأول، وتبقى حُفالة التمر والشعير لا يعبأ الله بهم شيئاً».

وانظر: فتح الباري ١١: ٢٥١.

(١) عبارة اللسان: «يتشبهون بالناس وليسوا من الناس».

وفي العقد الفريد ٢: ١٣٢: «قال مطرف بن عبد الله بن الشِّخِّير: الناس ثلاثة: ناس، ونَسناس، وناس غمسوا في ماء الناس».

قال: أخبرنا ابنُ الأعرابي، قال: حدثنا سَعْدان، قال: حدثنا عبد العزيز بن أبان، قال: حدثنا مالك بن مِغْوَل، عن الشَّعبيّ، [قال][1]: ما بكيتُ من زمانٍ إلا بكيتُ عليه.

حدثنا أبو سليمان، قال: حدثني الحسنُ بن عبد الرحيم، قال: حدثنا محمد بن الحسين، عن عبد الرحيم بن نافع، عن عمرو بن شمرٍ، عن جابر، عن محمد بن علي، قال: يأتي على الناس زمانٌ يكون الولدُ فيه غيظاً، ويكونُ المطرُ قيظاً، ويَفيضُ فيه اللئامُ فَيْضاً، ويَغِيضُ الكرامُ فيه غيضاً.

حدثنا أبو سليمان، قال: حدثنا ابنُ الأعرابي، قال: حدثنا إبراهيم ابن عبد الله العَبْسِيّ، قال: حدثنا وكيعٌ، عن الأعمش، عن مُخَوَّل[2]، عن رجل من عبد القيس، / قال: قال حذيفةُ: ما أبالي بعد سبعين سنة لو ١٠٢/ب دَهْدَهْتُ[3] حجراً من فوق مسجدِكم فقتلتُ منكم عشرةً.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني إسماعيل بن محمد، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، قال: قال جدّي إسماعيل بن إبراهيم: سمعت همَّام ابن سلمة، يقول: قال جعفر بن محمد: إذا كانت السَّنةُ ثلاثين ومائةً فخيرُ أولادكم البنات، وخيرُ نسائكم العُقَّرُ.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني محمد بن سَعْدَوَيْه، قال: حدثنا ابن الجُنَيْد، قال: حدثنا قُتَيْبَةُ، قال: حدثنا أبو سعد الأعمى، قال: حدثنا

---

(١) زيادة ليست في الأصل.

(٢) مخول بن راشد النهدي مولاهم، أبو راشد الكوفي. وثقه ابن معين. توفي في خلافة المنصور.
(خلاصة تذهيب الكمال ٣٩٥).

(٣) دهدهت الحجر ودهديته، إذا دحرجته.

عافية[1] القاضي، عن ابن أبي ليلى[2]، قال: سيأتي على النَّاسِ زمانٌ يقال له زمانُ الذئاب، فمن لم يكنْ في ذلك الزمان كلباً أكلوه.

قال أبو سليمان: قال قُتَيْبَة: هو هذا الزمان.

قال أبو سليمان: حدثنا إبراهيم بن فراسٍ، حدثنا أحمد بن علي بن سهل، قال: حدثنا العباس بن الحسين، قال: أبو معاوية، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها أنَّها كانت تتمثل بهذين البيتين[3]:

ذَهَبَ الَّذينَ يُعاشُ في أكنافِهِم وبَقيتُ في جلدٍ[4] كجلدِ الأَجْرَبِ
يتحدثون مخافةً وملاذَةً[5] ويُعابُ قائِلُهُم وإنْ لَمْ يَشْغَبِ[6]

١٠٣/أ / قال أبو معاوية: قالت عائشة رضي الله عنها: ويحَ[7] لبيدٍ لو أدرك هذا الزمان. قال عُروةُ: وكيفَ لو عاشت عائشةُ، رضي الله عنها، إلى هذا الزمان. قال هشام: فكيف لو بقي عُروة إلى هذا الزمان.

---

(١) هو عافية بن يزيد بن قيس الكوفي القاضي، وثقه النسائي، وقال أبو داود: يكتب حديثه؛ وضعفه يحيى بن معين.
(خلاصة تذهيب الكمال ٣٠٤).

(٢) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري الكوفي، أبو عبد الرحمن الفقيه، قاضي الكوفة. مات سنة ١٤٨ هـ.
(تهذيب التهذيب ٩: ٣٠١).

(٣) هما للبيد بن ربيعة العامري من قصيدة يرثي بها أخاه أرْبَد. ديوانه طبعة صادر ص ٣٤ - ٣٦.

(٤) الديوان: «في خَلْفٍ». والخَلْف: البقية.

(٥) الديوان: «يتأكَّلون مغالةً وخيانةً». وأشار في الهامش إلى الرواية المثبتة.
والملاذة: الكذب في المودة.

(٦) يشغب: يجور عن القصد.

(٧) في سير أعلام النبلاء ٢: ١٩٨: «رحم الله لبيداً».

وقال(١) أبو معاوية: فكيف لو بقي هشام إلى هذا الزمان. وقال العباس بن الحسين نحو ذلك. وقال أحمد بن علي: وقال ابن فراسٍ مثله.

أخبرنا أبو سليمان، قال: وحدثنيه محمد(٢) بن سَعْدَوَيْه، قال: حدثنا محمد بن خُشّك بن محرز، قال: حدثنا سلمة بن شبيب، عن عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عن الزُّهريّ، عن عروة أو هشام عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها؛ وسرد الحكايَةَ إلى أن انتهى إلى عبد الرزاق، فقال: رحم الله فلاناً كيف لو أدرك هذا الزمان.

قال أبو سليمان: قال محمد بن خُشَّك: قلنا لسلمة لما انتهى الكلام إليه: ما تقول أنتَ يا أبا الفضل؟ قال(٣): ما عسى أن يقول مثلي؛ أنا أقول: الترابُ على رأسي.

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثني الحسن بن عبد الرحيم، قال: حدثنا محمد بن الحسين اللخميّ، قال: حدثنا محمد بن خلف التَّيْميُّ، قال: حدثنا قَبيصَةُ(٤)، عن سُفيانَ الثوري، عن أبيه، قال: أتيت إبراهيمَ النَّخعِيَّ في شيء، فقال: يا أبا سعيد، ما كان بيني وبينك أحدٌ يَشفيك من هذا! احتيج إليَّ، احتيج إليَّ؛ إنَّ دهراً صِرْتُ فيه فقيهَ أهلِ الكوفةِ لَدَهْرُ سوءٍ.

١٠٣/ب / قال أبو سليمان: هذا وإن كان من إبراهيم على معنى التواضع، وسبيل الاهتضام لنفسه، فإنَّه لم يخلُ من عيبٍ للزمان وإزراء به، وتفضيلٍ لما سَلَفَ منه على ما غبَر وتأخَّر من أيامه.

---

(١) من هنا إلى قوله: «إلى هذا الزمان» مثبت في الهامش.

(٢) من هنا إلى قوله: «حدثنا سلمة» مثبت في الهامش.

(٣) بعدها لفظ: «فقال» وهي زائدة.

(٤) هو قبيصة بن عقبة بن محمد، أبو عامر السّوائي الكوفي، ثقة. توفي سنة ٢١٥ هـ. (سير أعلام النبلاء ١٠: ١٣٠، وخلاصة تذهيب الكمال ٣١٥).

قال أبو سليمان: أخبرني ابن سَعْدَوَيْه، قال: حدثنا إسحاق، قال: سمعت محمد بن عبد الأعلى الصنعاني(١) يقول: خرج علينا سفيان بن عُيَيْنَة ونحن جلوسٌ على باب داره، فقال(٢):

خَلَتِ الدِّيارُ فسُدْتُ غَيْرَ مُسَوَّدٍ ... ومِنَ الشَّقاء تَفَرُّدِي بالسُّودَدِ

قال أبو سليمان: وأنشدني إبراهيم بن فراس في نحوٍ من هذا(٣):

وأنَّ بقومٍ سَوَّدُوكَ لحاجةً ... إلى سيِّدٍ لو يظفرون بسيِّدِ

وقال آخر في نحوه(٤):

وما سُدْتَ فيهم أنَّ فَضْلَكَ عَمَّهُمْ ... ولكنَّ هذا الحظَّ في الناس يُقْسَمُ

قال أبو سليمان: حدثني علي بن العباس الإسكندرانيُّ، قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن سعيد المِهرانيّ، قال: الخليل بن أسد، قال: حدثني مسعود بن بشر، عن ابن راحَةَ(٥)، قال: خرج إلينا يعقوب بن

---

(١) محمد بن عبد الأعلى القيسي، أبو عبد الله الصنعاني، ثم البصري. مات سنة ٢٥٤ هـ. (خلاصة تذهيب الكمال ٣٤٧).

(٢) البيت لحارثة بن بدر الغداني، كما في البيان والتبيين ٣: ٢١٩، والحيوان ٣: ٨٠، والأغاني ٢١: ٣١، وأمالي المرتضى ١: ٣٨٨.

وروى أبو الفرج - ونحوه ما روى المرتضى - أن حارثة بن بدر الغداني اجتاز بمجلس من مجالس قومه بني تميم، ومعه كعب مولاه، فكلما اجتاز بقوم قاموا إليه وقالوا: مرحباً بسيدنا. فلما ولي قال له كعب: ما سمعت كلاماً قط أقرّ لعيني ولا ألذّ بسمعي من هذا الكلام الذي سمعته اليوم!! فقال له حارثة: لكني لم أسمع كلاماً قط أكره لنفسي وأبغض مما سمعته! قال: ولِمَ؟ قال: ويحك يا كعب، إنَّما سوَّدني قومي حين ذهب خيارهم وأماثلهم، فاحفظ عني هذا البيت:

خلت الديار فسدت غير مسوَّدِ ... ومن الشقاء تفردي بالسودِدِ

(٣) هو أبو نخيلة، كما في الحيوان ٣: ٨٠، ولم ينسبه في البيان والتبيين ٣: ٢١٩.

(٤) البيان والتبيين ٣: ٢١٩ بلا نسبة.

(٥) كذا في الأصل، ولم أعثر له على ترجمة.

داود[1] وزيرُ المهدي ونحن على بابه، فقال: ما صدرُ هذا البيت:

* ومحتَرِسْ[2] من مثله وهو حارسُ *

فإنَّ أمير المؤمنين سأل عنه فلم يكن عند واحدٍ منّا جوابٌ. قال: قلتُ أنا أخبرُك به. قال البَرْدَخْتُ[3]:

أقلي عليَّ اللومَ يا أمَّ مالكٍ ... وذمِّي زماناً سادَ فيه الفُلافسُ
وساعٍ مع السلطان ليس بناصحٍ ... ومحترَسٌ من مثله وهو حارسُ

/ والفُلافسُ: رجلٌ من أهل الكوفة من بني نَهْشل بن دارم، وكان على شُرَطِ القُبَاعِ[4] بالبصرة، فقال فيه الأشهب[5] بن رُمَيْلَة النَّهْشَلِيُّ: ١٠٤/أ

يا جار يا ابنَ أبي ربيعةَ إنَّهُ ... يخلو إذا اختلط[6] الظَّلامُ ويَشْرَبُ

---

(١) يعقوب بن داود بن عمر السلمي بالولاء، أبو عبد الله؛ كاتب من أكابر الوزراء. وزر للمهدي وغلب على الأمور كلها، وقصدته الشعراء بالمدائح، وكثر حساده، فعزله المهدي، ثم حبسه، وبقي في حبسه إلى زمن الرشيد حيث أطلق سراحه، وقد كف بصره، ومات في مكة سنة ١٨٧ هـ.

انظر: وفيات الأعيان ٧: ١٩، ونكت الهميان ٣٠٩، والأعلام للزركلي ٨: ١٩٧.

(٢) لفظة: «ومحترس» مستدركة في الهامش.

(٣) هو علي بن خالد الضبي العكلي، من شعراء العصر الأموي، كان بينه وبين جرير مهاجاة؛ جاء إلى جرير فقال له: هاجني! فقال له جرير: ومن أنتَ؟ قال: أنا البردَخْت، قال: وما البردَخْت؟ قال: الفارغ بالفارسية. فقال له جرير: ما كنت لأشغل نفسي بفراغك.

انظر: الشعر والشعراء ٧١٢، ومعجم الشعراء للمرزباني ١٣١، وذيل اللآلي ٣٩.

(٤) القُباع: مكيال ضخم. والقُباع: والٍ أحدث ذلك المكيال فسمي به. (اللسان).

(٥) هو الأشهب بن ثور بن أبي حارثة النهشلي الدارمي التميمي، ابن رُمَيْلَة، شاعر نجدي، ولد في الجاهلية وأسلم، ولم يجتمع بالنبي ﷺ. توفي بعد سنة ٨٦ هـ.

انظر: طبقات ابن سلام ٥٨٣، والموشح ١٦٥، وسمط اللآلي ٣٥، والخزانة ٣: ٥٠٩.

(٦) في الأصل: «اختلطا».

جعلَ الفُلافسُ حاجبين لِبابِهِ سبحانَ مَنْ جَعَلَ الفُلافسَ يُحْجَبُ

قال: أخبرني أحمد بن إبراهيم بن خُزَيْمة، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، قال: سمعت داود الأصبهاني[1] ينشد:

عمَّا قليل تَرَى ما كنْتَ تحسِبُهُ ألَّا يكونَ ولا يأتي به الحِقَبُ
قد تَعْلُكُ اللجمَ وُرْقُ[2] الإبل مسرجةً ويَرْجِعُ الطِّرْفُ[3] مشدوداً به القَتَبُ[4]

قال أبو سليمان: وأنشدت هذا البيت:

هذا الزمان الذي كنَّا نحذره في قول كعبٍ وفي قول ابن مسعودِ
إنْ دامَ هذا ولم يحدثْ له غِيَرٌ لم يُبْكَ مَيْتٌ ولم يُفْرَحْ بمولودِ

قال أبو سليمان: وأنشدني بعضُ أهل الأدب، قال: أنشدني المتنبي[5]:

إنَّا لَفي زَمَنٍ تَرْكُ القبيحِ بِهِ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ إحسانٌ وإجمالُ

قال أبو سليمان: قرأت لمنصور بن عمَّارٍ[6] في صفة الزمان: تغيَّر الزمانُ حتى كَلَّ عن وصفه اللسانُ، فأمسى خَرِفاً بعد حداثته، شرِساً بعد

---

(١) داود بن علي بن خلف الأصبهاني، أبو سليمان، الملقب بالظاهري، أحد الأئمة المجتهدين في الإسلام، تنسب إليه الطائفة الظاهرية. توفي سنة ٢٧٠ هـ.
(تاريخ بغداد ٨: ٣٦٩، ووفيات الأعيان ١: ١٧٥، وتذكرة الحفاظ ٢: ١٣٦).

(٢) الأورق: أطيب الإبل لحماً وأقلُّها شدّة على العمل والسير.

(٣) الطِّرْف من الخيل: الكريم العتيق، وقيل: هو الطويل القوائم والعنق المطرَّف الأذنين.

(٤) القَتَب: إكاف البعير.

(٥) ديوانه بشرح البرقوقي ٢: ٢٠٤، من قصيدة في مدح أبي شجاع فاتك، مطلعها:
لا خيلَ عندكَ تُهديها ولا مالُ فَلْيُسْعِدِ النُّطْق إن لم تُسْعِدِ الحالُ

(٦) هو منصور بن عمار بن كثير، أبو السري الواعظ، سكن بغداد، وحدث بها. قدم إلى مصر واتصل بالليث بن سعد فوصله بألف دينار. وله أخبار وأقوال ذكرها البغدادي في تاريخ بغداد ١٣: ٧١ - ٧٩.

لِينِهِ، يابسَ الضَّرْعِ بعد غزارتِهِ، ذابلَ الفَرْعِ[1] بعد نضارَته، قاحلَ العود بعد رطوبته، بَشِعَ[2] المذاق بعد عذوبته؛ فلا تكاد ترى لبيباً إلا ذا كَمَدٍ، ولا ظريفاً واثقاً بأحدٍ، / وما أصبح له حليفاً إلا جاهلٌ، ولا أمسى به قريرَ عين إلا غافلٌ؛ فما بقي من الخير إلا الاسم، ولا من الدِّين إلا الرسمُ، ولا من التواضع إلا المخادعةُ، ولا من الزَّهادة إلا الانتحالُ، ولا من المروءة إلا غرورُ اللسان، ولا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا حميَّةُ النفس، والغضبُ لها، وتطلع الكِبْر منها[3]، ولا من الاستعادة إلا التعزيزُ والتَّبْجيلُ. ١٠٤/ب

فالمغرور المائق[4]، المذمومُ عند الخلائق، النادمُ في العواقب، المحطوطُ عن المراتب؛ من اغْترَّ بالنَّاسِ، ولم يحسِمْ رجاءه باليأس، ولم يظلِفْ[5] قلبه بشدَّة الاحتراس.

فالحذَرَ الحذَرَ من الناس، فقد أقلَّ[6] الناس وبقي النِّسناس، ذئابٌ عليهم ثياب؛ إن استفردتهم[7] حرموك، وإن استنصرتهم خذلوك، وإن استنصحتَهم غشوك. إن كنتَ شريفاً حسدوك، وإن كنتَ وضيعاً حَقَروك، وإن كنتَ عالماً ضلَّلوك وَبَدَّعوك، وإن كنتَ جاهلاً عيَّروك ولم يُرْشِدوك. إن نطقْتَ قالوا مِكثارٌ مِهذارٌ صفيقٌ؛ وإن سكتَّ قالوا عَيِيٌّ بليدٌ بطيءٌ؛ وإن تَعمَّقْتَ قالوا متكلّفٌ متعمِّقٌ؛ وإن تغافلْتَ قالوا جاهِلٌ أحمق؛ فمعاشرتُهُم داءٌ وشقاء، ومزايلتُهُم دواءٌ وشِفاء؛ ولا بدَّ من أن يكون في

---

(١) فَرْع كل شيء: أعلاه.
(٢) عبارة: «بشع المذاق بعد عذوبته» مستدركة في الهامش.
(٣) في الأصل: «منهما».
(٤) المائق: الهالك حمقاً وغباوة، والسيء الخلق، والأحمق.
(٥) يقال: ظلف نفسه عن الشيء يظلفها، أي منعها من أن تفعله أو تأتيه.
(٦) أقلَّ الشيء: صادفه قليلاً.
(٧) كذا في الأصل والمطبوع، ولعل صوابه: «استرفدتهم» بمعنى طلبت رفدهم.

١٠٥/أ الدَّواء مرارةٌ / وكراهة. فاختر الدَّواءَ بمرارته وكراهته على الدَّاء بغائلتِهِ وآفته. والله المستعان.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرنا ابنُ الأعرابي، قال: حدثنا يحيى ابن أبي طالب، عن عبد الوهاب بن عَطَاء، قال: حدثنا محمد بن عمرو، عن صفوان بن سُلَيم[١]، عن أبي مُسْلم الخَوْلانيّ[٢]، قال: كان الناس مرةً وَرَقاً لا شوكَ فيه، وإنَّهم اليومَ شوكٌ لا وَرَقَ فيه.

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا أحمد[٣] بن إبراهيم بن مالك، قال: حدثنا محمد بن أيّوب[٤]، قال: حدثنا هلال بن الفياض، قال: حدثنا أبو عبيدة، وكان ينزل في بني يشكر، قال: حدثنا أبو عُبَيْدة النَّاجي[٥]، قال: قال الحسين:

اعلموا أنَّ الناس شجرةُ بغي، وفراشُ نارٍ، وذِبَّان طمعٍ. إنَّ الدنيا لما فُتِحَتْ على أهلها كَلِبُوا[٦] ـ والله ـ أسوأ الكَلَب، حتَّى غدا بعضهم على بعضٍ بالسيوف، واستحلَّ بعضُهم حُرْمَةَ بعض؛ تخانقوا على سَنِخةٍ[٧] كَسَبُوها من حرامٍ، وأنفقوها في كلِّ شرٍّ، وطبَّقوا الأرضَ ظلماً؛

---

(١) صفوان بن سُليم المدني، أبو عبد الله الزهري، ثقة. توفي سنة ١٣٢ هـ.
(سير أعلام النبلاء ٥: ٣٦٤، وخلاصة تذهيب الكمال ١٧٤).

(٢) أبو مسلم الخولاني عبد الله بن ثوب، تابعي، فقيه، عابد، زاهد، نعته الذهبي بريحانة الشام. توفي بدمشق وقبره بداريا. توفي سنة ٦٢ هـ.
(حلية الأولياء ٢: ٢٢، وتاريخ داريا ١٠٣، وتهذيب التهذيب ٢: ٢٣٥، وتذكرة الحفاظ ١: ٤٦، وسير أعلام النبلاء ٤: ٧).

(٣) قوله: «أحمد بن» مستدرك في الهامش.

(٤) هو محمد بن أيوب بن ضُرَيْس.

(٥) في الأصل والمطبوع: «أبو عبيد التاجي»، وفي غريب الحديث للخطابي ٣: ١٠٠: «أبو عبيدة الناجي» كما هو مثبت.

(٦) أي: أصبحوا كالكلاب الضارية. وكلِبَ الكَلْبُ: ضري، وتعوَّد أكل الناس.

(٧) يقال: سنِخَ الدهنُ والطعام وغيرهما سَنَخاً: تغيَّر، والسَّنِخة: المتغيِّرة.

قاتلهم اللَّهُ وهو قاتلهم، اتخذوا عبَادَ الله خَوَلًا[1]، واتخذوا هذا المال دولًا، سبحانَ الله! ما لقيَتْ هذه الأمة من منافقٍ قَهَرهم واستأثر عليهم، ومِن صاحب بِدْعَةٍ خرج عليهم بسيفِهِ؛ صنفان خبيثان قد غمَّا كلَّ مؤمنٍ؛ أعلاج[2] عجمٌ، / وأعرابي لا فِقْهَ له ولا دِينَ، ومنافقٌ مكذِّبٌ، وأميرٌ ١٠٥/ب مترفٌ. نَعَرَ[3] بهم ناعرٌ فخرجوا يسعَوْن معه، فراشُ نارٍ، وذِبَّانُ طمعٍ، يبيعُ أقوامٌ دينهم بثمن غَيْرٍ[4]. من مات مات إلى النار، ومن عاش عاش عيشة سوءٍ، ظَهَرَ الجفَاءُ، وقَلَّ العلماءُ، وذَهَبَ الحياءُ، وفَشَتِ النَّكراءُ؛ «ذَهَبَ الصالحون أسلافاً، وبقي خُشَارةٌ[5] كخُشَارةِ الشَّعيرِ، لا يبالي اللَّهُ عزَّ وجلَّ بهم بالَةً»[6].

أنشدنا أبو سليمان، قال: أنشدنا أبو رجاء الغَنَوِيّ، قال: أنشدني العتبي[7] في قصيدة له يصف فيها قوس[8] بندق:

إنِّي تبــدَّلْتُ بــإخــوانِ الصَّــفــا قوماً يَـرَونَ النُّبْلَ تـطويلَ اللّحى

---

(١) الخَوَلُ: العبيد والخدم.

(٢) العِلْجُ: الرجل من كفَّار العجم، والجمع أعلاج وعلوج. والعلج أيضاً: الرجل الشديد الغليظ.

(٣) نَعَرَ بهم ناعر: صاح بهم صائح؛ والنعير: الصراخ في حرب أو شر.

(٤) كذا في الأصل، ولعلها: «حقير» كما في المطبوع، ومعنى غير: الاسم من التغيير.

(٥) الخشارة: الرديء من كل شيء. ولا يبالي الله بهم بالة: لا يرفع لهم قدراً ولا يقيم لهم وزناً.

(٦) قوله: «ذهب الصالحون. . .لا يبالي الله عزَّ وجلَّ بهم بالة» هو حديث شريف مضى تخريجه في الصفحة ١٨١.

(٧) في الأصل: «أبي العتبي»، وفي المطبوع: «أبي الغنبي». وهو محمد بن عبيد الله العتبي، الإخباري، من بني عتبة بن أبي سفيان. توفي سنة ٢٢٨ هـ. (المعارف ٢٣٤، وطبقات الشعراء ٣١٤، وتاريخ بغداد ٢ : ٣٢٤).

(٨) البندق: كرة في حجم البندقة، يرمى بها في القتال والصيد. وأراد بقوس بندق: القوس الذي ترمى به.

لا علمَ دُنيـا عنـدهُم ولا تُقى غُذُّوا صِغاراً ثم خَلَّوْهم سُدى[1]
بغِـرَّةِ[2] الجَهْـلِ وآدابِ النِّسـا فلو تَـرى شيخَهُمُ إذا احْتَبى[3]
ثم ابْتَدا في وصف شيءٍ أو بدا من رُخْص سعرٍ ومن إفراط غَلا
و[إن][4] رَفَعُوا أصواتَهُمْ بلى ولا حسبْتَهُم ضـأناً تَـداعَتْ بثُغـا[5]
أو سِربَ بطٍّ جاوبَتْ سِـرْبَ قطا فـذلك الـدأبُ إلى وقتِ العِشـا
فـالقلبُ يزدادُ صَـدَى إلى صَـدَا لِـقـربهـم والـعِلمُ يَـزدادُ فَـنَـا
وكلُّهم في العَقْلِ يمشي القَهْقَرا يُـريـدُ قُـدَّامـاً فيجـري من ورا

قال أبو سليمان: قال بعض الناس: إنِّي لا أشبِّه أهل هذا الزمان إذا
١٠٦/أ رأيتهم قد تلاقَوا في المحافل، وتدانَوا في المجالس، وتحالَّتْ[6] / بهم الرُّكْبُ، إلَّا بقومٍ تصافُّوا مستعدين لمحاربة أعدائهم، وتضافروا متأهبين لمناصبة أقرانهم، فشهدوا مركزَ اللقاء بسيوفٍ مشهورة، وأسنَّة مطروزةٍ، وقِسي موتَّرَةٍ[7]، وسهام مفوَّقةٍ[8]؛ فتطاعنوا ضرباً بسيوفهم، ودَعْساً[9] برماحهم؛ وتراشقوا خَصْلاً[10] سهامهم، حتى انفلَّتْ سيوفهم، وكلَّتْ أيديهم، ونُثِلَتْ كنائنهم[11] عن آخر أهزَع؛ فأَجْلَتْ[12] المعركة بينهم عن

(١) السُّدى، بالضم والفتح: المهمل، الواحد والجمع فيه سواء.
(٢) الغِرَّة: غفلة في اليقظة.
(٣) احتبى: جلس على أَلْيَتيه وضمَّ فخذيه وساقيه إلى بطنه بذراعيه ليستند.
(٤) في الأصل والمطبوع: «ورفعوا».
(٥) الثغاء: صوت الغنم.
(٦) تحالَّت: نزلَتْ.
(٧) وَتَر القوس، ووتَّرها: شدَّ وترها.
(٨) الفوق من السهم: موضع الوتر. وسهام مفوَّقة: أي وضعت في الوَتَر ليرمى بها.
(٩) دعساً: طعناً، من قولهم: دعَسَه بالرمح يدعَسُه دعساً، إذا طعنه.
(١٠) خَصَل السهمُ خصلاً: وقع بِلِزْقِ الهدف.
(١١) كنائنهم: جمع كِنانة، وهي جعبة السهام تتخذ من أدم. ونُثِلت كنائنهم: أي استخرجت الكنانة ما فيها من السهام. والأهزَعُ: السهم الذي يبقى في أسفل الكنانة.
(١٢) كذا في الأصل، ولعلها: «فانجلت».

قتيلٍ تشخُبُ أوداجُهُ، وجريحٍ يَفِيحُ[1] عانِدُه، ومُرْتَثٍّ[2] لا نهوضَ به، ومُثْخَنٍ يَنُوء على ضِلعِه.

فذلك الوجهُ والمثالُ فيما شبَّهْتُه لك من صنيع أهل هذا الزمان إذا ضمَّتْهم المجالسُ، ولفَّتْهُم الملاقي والمجامعُ؛ فتصوَّر الآن قلوبَهم، وما تَجُنُّه ضمائرُهم من الغِلِّ والحسد، وما تحنِي عليه ضلوعُهم من الإِحَنِ والضغائنِ قِسيّاً موتَّرَةً، وألسنتُهُم وما يَرْمُون به من القول سهاماً مفوَّقَةً. نصبوا لها أعراضَ الناس أغراضاً، وافترضوا بها افتراضاً؛ فهم إذا تأمَّلْتَهم وجدْتَهم على طبقاتٍ شتى؛ منهم ذو[3] القُحَّةِ الذي يكاشف بالشَّتم الصريح مكاشفةً، ويُجاهر باللفظ القبيح مجاهرةً ومُعالنة[4]؛ ومنهم من يُعرِّض بالأذى ويَكنِي ويمرِّض[5] القول به / ويورِّي؛ ومنهم من يؤذي ١٠٦/ب
صاحبه بالمُسَارَّةِ[6] والنَّجْوَى والمباثَّةِ والشكوى؛ ومنهم من يشجو أخاه بغمز العينين، وزَيِّ الجبين[7]، ورمز[8] الشفتين، وكَرْفِ العِرْنين[9].

---

(١) فاح الدم: انصب. والعاند: الجرح الذي يسيل ولا يجف، أو الذي يسيل منه الدم بعيدا عن صاحبه؛ من قولهم عند الجرح: سال دمه ولم يجف، أو سال دمه بعيداً عنه.

(٢) المُرْتَثّ: الصريع الذي يثخن في الحرب ويحمل وبه رمق ثم يموت.

(٣) حتى قوله: «مكاشفة» مستدرك في الهامش.
والقُحّ: الخالص من اللؤم، والجافي من الناس. وذو القحة: قليل الحياء.

(٤) المعالنة: المجاهرة أيضاً.

(٥) يمرِّض القول: يوهنه.

(٦) سارَّه مُسارَّة وسِراراً: أعلمه بسره.

(٧) الجبين ما فوق الصُّدغ عن يمين الجبهة، أو شمالها. وهما جبينان. والزي: من زوى الشيء يزويه زيًّا: جمعه وقبضه.

(٨) الرمز: الإشارة والإيماء بالشفتين.

(٩) عرنين الأنف: تحت مجتمع الحاجبين، وهو أول الأنف حيث يكون فيه الشمم؛ يقال: شم العرانين. والعرنين: الأنف كله. وكَرَف الشيء: شمَّه؛ وكَرَف الحمارُ، إذا شمَّ بول الأتان ثم رفع رأسه وقلب شفته.

وأسلمهم جانباً مَنْ لا يعاجل بالسُّوء معاجلةً، ولا يؤاخذ بالذَّنْب بغتةً؛ لكن يحصي الأنفاسَ، ويعُدُّ الحروفَ والألفاظ، ويحفظُها ليوم حاجته، وأوان فرصته، فيبكِّت بها، ويعيِّر ويطنبُ فيها، أو يقصِّرُ على شاكلة قول الشاعر في مثله:

احذرْ مودَّة ماذقٍ[1] شابَ المرارةَ بالحلاوَهْ
يُحصي العيوبَ عليك أيَّا م الصَّداقةِ للعداوَهْ[2]

قال أبو سليمان: قال عبد الله بن المعتز: إخوانُ السّوء ينصرفون عند النَّكْبَةِ، ويُقْبِلون مع النِّعمة؛ ومن شأنهم التوسُّلُ بالإخلاص والمحبَّة، إلى أن يظفروا بالأنس والثقة؛ ثم يوكِّلون الأعينَ بالأفعال، والأسماعَ بالأقوال[3]؛ فإن رأوا خيراً أو نالوه لم يذكروه ولم يشكروه، وعلِموا على أنَّهم خدعوا صاحبهم عنه وقَمَرُوه[4]؛ وإن رؤوا شرّاً أو ظنّوه أذاعوه ونَشَروه. فإنْ أدَمْتَ مواصلتَهُم فهم الداء[5] المماطلُ المخوفُ على
١٠٧/أ المقاتل؛ وإن استرحْتَ إلى / مصارمتهم ادَّعَوا الخِبْرَةَ بكَ لِطُول الصُّحْبةِ والعِشرة، فكان حديثُهُم مصدَّقاً، وباطلهم محقَّقاً.

* * *

(١) المماذقة في الود: ضد المخالصة. ومذق الودَّ: لم يخلصه. والمذق: المزج والخلط.

(٢) البيتان في رسالة «الصداقة والصديق» للتوحيدي ص ١٠٦، ومحاضرات الراغب الأصبهاني ٢: ٩ دون نسبة. ورواية البيت الأول في المحاضرات: «احذر أخوة كل من...».

(٣) في الأصل: «بأقوال».

(٤) قمروه: غلبوه. وهي من قَمَرَ فلاناً، إذا فضله في مفاخرة أو مباراة، أو غلبه في لعب القمار.

(٥) في الأصل: «فهم بالداء».

بـــاب فيمن تمنَّى الموت
وآثر المرض والعمى على لقاء الناس

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثونا عن الخلادي، قال: حدثنا عبد الله ابن صَقْر، قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم الدَّوْرَقِيّ، قال: حدثنا أبو محمد ابن أبي القراقص الكِنديّ، قال: قال الفضلُ رحمةُ الله عليه: إني لأتمنَّى المرَض. قلتُ له: لِمَ ذلك؟ قال: لئلا أرى الناسَ.

قال أبو سليمان: وأخبرني بعضُ أصحابنا، عن ابن المرزبان، قال: حدثني محمد بن إسحاق المدينيّ، قال: حدثني سليمان بن أبي شيخٍ، قال: حدثني أبو السعـد الحارِثيّ، قال: أتيتُ عَوَانة بعدما كُفَّ بصرُه، فسلَّمْتُ عليه وسألت به[1]، ثم قلت: إنَّ الله سبحانه وتعالى لم يسلُبْ عبداً شيئاً إلا عَوَّضَه مكانَه شيئاً هو خيرٌ منه، فما الذي عوَّضك من بَصَرِكَ؟ قال: الطويل العريض يا بغيض. فقلت: ما هو؟ قال: ألَّا أراك ولا يقعَ بصري عليك.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني بشَّار بن يعقوب، عن أحمد بن جنح، قال: لما كُفَّ بَصَرُه[2] وانتقل / إلى قريته بغور ساران، قصده رجل من ١٠٧/ب
أهل الملتان[3] كحّالٌ حاذقٌ بصيرٌ بالقَدْح[4]، فلما ورد عليه أَمَرَ بإنزاله

(١) كذا في الأصل، ولعله أراد: «وسألت عنه».

(٢) أي أحمد بن جنح.

(٣) المُلْتَان: مدينة من نواحي الهند قرب غزنة، أهلها مسلمون منذ قديم. (ياقوت).

(٤) يقال: قَدَحْتُ العينَ، إذا أخرجت منها الماء الفاسد. (اللسان).

وحُسْن تعهُّده؛ فكان الرجلُ يغدو عليه ويَرُوح، وجعل يُهَوِّن عليه الأمر في معالجتِهِ، ويمنّيهِ رجوعَ بَصَره في مدةٍ سريعةٍ. فكان أحمد يُدافِعُه الوقتَ بعد الوقت إلى أنْ ضجر الرجلُ بطولِ المُقَام، وملَّ الثَّواء عنده.

قال: فحضرني[1] وطلب إليَّ أن استأذنَ له في الانصراف، فدخلتُ عليه، وعرَّفْتُه قصَّةَ الرجلِ، وأشرتُ عليه بالإقبال على العلاج، وهوَّنت عليه الأمر في ذلك. فقال لي: يا أبا سليمان، أتشير عليَّ بأن أحتملَ هذا الألمَ، وأن أُغَرَّرَ بجمال هذه المقلة الباقية، ولستُ على يقين من السَّلامة؟ وهَبْ أنَّ العلاج قد نَجَعَ ووقَعَ موقعَه، وعاد البصرُ إلى ما كان عليه من القوَّةِ؛ فقل لي إذا فتحتُ عيني وأبصرْتُ بها، أنظرُ إلى مَنْ من إخواني وأصدقائي وقد هلكوا؟ ألا واللَّه إنَّ الزمان الذي أنا فيه، والناسَ الذين أنا بين ظهرانيهم، لقومٌ لو كنتُ بصيراً صحيحَ البصر لكان من الواجب عليَّ أن أتعامى عليهم، فأغُضَّ بصري عن النظر إليهم. قل لهذا الإنسان
١٠٨/أ ينصرف في حفظ الله / عزَّ وجلَّ، وأمَرَ بتجهيزه. فانصرفْتُ ودفعْتُ كِسوةً ونفقةً، وجهَّزته فانصرَفَ.

* * *

(١) لعله أراد المصنف نفسه كما يفهم من سياق الحديث بعد.

بــاب في ترك الاعتداد بعوام الناس وقلة الاكتراث بهم والتحاشي لهم

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني ابن أبي الدِّق، قال: حدثنا [ذلك سودن][1]، قال: حدثنا جعفر بن سنيد، عن أبيـه، عن الحجاج بن محمد، عن عُقْبَةَ بن سِنان، قال: قال أكثمُ بن صَيْفِيّ: رضا النَّاسِ غايةٌ لا تُدْرَكُ، ولا تكره سَخَطَ مَنْ رِضاه الجَوْرُ.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني محمد بن الحسين بن عاصم، قال: أخبرني محمد بن الرَّبيع بن سليمانِ وابنُ جَوْصا[2]، قالا: سمعنا يونُسَ بن عبد الأعلى، يقول: قال لي الشَّافعي رحمة الله عليه: يا أبا موسى، رضا النَّاس غايةٌ لا تدرَكُ، ليس إلى السَّلامة مِنَ الناس سبيلٌ؛ فانظر ما فيه صلاحُ نفسِكَ فالْزَمْهُ، ودَع النَّاسَ وما هم فيه[3].

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني إسماعيلُ بن محمد، قال: حدثنا

---

(١) هذه العبارة رسمت هكذا في هامش الأصل، وهي غير واضحة.

(٢) هو أحمد بن عمير بن يوسف بن موسى بن جَوْصا، أبو الحسن، محدّث الشام. توفي سنة ٣٢٠ هـ.

(تذكرة الحفاظ ٣: ٧٩٥، وسير أعلام النبلاء ١٥: ١٥، وتهذيب ابن عساكر ١: ٤٢٠).

(٣) في مناقب الشافعي للبيهقي ٢: ١٧٣: «يا أبا موسى، لو جهدت كل الجهد على أن ترضي الناس كلهم فلا سبيل إليه، فإذا كان كذلك فأخلص عملك ونيتك لله عز وجل».

إسحاق بن إبراهيمَ الدَّبَرِيُّ، قال: سمعنا أبا داود المصاحِفِيَّ البَلْخِيَّ، يقول: سمعت النَّضْرَ بنَ شُمَيْل[1] يقول: كتب إليَّ الخليلُ: أَنْ دَعِ النَّاسَ واشمئِزَازَهُم؛ إذا عَرَفْتَ الحقَّ فالزَمْ.

أنشدنا أبو سليمان، قال: أنشدني الحسنُ بنُ عبد الرحيم، قال: أنشدنا ابنُ الأنباري[2]، قال: أنشدنا أبو العبَّاس[3]:

١٠٨/ب /دَعِ النَّاسَ ما شاؤوا يقولوا[4] فإنني لأكثر ما يحكى عليَّ حمولُ[5]
فما كُلُّ من أغضبْتُهُ أنا مُعْتِبٌ ولا كلُّ ما يُروى عليَّ أقُولُ

أنشدنا أبو سليمان، قال: أنشدني أبو عمر، قال: أنشدني أحمدُ بن يحيى[6]، عن ابن الأعرابي[7]:

---

(١) هو النَّضْر بن شميل بن خرشة المازني التميمي، أبو الحسن النحوي. أحد الأعلام بمعرفة أيام العرب ورواية الحديث وفقه اللغة. أخذ عن الخليل بن أحمد، وأقام بالبادية زمناً طويلاً فأخذ عن فصحاء العرب، توفي سنة ٢٠٣ هـ.
انظر وفيات الأعيان ٥: ٣٩٧، ونزهة الألباء ١١٠، وطبقات النحويين للزبيدي ٥٣، ومعجم الأدباء ١٩: ٢٣٨، وسير أعلام النبلاء ٩: ٣٢٨.

(٢) هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر بن الأنباري، من أعلم أهل زمانه بالأدب واللغة، ومن أكثر الناس حفظاً للشعر والأخبار. أخذ عن أبي العباس ثعلب، توفي سنة ٣٢٨ هـ.
انظر: وفيات الأعيان ١: ٥٠٣، وبغية الوعاة ٩١، ومعجم الأدباء ١٩: ٣٠٦، وسير أعلام النبلاء ١٥: ٢٧٤.

(٣) هو أبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب، إمام الكوفيين في النحو واللغة.

(٤) في الأصل: «يقول».

(٥) البيت بتمامه مثبت في الهامش وبخط مختلف.

(٦) هو أبو العباس ثعلب الذي سبقت ترجمته.

(٧) هو محمد بن زياد، المعروف بابن الأعرابي، أبو عبد الله. راوية، علامة باللغة، من أهل الكوفة، توفي سنة ٢٣١ هـ.
انظر: وفيات الأعيان ٤: ٣٠٦، وتاريخ بغداد ٥: ٢٨٢، ونزهة الألباء ٢٠٧، ومعجم الأدباء ١٨: ١٨٩، وسير أعلام النبلاء ١٠: ٦٨٧.

أوَكُلَّمـا طَنَّ الـذُّبـابُ زجـرْتُـهُ   إنَّ الـذُّبـابَ إذاً عـليَّ كـريـمُ

أخبرنا الشيخ أبو سليمان، قال: حدثنا محمد بن هاشم، قال: حدثنا الدَّبَرِيُّ، عن عبد الرزَّاق، عن مَعْمَر، عن أيّوب، عن ابن سيرين، عن عَبِيدَة[1]، قال: سمعْتُ علياً رضي الله عنه يخطب، فقال: «اللهم إني قد سئمتهم وسئموني، ومللتهم وملّوني؛ فأرحني منهم وأرحهم منّي، ما يمنعُ أشقاكم أن يخضبَها بدمٍ. ووضَعَ يَدَهُ على لحيته».

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني محمد بن علي، قال: حدثنا ابن دُرَيْد، قال: حدثنا أبو حاتم، عن أبي عُبَيْدة، قال: قال ابنُ عبَّاس لعمرَ ابن الخطاب رضي الله عنه: «أكثَرْتَ من الدُّعاء بالموْتِ حتَّى خَشِيتُ أن يكونَ ذلك أسهلَ لك عند أوان نُزُوله، فماذا[2] مَلِلْتَ من أُمَّتِكَ؟ إمَّا تُعينُ صالحاً أو تقوِّم فاسداً. قال: ابنَ عباس! إنِّي قائلٌ لك قولاً وهو إليك[3]. قال: قلت: لن يَعْدُوَني. قال: كيف لا أحِبُّ فِراقَهم وفيهم ناسٌ كلّهم فاتحٌ فاه[4] لِلُهْوَةٍ مِن الدُّنيا؛ إمَّا بحَقٍّ لا يَنُوء به، أو بباطلٍ لا يَنَالُه، / ولولا أنْ أُسْأَلَ عنكم لَهَرَبْت منكم، فأصبح[5] الأرضُ مِنِّي بلاقِعَ[6]. ١٠٩/أ

---

(١) هو عَبيدة بن عمرو السَّلماني الكوفي، ثبت في الحديث، مات سنة ٧٢ هـ.
انظر سير أعلام النبلاء ٤: ٤٠، وخلاصة تذهيب الكمال ٢٥٦.

(٢) في الأصل: «فما ذي» وأثبت ما جاء في غريب الحديث للخطابي ٢: ١١٠.

(٣) وهو إليك: يريد وهو سِرٌّ أفضي به إليك، أو أمانة ألقيها، أو نحو هذا من الكلام؛ وفيه إضمار واختصار. (انظر: غريب الحديث للخطابي ٢: ١١٠).

(٤) كلهم فاتح فاه: يريد كلُّ واحد منهم فاتح فاه، كقول الشاعر:

فـكـلُّهـم لا بـارك الله فـيـهـم   إذا جـاء ألقى خـدَّه فتسمَّعـا

واللُّهوة: العطيَّة، وتجمع على اللُّهى، قال الشاعر:

أتيتك إذا لم يبق في الناس سيِّدٌ   ولا جابرٌ يعطي اللُّهى والرَّغـائبا

(انظر: غريب الحديث للخطابي ٢: ١١٠).

(٥) كذا في الأصل على إرادة المكان، وفي غريب الحديث للخطابي: «فأصبحت».

(٦) البلاقع: جمع بلقع وبلقعة، وهي الأرض القفر التي لا شيء بها. وأرض بلاقع: =

فمضَيتُ لشأني وما قُلْتُ: ما فَعَلَ الغالِبُون».

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا محمد بن هاشم، قال: حدثنا الدَّبَرِيُّ، قال: حدثنا عبد الرزَّاق، عن مَعْمَر، عن الزُّهري، عن ابن المسيِّب، قال: لمَّا نزل عمر رضي الله تعالى عنه بالبطحاء جمع كُومَةً من بطحائهم بَسَطَ عليها رداءَهُ، ثم اضطجع ورفَعَ يديه، فقال: اللّهم كبِرَتْ سنِّي، ودقَّ عظمي، وضعُفَتْ قوَّتي، وخشيتُ الانتشارَ من رعيتي؛ فاقبضني إليكَ غيرَ عاجزٍ ولا مضيِّع. قال: ثم قدم المدينةَ فما انسلَخَ الشَّهرُ حتى ماتَ[1].

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا الصَّفَّار أبو علي، قال: حدثنا عبد الله بن أيوب المُخَرِّميّ، حدثنا[2] علي بن عاصم، عن يزيد بن أبي زياد، عن زيد بن وَهْب الجُهَنِيّ، عن عبد الله بن مَسْعُودٍ، قال: ذهَبَ صفوُ الدُّنيا فلم يَبْقَ إلَّا الكدَرُ، فالموتُ[3] اليومَ تُحْفَةٌ لكلِّ مُسْلمٍ.

= جمعوا لأنهم جعلوا كل جزء منها بَلْقَعاً.

وفي الحديث: فأصبحت الأرض مني بلاقع؛ قال ابن الأثير: وصفها بالجميع مبالغة، كقولهم: أرض سباسب وثوب أخلاق. (اللسان).

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١: ٥٤ عن يحيى بن سعيد الأنصاري أنه سمع سعيد بن المسيب يذكر أن عمر بن الخطاب كوم كومة من بطحاء، ثم ألقى عليها طرف ثوبه، ثم استلقى عليها فرفع يديه إلى السماء، ثم قال: اللهم كبرت سني، وضعفت قوتي، وانتشرت رعيتي، فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفرط.

(٢) في الأصل: «وحدثنا». وعلي بن عاصم بن صهيب التيمي توفي سنة ٢٠١ هـ.، وحدث عنه عبد الله بن أيوب المخرِّمي. (سير أعلام النبلاء ٩: ٢٤٩).

(٣) في اللسان: «وفي الحديث: تحفة المؤمنِ الموتُ، أي ما يُصيب المؤمن في الدنيا من الأذى، وما له عند الله من الخير الذي لا يصل إليه إلا بالموت. وأنشد ابن الأثير:

قد قُلْتُ إذ مدحوا الحياة وأسرفوا ... في الموت ألف فضيلة لا تعرف
منهـا أمـانُ عـذابِـهِ بلقـائـه ... وفِراق كـلِّ معـاشـرٍ لا يُنصف

ويشبه الحديث الآخر: «الموت راحة المؤمن».

حدثنا أبو سليمان، قال: حدثنا ابنُ هاشم، قال: حدثنا الدَّبَرِيُّ، عن عبد الرزَّاق، عن مَعْمَر، عن يَحيى بن أبي كثير، قال: دخلْتُ على أبي سَلَمة بن عبد[1] الرحمن وهو مريضٌ فقال: إن استطعْتَ أنْ تموتَ فمُتْ، فواللَّهِ ليأتيَنَّ على النَّاسِ زمانٌ يكونُ الموتُ أحبَّ إلى أحدهم من الذهب الأحمر.

/ أخبرنا أبو سليمان، قال: وأخبرنا الصَّفَّار، قال: سمعت عبد الله ابن أيوب، قال: سمعت أبا بدرٍ شُجاعَ بنَ الوليد، يقول: قال طاوس: لا تُحرِزُ[2] دينَ المرء إلا حُفْرتُهُ. ١٠٩/ب

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني إسماعيل بن محمد، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، قال: حدثني رَبيعةُ بن زُهَيْرٍ، قال: قيل للثوري: لِمَ تتمنَّى الموت وقد نَهى[3] رسول الله ﷺ [عنه][4]؟ فقال سفيان: لو سألَني ربِّي عزَّ وجلَّ لَقُلْتُ: يا ربِّ، لِثقتي بكَ وخوفي من النَّاسِ، وقال: لأنِّي لو خالفْتُ واحداً في رمَّانةٍ فقلتُ حلوة، وقال مُزَّة[5]، لخِفْتُ أن يُشَاطَ[6] دمي.

---

(١) في الأصل: «عبيد». وهو أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، أحد الأعلام بالمدينة. كان ثقة فقيهاً. توفي سنة ٩٤ هـ وقيل ١٠٤ هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ٤: ٢٨٧، وخلاصة تذهيب الكمال ٤٥١.

(٢) تحرز: تحفظ.

(٣) في صحيح مسلم «كتاب الذكر» عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «لا يتمنينَّ أحدكم الموت لضُرٍّ نزل به، فإن كان لا بُدَّ متمنّياً فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي».
وهناك أحاديث أخر في هذا الباب.

(٤) زيادة يقتضيها السياق.

(٥) المُزُّ من الرُّمّان: ما كان طعمه بين حموضة وحلاوة. والمُزُّ من الشراب وغيره: بين الحامض والحلو.

(٦) يشاط: يهدر. وأشاط الأمير دمَ الرجل، إذا أهدره. =

أنشدنا أبو سليمان قال: أنشدني بعض أصحابنا لمنصور بن إسماعيل[1]:

قَدْ قُلْتُ إذ مَدَحوا الحياةَ فأَكْثَرُوا ... في الموتِ ألفُ فضيلةٍ لا تُعْرَفُ

منها أَمَانُ لقائِهِ بلِقائِهِ ... وفِرَاقُ كلِّ مُعَاشِرٍ لا يُنْصِفُ

قال أبو سليمان: وأنشدونا أيضاً له[2]:

لولا بَنَاتِي وسيِّئاتي ... لَذبت شَوْقاً إلى المَمَاتِ

لأنني في جِوارِ قَوْمٍ ... بَغَّضَنِي قُرْبُهُم حَيَاتي

قال أبو سليمان: قال الجاحظ: قد أبدعَ العبَّاسُ بن الأَحْنَف[3] في قوله ولم يسبق إليه، يعني قوله:

يَبْكِي رِجالٌ على الحياةِ وقَدْ ... أَفْنَى دُمُوعي شَوْقِي إلى الأَجَلِ

١١٠/أ /أموتُ من قبل أن يغيِّرني الدَّهْـ ... ـرُ فإنِّي منهُ على وَجَلِ

قال أبو سليمان: قال ابنُ الأعرابي: قال شيخٌ من الأعراب: إنِّي لَمتيسِّرٌ للموت، لا بنينَ ولا بنات، شيخٌ كبيرٌ، وربٌّ غفورٌ.

= وجاء في رسالة «الصداقة والصديق» للتوحيدي ص ٣٦٨، عن سفيان بن عيينة، قال: «صحبت الناس خمسين سنة ما ستر لي أحدٌ عَوْرة، ولا ردّ عني عَيْبة، ولا عفا لي عن مَظْلَمة، ولا قطعته فوصلني؛ وأخَصُّ إخواني لو خالفته في رمَّانةٍ، فقلت: هي حامضة، وقال: هي حلوة، لسعى بي حتى يشيط دمي».

(١) البيتان في معجم الأدباء ١٩: ١٨٩.

(٢) البيتان في معجم الأدباء ١٩: ١٨٧ وفيه: «لطرت شوقاً».

(٣) العباس بن الأحنف بن الأسود الحنفي اليمامي، أبو الفضل. شاعر غزل رقيق. توفي ببغداد سنة ١٩٢ هـ.

(الشعر والشعراء ٨٢٧، والأغاني ٨: ٣٥٢، ووفيات الأعيان ١: ٣٠٧).

والبيتان في ديوانه طبعة صادر ص ٢٤٩ برواية: «إلى أجلي»، و«من قبل أن يغيرك».

قال: أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا الحسن بن عبد الرحيم، قال: حدثنا محمد بن الحسين اللَّخميّ، عن إبراهيم بن عبد الله بن خالد، قال: حدثنا حجاجُ(١)، عن ابن جُرَيْج، عن عَطَاءٍ: أنَّه كان يستخِفُّ بالغَوْغاء ويُشْلي(٢) الناس بهم.

قال أبو سليمان: يُريدُ به الجُهَّالَ وأَهْلَ الدَّناءَةِ وقِلَّةَ المروءَةِ.

تفسيـــر الغوغـــاء:

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني أبو رَجَاء الغَنَوِيّ، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا عمرُ بن شَبَّةَ، قال: قال الأصمعيُّ: الغَوْغاءُ: الجَرادُ إذا ماجَ بعضُهُ في بعضٍ. قال: وبه سُمِّي الغَوْغاءُ من الناس.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني محمد بن الحسين بن عاصم، قال: حدثنا أبو جعفر الطَّحَاوِيُّ، قال: حدثنا أحمد بن محمد الخُوَارزمِيّ، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بنُ عائشةَ، عن أبي عاصم النَّبيل(٣): أنَّ رجلاً أتاهُ؛ فقال: إنَّ امرأتي قالت لي يا غوغاءُ، قال: فقلت لها: إنْ كنتُ غوغاءَ فأنت طالقٌ ثلاثاً. فقال له أبو عاصم: هـل أنتَ ممَّن يحضُرُ المناطَحَةَ بالكِباش والمناقَرَةَ بالدُّيُوكِ؟ فقال: لا، فقال له: فهل أَنْتَ الرَّجلُ يحضُر يومَ / يَعرِضُ السُّلطانُ أَهْلَ السُّجون، فيقول: فلانٌ أَجْلَدُ من فلانٍ؟ ١١٠/ب
فقال: لا، فقال: هَلْ أَنْتَ الرَّجلُ الذي إذا خَرَجَ الأميرُ يومَ الجمعة جلسْتَ له على ظَهْرِ الطريق حتَّى يَمُرَّ، ثم تقيم بمكانك حتَّى يصلِّي وينصرفَ؟

---

(١) هو حجاج بن محمد الأعور. وثقه ابن المديني. توفي سنة ١٨٦ هـ. (خلاصة تذهيب الكمال ٧٣).

(٢) يُشلي الناس: يغريهم، يقال: أشلى الكلب على الصيد: أغراه.

(٣) هو الضحَّاك بن مَخْلَد بن الضحَّاك بن مسلم الشيباني، أبو عاصم النبيل البصري. شيخ حفاظ الحديث في عصره. توفي سنة ٢١٢ هـ. (تهذيب التهذيب ٤: ٤٥٠، وسير أعلام النبلاء ٩: ٤٨٠، وخلاصة تذهيب الكمال ١٧٧).

فقال: لا، فقال له أبو عاصم: لسْتَ بغوغاءَ، إنَّما الغَوْغاءُ مَنْ يفعلُ هذا.

قال أحمد بن حنبل: الغَوْغَاءُ أَهْلُ البِدع.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني أحمد بن إبراهيم بن مالك، قال: حدثنا عبد الملك البَغَويّ، قال: حدثنا علي بن حَرْب، قال: حدثنا زيد ابن أبي الزَّرْقاء[1]، قال: أخبرني خالد بن يزيد، قال: سمعت وُهَيْب بن الوَرْد، يقول: كان عمر بن عبد العزيز كثيراً ما يتمثَّلُ بهذه الأبيات[2]:

يُرَى مُسْتَكِيناً وَهْوَ لِلَّهْوِ ماقِتُ ... له عن حَديثِ القَوْمِ ما هُوَ شاغِلُهْ
عَبُوسٌ إلى الجُهَّالِ [3]حينَ يَراهُمُ ... فليْسَ له منهم خَدِينٌ[4] يُهازِلُهْ
وأزعجَهُ عِلْمٌ عن الجَهْلِ كُلِّهِ ... وَمَا عالِمٌ شيئاً كَمَنْ هُوَ جاهِلُهْ
تَذَكَّرَ ما يَبْقَى مِنَ العيشِ آجِلاً ... وأشغلَهُ عن عاجلِ العيشِ آجِلُهْ

وقيل لبعض الحكماء: إنَّ[5] العامَّةَ يُثْنُون عليكَ، فأَظْهَرَ الوَحْشَةَ من ذلك، وقال: لعلَّهم رؤوا مني شيئاً أعجبَهم، ولا خيرَ في شيء يَسُرُّهم ويُعجِبُهم.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني الحسنُ بنُ عبد الرحيم، قال: حدثنا إسحاق بنُ إبراهيم، قال: حدثنا ابنُ أخي الأصمعي، قال: حدثنا عمي /، عن حمَّاد بن سلمة أو غيرِهِ من الفقهاء، قال: مدح رجلٌ علياً ١١١/أ

---

(١) هو زيد بن أبي الزرقاء، يزيد الموصلي، أبو محمد الزاهد. قال ابن معين: ليس به بأس. مات سنة ١٩٤ هـ.
(خلاصة تذهيب الكمال ١٢٨).

(٢) الأبيات في حلية الأولياء لأبي نعيم ٥: ٣١٨، وسير أعلام النبلاء (ترجمة عمر بن عبد العزيز) ٥: ١٣٨.

(٣) من هنا إلى قوله: «وأزعجه» مستدرك في الهامش.

(٤) الخدين: الصديق، ومنه قوله تعالى: ﴿ولا متخذاتِ أخدانٍ﴾.

(٥) في الأصل: «وإن».

رضي الله عنه في وجهه، فقال وهو يتَّهِمُه: أنا دونَ ما قُلْتَ وفوقَ ما في نفسك.

قال أبو سليمان: فالواجبُ على العاقل ألَّا يغترَّ بكلام العوام وثنائهم وألَّا يثقَ بعهد ودِّهم وإخائهم؛ فإنَّهم[1] يُقْبِلون مع الطمع، ويُدْبِرون مع الغِنى، ويَطيرون مع كل ناعقٍ. وكان الحَسَنُ رحمة الله عليه يَقولُ إذا رآهم: هؤلاء قتلَةُ الأنبياء. وكان بعضهُم يقولُ إذا رآهم: قاتلهم اللَّه، هذه الوجوه التي لا تُرَى إلا في الشَّرِّ. وكان آخرُ منهم يقول في العامَّةِ: إنَّهم إذا اجتمعوا غَلَبوا، وإذا تفرَّقوا لم يُعْرَفوا. وقال آخَرُ: إذا اجتمَعُوا أضرُّوا، وإذا تفرَّقوا نفعوا[2]؛ يريد أنَّهم إذا تفرَّقوا رجَعَ كلُّ واحدٍ مِنهم إلى صناعته فيخرز[3] الإسكافُ، ويَخْصِفُ الحذَّاء، وينسُجُ الحائكُ، ويَخيطُ الخيَّاط؛ فينتفعُ بهم الناسُ[4].

أنشدنا أبو سليمان، قال: أنشدني محمد بن الحسين الآبُرِيُّ لمنصور بن إسماعيل:

اسمَعْ فهذا الكلامُ واللَّه ما فيه عِلَّه
أقلُّ من كلِّ شيءٍ مَنْ لا يَرَى الناسَ قِلَّه

---

(١) في الأصل: «وإنهم».

(٢) في الأصل هنا زيادة مكررة وهي: «يريد إذا تفرقوا نفعوا».

(٣) الخرز في الجلد: كالخياطة في الثياب. والخصف في الحذاء: مثل الترقيع في الثوب. وفي الحديث: «أنه ﷺ كان يخصف نعله». والحذَّاء: صانع الأحذية.

(٤) وجاء في العقد الفريد ٢: ١٣٣ في معرض تفسير الغوغاء: «وذكر الغوغاء عند عبد الله بن عباس، فقال: ما اجتمعوا قط إلا ضرُّوا، ولا افترقوا إلا نفعوا. قيل له: قد علمنا ما ضرّ اجتماعهم، فما نفع افتراقهم؟ قال: يذهب الحجَّام إلى دكانه، والحدَّاد إلى أكياره، وكل صانع إلى صناعته.

ونظر عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى قوم يتبعون رجلًا أُخذ في ريبةٍ فقال: لا مرحباً بهذه الوجوه التي لا تُرى إلا في شر».

١١١/ب قال: أنشدني ابنُ مالك، قال: أنشدنا أبو خليفة، قال[١] / : أنشدنا ابن عائِشةَ[٢]:

بَرِمْتُ بالنَّاس وأخلاقهم ... فصِرْتُ استأنِسُ بالوحدةِ
ما أكثَرَ النَّاسَ لَعَمري وما ... أَقَلَّهم في مُنْتَقى العِدَّةِ

وأنشدني بعضُهم[٣]:

ما أكثرَ النَّاسَ لا بَلْ ما أقلَّهُمُ ... اللَّهُ يَعْلَمُ أنِّي لَمْ أَقُلْ فَنَدا[٤]
إنِّي لأفْتَحُ عَيْنِي حِينَ أفتحُها ... على كثيرٍ ولكنْ لا أرَى أَحَدا

قال أبو سليمان: وأنشدني ابن مالك، قال: أنشدني الدَّغُولِيّ[٥] في سياسة العامَّة:

إذا أَمِنَ الجُهَّالُ جَهْلَكَ مَرَّةً ... فَعِرْضُكَ للجهَّال غُنْمٌ مِنَ الغُنْمِ
وإنْ أَنْتَ نازَيْتَ السَّفِيهَ إذا نَزَا[٦] ... فأَنْتَ سفِيهٌ مثله غيرُ ذي حِلْمِ
ولا تتعرَّضْ للسَّفِيهِ ودارِهِ ... بمنزلةٍ بين العَداوةِ والسِّلْمِ

---

(١) لفظة: «قال» مكررة.

(٢) البيتان لأبي العتاهية في ديوانه ص ١٣٣ ـ ١٣٤ بتحقيق الدكتور شكري فيصل، وهما في الأغاني (دار الكتب) في موضعين:
الأول: ٤ : ٣٧ برواية: «في حاصل العِده»، قالهما حين شاور رجل أبا العتاهية فيما ينقشه على خاتمه، فقال: انقُش عليه «لعنة الله على الناس»؛ وأنشد البيتين.
والثاني: ٤ : ١٠٥ ـ ١٠٦ برواية: «في منتهى العده»؛ عن ابن أبي العتاهية، قال: إن الرشيد لمَّا أطلق أباه من الحبس، لزم بيته وقطع الناس، فذكره الرشيد فعرف خبره، فقال: قولوا له: صرت زير نساء وحِلْس بيت، فكتب إليه أبو العتاهية: برمت بالناس.. البيتين، وأرفقهما بأربعة أبيات مدحه فيها.

(٣) البيتان لدعبل بن علي الخزاعي، وهما في ديوانه الطبعة الثانية ص ١٢١، وفيه مصادر تخريجهما.

(٤) الفَنَد: الخطأ في الرأي والقول. وأفنده: خطَّأ رأيه.

(٥) هو محمد بن عبد الرحمن، أبو العباس الدغولي.

(٦) نزا عليه ينزو: وثب عليه وأراد به الشر. ونزا به الشرُّ: ثار وتحرَّك.

فيخشَاكَ تـاراتٍ ويـرجُـوكَ مَـرَّةً   وتـأخُذُ فيمـا بينَ ذلك بـالحَزْمِ

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثني محمد بن منصور، قال: حدثنا شكَّر، قال: حدثنا يحيى بن أبي طالب، قال: حدثنا رَوْح بن عُبَادَةَ، قال: أخبرني عَوْف، عن الحسن رحمه الله، قال: بلغني أنَّ لُقْمَانَ رضي الله عنه قال لابنه: يا بنيَّ، لا تكُنْ حلواً فتبلَعَ، ولا مُرّاً فتلفَظَ[1].

قال أبو سليمان: أنشدني بعضُ أصحابنا عن المبرّد أبي العباس محمد[2] في نحوٍ من هذا لأبي العتاهِيَةَ[3]:

صَـانَ عَـبْـدٌ مـا لَـدَيْـهِ   ورَعَـى مـا فـي يَـدَيْـهِ
وإذا هَـمَّ بـلـيـن   قَـرَنَ الحَـزْمَ إلـيـهِ
مـن يَـلِنْ لـلنَّـاسِ جـدّاً   يَـثِـبِ النَّـاسُ عـليـهِ

/ أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني محمد بن الحسين، قال: حدثنا الزُّبير بن عبد الواحد، قال: قال الشافعِيُّ رحمة الله عليه: أَصْلُ كُلِّ عَداوَةٍ الصَّنِيعَةُ[4] إلى الأَنْذال. ١١٢/أ

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني إسماعيل بن أسد، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، قال: سمعت الرِّياشيَّ، عن الأصمعي، قال: كتب كسرى إلى عماله: عاملوا وجوه النَّاسِ بمَحْضِ المودَّةِ، وعامِلُوا الرَّعِيَّةَ بالرَّغْبَةِ والرَّهْبَةِ، وعامِلوا السَّفِل[5] بالمخافَةِ.

* * *

(١) هو مثلٌ تقوله العامَّة، وروايته في كتاب الأمثال لأبي عبيد ص ٢١٩: «لا تكن حلواً فتسترط، ولا مُرًّا فَتُعْقَـى» أي تلفظ من المرارة. والاسترَاط: الابتلاع؛ والإعقاء: أن تشتد مرارة الشيء حتى يلفظ لمرارته.

(٢) قوله: «أبي العباس محمد» مستدرك في الهامش.

(٣) لم أعثر على الأبيات في ديوان أبي العتاهية تحقيق الدكتور شكري فيصل.

(٤) الصنيعة: كلّ ما عمل من خير أو إحسان، جمع صنائع.

(٥) السَّفِلة والسِّفْلة من الناس: أراذلهم وأسافلهم. والعامة تقول: رجل سفِلة من قوم سَفِلٍ. (اللسان).

بـــاب في فساد الخاصة
وما جاء في علماء السوء وذكر آفاتهم

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرنا ابنُ الأعرابي، قال: حدثنا عباس الدُّوري، قال: حدثنا محمد بن بِشْر العَبْدِيّ، قال: حدثنا هِشام بن عُرْوَةَ، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ لا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزاعاً يَنْتَزِعُه من النَّاسِ، ولكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ (١) العُلماءِ، فإذا لم يُبْقِ عالماً(٢) اتَّخذَ النَّاسُ رؤوساً جُهّالاً، فَسُئِلوا فَأَفتَوْا بغيرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وأَضَلُّوا»(٣).

قال أبو سليمان: قد أَعْلَمَ رسولُ الله ﷺ أنَّ آفَةَ العِلْمِ ذهابُ أهلِهِ، ١١٢/ب وانتحالُ الجُهَّالِ وترؤسهم على الناس باسْمِه، وحذَّرَ الناسَ أنْ / يقتدوا بِمَنْ كان من أهل هذه الصِّفة، وأخبرَ أنَّهم ضُلَّالٌ مُضِلُّون، وأنذَرَ به ﷺ في حديث آخر.

---

(١) قوله: «العلم بقبض» مستدرك في الهامش.

(٢) في الأصل: «لم يبق عالم»، وصحح من مصادر الحديث.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب العلم رقم (١٠٠)، باب كيف يقبض العلم، وفي الاعتصام، باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس. ومسلم بشرح النووي ١٦ : ٢٢٣ في كتاب العلم برقم (٢٦٧٣)؛ والترمذي رقم (٢٦٥٤) كتاب العلم، باب ما جاء في ذهاب العلماء؛ وابن ماجه في المقدمة حديث (٥٢) باب اجتناب الرأي والقياس؛ وأحمد في مسنده ٢ : ١٦٢، ١٩٠؛ والدارمي في المقدمة ١ : ٧٧.

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثناه أحمد بن سلمان النَّجَّاد[1]، قال: حدثنا جعفر بن أبي عثمان الطَّيالِسيّ، قال: حدثنانَصْر[2] بن علي، قال: حدثنا نوح بن قيس، عن أخيه خالد بن قيس، عن قَتَادَةَ، عن أَنَسٍ، قال: لأحدثَنَّكُم حديثاً لا يحدِّثكم أحدٌ بعدي سمِعَه؛ سمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ مِن أشراطِ السَّاعةِ أَنْ يُرْفَعَ العِلْمُ، ويَظْهَرَ الجَهْلُ»[3].

قال أبو سليمان: يريدُ ـ والله أعلم ـ ظهورَ الجُهَّال المنتحلين للعلم، المترئسين على النَّاسِ به قبلَ أَنْ يتفقَّهوا في الدِّين، ويرسَخُوا في علمه.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرنا عبدُ الله بن محمد السَّعديّ، قال: حدثنا علي بن عبد العزيز، قال: حدثنا القاسم بن سلام، قال: حدثنا ابن

---

(١) في الأصل: «أحمد بن سليمان النجاد»، وهو أحمد بن سلمان بن الحسن، أبو بكر النجاد، الفقيه الحنبلي، شيخ العلماء ببغداد في عصره. توفي سنة ٣٤٨ هـ.
(تاريخ بغداد ٤: ١٨٩، وطبقات الحنابلة ٢: ٧، والتذكرة ٣: ٨٦٨، ولسان الميزان ١: ١٨٠، وشذرات الذهب ٢: ٣٧٦).

(٢) في الأصل غير واضحة. وهو نصر بن علي بن صُهْبان، الأزدي الجَهْضَمي الكبير، البصري. ثقة. مات قبل سنة ١٥٠ هـ.
التقريب ٢: ٢٩٩، وتهذيب التهذيب ١٠: ٤٢٩.

(٣) رواه البخاري ١: ١٦٢ و١٦٣ في العلم، باب رفع العلم وظهور الجهل، وفي النكاح، باب يقل الرجال ويكثر النساء، وفي الأشربة في فاتحته، وفي المحاربين، باب في إثم الزناة.
وأخرجه مسلم بشرح النووي في كتاب العلم ١٦: ٢٢١ رقم (٢٦٧١)، ولفظه: «ألا أحدثكم حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ لا يحدِّثكم أحد بعدي سمعه مني: إنَّ من أشراط الساعة أن يرفعَ العلم ويظهر الجهلُ ويفشوَ الزنا ويُشربَ الخمر ويذهب الرجال وتبقى النساء، حتى يكون لخمسين امرأة قيِّمٌ واحد».
ورواه الترمذي رقم (٢٢٠٦) في الفتن، باب ما جاء في أشراط الساعة، وابن ماجه من حديث أنس بن مالك بلفظ مقارب رقم (٤٠٤٥)، في كتاب الفتن، باب أشراط الساعة. وقيِّم واحد: أي من يقوم بأمرهن.

عُلَيَّة[1]، عن ابن عَوْنٍ، عن ابن سيرين، عن الأحنف بن قيس، قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: تفقَّهُوا قَبْلَ أن تسودوا.

يريدُ أنَّ مَنْ لم يخدُمِ العِلْمَ في صِغَرِه استَحْيَى أَنْ يَخْدُمَه في كِبَر السِّنِّ، وإدراكِ السُّودَدِ.

١١٣/أ قال أبو سليمان: وبلغني عن سفيان الثوري أنّه قال: من تَرَأَّسَ / في حَدَاثتِهِ كان أدْنَى عقوبته أن يفوتَهُ حظٌّ كبيرٌ من العلم. وعن أبي حنيفة رحمةُ الله عليه أنَّه قال: مَنْ طلَبَ الرياسَةَ بالعلم قَبْلَ أوانِهِ لم يَزَلْ في ذُلٍّ ما بقي.

أنشدنا أبو سليمان، قال: أنشدني سهلُ بن إسماعيل، قال: أنشدنا منصور بن إسماعيل لنفسه[2]:

الكَلْبُ أكرَمُ عِشْرَةً ... وَهُوَ النِّهايَةُ في الخَسَاسَهْ
مِمَّنْ يُنازِعُ في الرِّيا ... سَةِ قَبْلَ أوقاتِ الرِّياسَهْ

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني أبو عمر[3]، قال: قلت للمبرّد[4]: لِمَ صار أبو العبَّاس أحفظَ منك للغريب والشِّعر - يعني أحمد بن يحيى[5] -؟ قال: لأني ترأَّسْتُ وأنا حَدَثٌ، وترأَّسَ وهو شيخٌ.

---

(١) هو إسماعيل بن إبراهيم بن مِقْسم الأسدي، أبو بشر البصري، المعروف بابن عُلَيَّة. ثقة، حافظ. (التقريب ١: ٦٥).

(٢) البيتان في معجم الأدباء ١٩: ١٨٧ وفيه: «الكلب أحسن»، وفي طبقات الشافعية للسبكي ٣: ٤٨٣ برواية: «الكلب أعلى قيمة»، ونكت الهميان ٢٩٨، وشذرات الذهب ٢: ٢٥٠، ووفيات الأعيان ٥: ٢٩٠.

(٣) أي غلام ثعلب.

(٤) في الهامش: «محمد بن يزيد».

(٥) أحمد بن يحيى بن يزيد بن سيار الشيباني، أبو العباس، المعروف بثعلب. إمام الكوفيين في النحو واللغة. كان راوية للشعر، محدثاً، مشهوراً بالحفظ وصدق اللهجة، ثقة، حجة. مات في بغداد سنة ٢٩١ هـ. =

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرنا أحمد بن إبراهيم بن مالك، قال: حدثنا الدَّغوليُّ، قال: حدثنا محمد بن حاتم المظفَّرِيُّ، قال: سمعت عمرو بن محمد الناقد، يقول: سمعتُ سفيان بنَ عُيَيْنَة، يقول: جلسْنا إلى عُبَيْد الله بن عمر[1]، فأَحطْنا به، فنظر إلينا فقال: شِنْتُمُ[2] العِلْمَ وذهبْتُم بنوره، لو أَدْرَكَني وإياكم عُمَرُ، رضي الله عنه، لأوجعنا ضَرْباً[3].

قال المظفَّريُّ: وزادني غيرُ عمرو: ما أنا أهل لأَنْ أحدِّثَ، ولا أنتم أهلٌ لأَنْ تُحَدَّثُوا، وما مَثَلي ومَثَلُكم / إلا كما قال الأول: افتَضَحُوا فاصطَلَحُوا. ١١٣/ب

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا ابنُ الأعرابيّ، قال: حدثنا الرَّمَادِيُّ، قال: حدثنا عبد الرزَّاق، قال: حدثنا مَعْمَر عَنِ الزُّهريّ، عن رجل من المهاجرين، قال: والذي نفسي بيده لقد وارت القبورُ أقواماً لو رؤوني معكم سخروا منِّي.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني محمد بن هاشم، قال: حدثنا الدَّبَرِيُّ، عن عبد الرزَّاق، عن مَعْمَر، عن قَتَادَةَ، قال: قال ابنُ مَسْعُودٍ: كيفَ بكم إذا لَبِسَتْكُمْ فتنةٌ يَرْبُو فيها الصغيرُ، ويهرَمُ فيها الكبيرُ، وتُتَّخَذُ سُنَّةً، فَإن غُيِّـرَتْ يومـاً قلتَ هذا المنكَرُ؟ قالـوا: ومتى ذلك يـا أبا عبد الرحمن؟ قال: ذاك إذا قلَّتْ أمناؤكم، وكثُرَ أمراؤكم، وقلَّتْ فقهاؤكم، وكثُرَ قُرَّاؤكم، وتُفُقِّهَ لغير الدِّين، والتُمِسَتِ الدنيا بِعَمَلِ الآخرة.

= (تاريخ بغداد ٥: ٢٠٤، وإنباه الرواة ١: ١٣٨، وبغية الوعاة ١٧٢، ومعجم الأدباء ٥: ١٠٢).

(١) هو عُبَيْد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، أبو عثمان القرشي العدوي ثم العمري المدني. أحد الفقهاء السبعة والعلماء الأثبات بالمدينة. توفي سنة ١٤٧ هـ.

(سير أعلام النبلاء ٦: ٣٠٤، وخلاصة تذهيب الكمال ٢٥٢).

(٢) الشين: العيب والقبح، ضد الزَّين.

(٣) أخرج الخبر الذهبي عن سفيان بن عيينة في السير ٦: ٣٠٦.

وأخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني عبد الله بن محمد المِسْكيُّ، قال: حدثنا ابن الجُنَيْدِ، قال: حدثنا عبدُ الوارث[1]، عن عبد الله بن المبارك، قال: حدثنا بَكّار بنُ عبد الله، قال: سمعتُ وَهْب بنَ مُنَبِّه، يقول: قال الله تعالى ذكرُه فيما نعت، يَعِيب به أحبارَ بني إسرائيل: «تتفقهون لغير الدين، وتتعلَّمُون لغير العَمَل، وتبتاعون الـدُّنيا بعمـل
١١٤/أ الآخرة. تَلبَسُونَ / مُسُوكَ[2] الضَّأن، وتُخْفُونَ أَنْفُسَ الذِّئـاب، وتتَّقون القَذَى في شرابكم، وتبتلعون أمثالَ الجبال من الحرام. تُطَوِّلون الصلاةَ، وتبيِّضُون الثيابَ؛ تقتنصون بذلك مالَ اليتيم والأرملة. فبعزَّتي حَلَفْتُ لأضربنَّكم بفتنةٍ يَضِلُّ فيها رأيُ ذي الرأي، وحكمةُ الحكيمِ».

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثني أحمد بنُ الحسين التَّيميّ، قال: حدثنا أحمد بن محمد[3] بن مَمْلَك، عن أبي بدر عَبَّاد بن الوليد الغُبَرِيّ، قال: حدثنا حَبّان بن هِلال، قال: حدثنا عبد القاهر بن شُعَيْب، عن هشام ابن حسَّان، عن الحَسَن، قال: «طَلَبَ هذا العِلْمَ ثلاثةُ أصنافٍ من النَّاس، فاعرفُوهم بصفاتهم؛ فصِنْفٌ تعلَّمُـوه للمراء والجهـل؛ وصِنْفٌ تعلَّموه للاسْتِطالة والخَتْلِ[4]؛ وصِنْفٌ تعلَّموه للتَّفَقُّه والعَقْلِ.

فصاحبُ المِراءِ والجهلِ مُتعرِّضٌ للقتال في أنديةِ الرِّجال، يذاكِرُ العِلْمَ بخفَّةِ الحِلْمِ، قد تَسَرْبَلَ الجَّشَعَ، وتبرَّأ من الورع؛ فَدَقَّ الله تعالى من هذا خيشومَه[5]، وقَطَعَ منه حَيْزُومَه.

---

(١) هو عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان التميمي العنبري. ثقة. توفي سنة ١٨٠ هـ. (خلاصة تذهيب الكمال ٢٤٧).

(٢) المَسْك: الجلد، والجمع مُسُك ومُسُوك.

(٣) في غريب الحديث للخطابي «أحمد بن يحيـى...».

(٤) الخَتْل: الخداع. يقال: خَتَلْتُ الصَّيْدَ وخَتَلْتُ الرَّجُلَ ختـلاً. (غريب الحـديث للخطابي ٣: ٩٤).

(٥) الخيشوم: أقصى الأنف، ويطلق على الأنف كله. والحيزوم: وسط الصدر.

وصاحبُ الاستِطالة والخَتْل، ذو خِبٍّ[١] ومَلَقٍ، يَسْتَطيلُ على أشباهِهِ من أمثالِهِ، فيختِلُهُم بخلع جبينه[٢]؛ فهو لِحُلوانهم[٣] هاضِمٌ، ولدينه حاطِمٌ؛ فأعمى اللّهُ عزَّ وجلَّ / على هذا خَبَرَهُ، وقطَعَ من آثار العلماءِ أثَرَهُ. ١١٤/ب

وصاحبُ التَّفقُّهِ والعَقْلِ ذو كآبةٍ وحُزْنٍ، قد تنحَّى[٤] في بُرْنُسه، وقام الليلَ في حِنْدِسِهِ[٥]، يعمل ويخشَعُ، قد أوكدَتاه يَـدَاه[٦]، وأَعْمَدَتـاه رجلاه[٧]؛ فهو مُقبلٌ على شأنه، عارفٌ بأهلِ زمانه، قد استَوْحَشَ من كلِّ ذي ثِقةٍ من أقرانِه[٨]. فشَدَّ الله من هذا أركانَهُ، وأعطاهُ يومَ القِيامـة أمَانَه»[٩].

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني عبد الله بن أحمد، قال: حدثنا ابن الجُنَيْد، قال: حدثنا عبد الوارث، عن ابن المبارك، قال: حدثنا رجلٌ

---

(١) الخِبُّ: الخداع والخبث والغش.
(٢) كذا في الأصل.
(٣) الحلوان: الرشوة، وأجرة الدَّلَّال.
(٤) في الأصل: «تحنَّى»، وأثبت ما جاء في غريب الحديث للخطابي ٣: ٩٤، وفيه: «تنحَّى في برنسه: أي توجه للصلاة وأقبل عليها، وكل من قصد قصْدَ شيءٍ فقد تنحَّى له».
(٥) الحندس: سواد الليل وظلمته، ويقال: ليل حندس، أي مظلم. (غريب الحديث للخطابي).
(٦) قال الخطابي في غريب الحديث ٣: ٩٤: «وقوله: أوكدتاه يداه، هكذا قال الراوي، وأراه: أكأدتاه يداه، أي أتعبتاه...».
(٧) أعمدتاه رجلاه: أي صيَّرتاه عميداً لطول اعتماده في القيام عليهما، والعميد: المريض الذي لا يستطيع أن يثبت على المكان حتى يُعْمَدَ من جوانبه ويُرْفَدَ. (الخطابي).
(٨) في غريب الحديث للخطابي: «من إخوانه».
(٩) ذكر الخطابي في غريب الحديث ٣: ٩٣ الصنف الثالث فقط. وانظر الفائق (نحا) والنهاية (نحا، ختل).

من أهل الشام، عن يزيدَ بن أبي حَبيب[1]، قال: إنَّ من فتنة العالِم الفقيهِ أن يكونَ الكلامُ أحبَّ إليه من الاستماع وإن وَجَـدَ من يكفيه، وفي الاستماع سلامةٌ وزيادةٌ في العِلْمِ، وفي الكلام ـ إلا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ ـ تَوَمُّقٌ[2] وتَزَيُّنٌ وزيادةٌ ونُقصان.

قال: ومنهم مَنْ يَرى أنَّ بعضَ النَّاسِ لِشَرَفِهِ ووجهه أحقُّ بالكلام من غيره، ويزدري المساكينَ، ولا يراهم من ذلك موضِعاً. ومنهم من يَخْزُنُ عِلْمَهُ، ولا يُحِبُّ أن يوجدَ إلا عنده. ومنهم من يأخذ في علمه بأخْذ

١١٥/أ السُّلطان، حتى يغضَبَ أَنْ يُرَدَّ عليه / شيء من قوله، أو يُعْقَلَ[3] عن شيء من حقِّه. ومنهم من يَنْصِبُ نفسَهُ للفُتيا، ولعلَّه يُؤتَى بالأمر لا عِلْمَ له به، فيستحِي أَنْ يقولَ لا عِلْمَ لي فَيُرَجِّمَ[4]، فيُكتَبَ من المتكلِّفين. ومنهم من يروي كلَّ ما سمع[5]، حتى يَروي كلامَ اليهودِ والنصارى؛ أراد أن يُغْزِرَ كلامَهُ.

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا حمزةُ بنُ الحارث الدَّهقان، قال: حدثنا العبَّاس بن محمد الدُّورِيّ، قال: حدثنا كثير بن هشام، قال: حدثنا جعفرُ بن بُرْقان[6]، قال: حدثنا مَيْمون بن مِهران، قال: قال أبو هريرة:

---

(١) هو يزيد بن أبي حبيب، مولى شريك بن الطفيل الأزدي، أبو رجاء المصري. كان حليماً عاقلاً، الإمام الحجة، مفتي الديار المصرية. مات سنة ١٢٨ هـ.
(سير أعلام النبلاء ٦: ٣١، وخلاصة تذهيب الكمال ٤٣٠).

(٢) التومُّق: التودُّد.

(٣) كذا في الأصل: ويُعقل بمعنى يحبس. واستبدلت في المطبوع بـ «يُغْفَل».

(٤) رَجَّمَ: تكلَّم بالظن. ويقال: رجَّم بالغيب: تكلَّم بما لا يعلم.

(٥) في الهامش: «يسمع».

(٦) هو جعفر بن برقان الكلابي، أبو عبد الله الرقي. صدوق، يهم في الحديث. توفي سنة ١٥٤ هـ.
(التقريب ١: ١٢٩، وخلاصة تذهيب الكمال ٦٢).

ويلٌ لِلَّذي لا يَعْلَم، ولو شاء الله تعالى لَعَلَّمه؛ وويلٌ لِلَّذي يَعْلَمُ وهو لا يَعْمَلُ به، سَبْعَ مراتٍ.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرنا ابنُ الأعرابي، قال: حدثنا محمد ابن سعيد بن غالب، قال: حدثنا سعيد بن سليمان الواسِطيّ، قال: حدثنا مُبارك بن سعيد، قال: سمعت سعيد بن مَسْروق[1]، يقول: كان يقال: ذَهَبَ العِلْمُ وبقيت بقيَّةٌ في أوعيةِ سَوْءٍ.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرنا أبو رَجَاء الغَنَوِيّ، قال: حدثني بعضُ أصحابنا، عن أبي عاصم الضَّحَّاك بن مَخْلَدٍ، قال: قال ابنُ جُرَيْج[2]: خرجْتُ غَلَساً أريدُ ضَيْعَةً لي، فإذا أنا بِرُقْعَةٍ / تَهْفُو بها الرِّيحُ، ١١٥/ب
فلما أضاء لي الصبحُ نظرتُ فإذا فيها:

عِشْ مُوسِراً إنْ شئْتَ أوْ مُعْسِراً لا بُدَّ في الدُّنيا من الغَمِّ
وكلَّما زادكَ مِنْ نِعْمَةٍ زادَ الذي زادك في الهَمِّ
إنِّي رأيْتُ النَّاسَ في دهرنا لا يطلبون العِلْمَ للعلمِ
إلَّا مباهاةً لإخوانِهِمْ وحجَّةً للخَصْمِ والظُّلْمِ

قال أبو سليمان: قال ابنُ جُرَيْجٍ: فلقد منعَتْنِي هذه الأبياتُ أشياءَ كثيرةً.

في نسخةِ الشيخ: أخبرنا ابنُ الأعرابي، قال: حدثنا إبراهيم بنُ

---

(١) هو سعيد بن مسروق الثوري الكوفي، والد سفيان. مات سنة ١٢٦ هـ. (خلاصة تذهيب الكمال ١٤٢).

(٢) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، الأموي، أبو الوليد وأبو خالد المكي، الفقيه، أحد الأعلام، وصاحب التصانيف. قال الذهبي: كان ثبتاً، لكنه يدلس. مات سنة ١٥٠ هـ.

(تذكرة الحفاظ ١: ١٦٩، وسير أعلام النبلاء ٦: ٣٢٥، وخلاصة تذهيب الكمال ٢٤٤).

الوليد الجَشَّاش[١]، قال: حدثنا أبو بكر بن عيَّاش، عن الأعمش، قال: ما في الدنيا قومٌ شرٌّ من أصحابِ الحديث. قال أبو بكر: فأنكرْتُها عليه حتى رأيْتُ منهم ما عَلِم[٢].

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني سهلُ بن إسماعيل، قال: كنا عند أبي خَلِيفةَ، فرأى من أصحاب الحديث بِدْعَةً سيئةً، فقال: صَدَقَ عُمَرُ بنُ الحارث، فقلنا: وما قال ابنُ الحَارث؟ قال: قال عمر بن الحارث: ما عِلْمٌ أشرفُ، ولا قومٌ أسخفُ من الحديث وأهله.

أخبرنا أبو سليمان، قال: وأخبرني سهلُ بنُ إسماعيل، قال: حدثنا أبو خَلِيفَةَ، قال: أخبرني أبو الوليد الطَّيالِسيُّ، قال: سمعْتُ شُعْبَةَ يقول:
١١٦/أ إنَّ هـذا الحديثَ يَصُـدُّكم عن ذكـر الله وعن الصـلاة، / فهـل أنتم مُنْتَهون؟!.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني إبراهيمُ بنُ فراس، قال: سمعْتُ جعفر السُّوسِيَّ، يقول: سمعْتُ أبا بكر الطائِفيَّ ـ وكان من أهل العلم ـ يقول: سمعْتُ رجلاً في مجلس عبد الواحد بن غِياثٍ، يقول: سمعت أبي حين قال شعبةُ هذا الكلام رأى رجلاً من أصحاب الحديث صلَّى بجنبه ـ وقد فاتته رَكْعَةٌ ـ فلما سلَّمَ الإمامُ سَلَّمَ وأخذ دفاتره ولم يُصَلِّ الرَّكْعَةَ التي فاتته.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني محمد بن الحسين بن عاصم، قال: حدثنا محمود بن محمد الرَّافِقيّ، قال: حدثني محمد بن علي بن مَيْمون، قال: سمعْتُ إسحاقَ بن أبي إسرائيل، يقول: ازدحَمَ أصحابُ

---

(١) في الأصل: «والجشَّاش»، وصححت من كتاب غريب الحديث للخطابي.

(٢) سيورد المصنف رحمه الله أمثلة عن تصرفات بعض أهل الحديث توضح هذا الرأي.

الحديث على هُشَيْم[1] فطرَحُوه عن حماره، فكان سبب موته.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني بعضُ أصحابنا، عن ابن الأنباري، قال: حدثنا محمد بن المَرْزُبان، قال: حدثنا أحمد بن زهير، قال: حدثنا مؤمَّل[2] بن إهاب، قال: حدثني يحيى بن حسّان، قال: كنا عند سفيان بن عُيَيْنة وهو يحدِّث، فازدحمَتْ فِرْقَةٌ من النَّاسِ على محمل شيخٍ ضعيفٍ فانْتَهَبُوه ودقُّوا يدَ الشيخ، فجعل الشيخُ يصيح بسفيان: لا جعلتُكَ مِمَّا عمِلوا بي في حِلٍّ، وسفيانُ لا يسمَعُ، حتى نظر إلى رجلٍ من أولئك الذين صنعوا بالشيخ ما صنعوا، فقال له: ما يقولُ الشيخ؟ قال: يقول: زِدْنا في السَّماع.

* * *

(١) هو هشيم بن بشير أبو معاوية ابن أبي خازم، ثقة ثبت، كثير التدليس والإرسال الخفي. مات سنة ١٨٣ هـ.
(التقريب ٢ : ٣٢٠، وسير أعلام النبلاء ٨: ٢٥٥).

(٢) مؤمّل بن إهاب بن عبد العزيز الربعي العجلي، أبو عبد الرحمن الكوفي ثم الرملي، صدوق، له أوهام. مات سنة ٢٥٤ هـ.
(التقريب ٢ : ٢٩٠، وخلاصة تذهيب الكمال ٣٩٣).

/ بـاب في آفات القراء

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا إبراهيم بن فِراسٍ، قال: حدثنا أحمد بن علي المروزِيُّ الأعرجِ، قال: حدثنا الفضل بن عبد الجبَّار، قال: حدثنا إبراهيم بن إسحاق الطَّالقانِيّ، قال: حدثنا أبو جعفر البَصريّ، قال: قال مالك بن دينار:

مَثَلُ قُرَّاءِ هذا الزمانِ كمثَلِ رجلٍ نَصَبَ فخّاً، ونصَبَ فيه بُرَّةً[1]، فجاء عصفُورٌ فوقَعَ قريباً منه، فقال له: ما غيَّبَكَ في التراب؟ فقال: التواضعُ، قال: مما انحنيْتَ؟ قال: من طولِ العِبادَةِ، قال: ما هذه البُرَّةُ المنصوبَةُ فيك؟ قال: أعددتها للصائمين، قال: نِعْمَ الجارُ أَنْتَ.

قال: فلما أمسى وغابَتِ الشَّمْسُ دنا العصفورُ فأخَذَ البُرَّةَ فخنَقَهُ الفَخُّ. قال العصفور: إنْ كان كلُّ العُبَّاد يخنُقُون خَنْقَكَ فلا خيرَ في العُبَّاد اليومَ.

حدثنا أبو سليمان، قال: أخبرنا ابنُ الأعرابي، قال: حدثنا الدُّورِي[2]، قال: حدثنا يَحيى بن[3] مَعِين، قال: حدثنا أبو بكر بن

---

(١) البُرَّة: واحدة البُرّ، وهو القمح.

(٢) هو العباس بن محمد بن حاتم الدُّوري، أبو الفضل البغدادي. ثقة. مات سنة ٢٧١ هـ.

(التقريب ١: ٣٩٩، وتهذيب التهذيب ٥: ١٢٩).

(٣) لفظ: «ابن» مكرر في الأصل. ويحيى بن معين بن عون المري، البغدادي، =

عيّاش، قال: سمعت مغيرة يقول: واللَّهِ لأَنَـا منكم أخوفُ منِّي من الفُسَّاقِ.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني بعضُ أصحابنا عن الخلَّادي، قال أحمد بن القاسم الأزدي، عن أحمد بن أنس بن مالك الدّمشقيّ، قال: حدثنا أحمد بن عاصم الأنطاكيّ[(١)]، قال:

كتب يوسف بن أَسْباط[(٢)] / إلى بعض أصحابه: اكترِ لي منزلاً، ولا ١١٧/أ
تكترِ بين القراء؛ فإنِّي أتخوَّفُ أن أقولَ تفاحةٌ فيقولون لَفاحةٌ، فإذا لم أجِبْهم إلى تلك ذَهَبوا فهيؤوا بيتاً، وهيؤوا فيه طُنْبُوراً وغلاماً وخمراً ودعوني وأنا لا أَدْري، ودعوا الناسَ فقالوا: تعالوا انظروا ما مع يوسُفَ.

أخبرنا أبو سليمان: قال: أخبرني أبو عمرو[(٣)] الحِيريّ، قال: حدثنا مسلم بن إبراهيم، قال: حدثنا الحسن بن أبي جعفر، قال: سمعت مالك ابن دينار، يقول:

أجيزُ شهادةَ القرَّاء في كلِّ شيء إلَّا بعضَهم على بعض؛ وجدتهم أشدَّ تحاسداً من التُّيوس؛ توثَقُ الشَّاة فيرسَلُ عليها التيْسُ، فيهِبُّ هذا ويهِبُّ هذا.

= أبو زكريا. من أئمة الحديث ومؤرخي رجاله. نعته الذهبي بسيد الحفاظ. ت ٢٣٣ هـ. (التذكرة ٢: ١٦، والأعلام ٨: ١٧٢).

(١) أحمد بن عاصم، أبو عبد الله الأنطاكي، الإمام القدوة، صاحب مواعظ وسلوك. وهو من أقران بشر الحافي. توفي نحو سنة ٢٣٠ هـ.
(حلية الأولياء ٩: ٢٨٠، وسير أعلام النبلاء ١٠: ٤٨٧، و ١١: ٤٠٩).

(٢) ترجم له أبو نعيم في الحلية ٨: ٢٣٧، ولم يورد الخبر، وأورد أخباراً مشابهة؛ منها: «حدثنا أبو يعلى الحسين بن محمد، ثنا محمد بن المسيب، ثنا عبد الله بن خبيق، قال: قال يوسف بن أسباط: والله! لقد أدركت أقواماً فساقاً كانوا أشد إبقاء على مروءاتهم من قراء أهل هذا الزمان على أديانهم. قال: وقال لي يوسف: إياك أن تكون من قراء السوء». وانظر في ترجمته سير أعلام النبلاء ٩: ١٦٩.

(٣) في الأصل: «أبو عمر» وهو خطأ.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرنا ابن الأعرابي، قال: حدثنا محمد ابن إسحاق الصَّغَانيّ[1]، قال: حدثنا يَحْيَى بن مَعِين، قال: حدثنا يحيى ابن اليَمان، قال: قال سفيان الثَّوريّ:

لأن أصْحَبَ فتىً أحبُّ إليَّ من أن أصحَبَ قارئاً.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني إسماعيل بن محمد، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، قال:

زار عبد الله بن المبارك رجلاً من أهل نيسابور - وكان يُنْسَبُ إلى
١١٧/ب الزُّهد والتقشُّفِ - فلمَّا دخل / إليه لم يُقبِل عليه الرجلُ، ولم يلتفت إليه، فلمَّا خرج من عنده أُخْبِرَ بمكانه، وأُعلِمَ أنَّه عبدُ الله بنُ المبارك، فخرج إليه يعتذِرُ ويتنصَّلُ؛ وقال: يا أبا عبد الرحمن، اعذرْني وعِظْني، قال: نعم، إذا خرجْتَ من منزلك فلا يقَعُ بصرُكَ على أحدٍ إلاَّ أُريتَ أنَّه خيرٌ منك؛ وذلك أنَّه رآه معجباً بنفسه، ثم سأل عنه فإذا هو حائِكٌ.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني أحمد بن عَبْدُوس، قال حدثنا محمد بن عبد الأحد، قال: حدثنا أبو هشام الرفاعي، عن ابن يَمان، عن سفيان، قال: من لم يتفَتَّ لم يُحْسِنْ يتقرَّى[2].

قال أبو سليمان: إنَّ من عادة الفتيان ومَنْ أَخَذَ بأَخْذِهم بشاشةَ[3]

---

(١) في الأصل غير واضحة. وهو محمد بن إسحاق الصَّغَاني، أبو بكر، نزيل بغداد. ثقة ثبت. مات سنة ٢٧٠ هـ.
(التقريب ٢: ٢٤٤).

(٢) في غريب الحديث للخطابي ٣: ٢٢٥: «لم يحسن أن يتقرَّأ». ومعنى تقرَّأ: تفقَّه وتنسَّك.
وقريت الكتاب: لغة في قرأت. ولا يقولون في المستقبل إلا يقرأ. (اللسان: قرأ).
وانظر حلية الأولياء ٧: ٥١.

(٣) في الهامش: «بشارة».

الوجه، وسَجاحةَ الخُلُق[1]، ولينَ العريكةِ؛ ومن شيمة الأكثرين من القرَّاء الكَزازة[2] وسُوء الخلُق. فمن انتقَلَ من الفتوَّة إلى القراءة كان جديراً أن يتباقى[3] معه تلك اللذوفة[4] والهشَاشَةُ[5]. ومن تقرَّأ في صِباه لم يخلُ من جَفْوَةٍ أو غِلظةٍ.

وقد يتوجَّهُ قولُ سفيان إلى وجهٍ آخرَ؛ وهو أنَّه إذا انتقل من الفتوَّة إلى القراءة كان معه الأسفُ[6] على ما مضى والندمُ على ما فرطَ منه، / فكان أقربَ له إلى ألاَّ يُعجبَ بعملٍ صالحٍ يكون منه، وإذا كان عارفاً ١١٨/أ
بالشرِّ كان أشدَّ لحذَرِهِ، وأبعدَ من الوقوع فيه.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني ابنُ الزِّئبقيّ، قال: حدثنا موسى ابن زكريا التُّسْتَرِيُّ، قال: حدثنا نَصْر بن علي، قال: حدثنا عيسى بن يونُس، عن الأعمش، عن إبراهيم النَّخَعِي، قال: كان يُعجبهم أن يكونَ للشاب[7] صَبْوَةٌ. قال الأعمش: يَخافُ ويَحْذَرُ ويَجْتَهِدُ.

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا ابنُ الأعرابي، قال: حدثنا أحمد بن زيد القَزَّاز، قال: حدثنا حُسين المَرْوَزِيّ، قال: حدثنا ابنُ المبارك، عن

---

(١) سجاحة الخلق: سهولته ولينه.
(٢) الكزازة: اليُبْس والانقباض.
(٣) كذا في الأصل، ولعله أراد: «تبقى».
(٤) كذا في الأصل، ولم أقف على صحتها.
(٥) الهشاشة: الرخاوة واللين.
(٦) لفظة: «الأسف» مستدركة في الهامش.
(٧) في غريب الحديث للخطابي ٣: ١٢٤، «للغلام إذا نشأ صبوة». وفيه: «الصَّبوة: مصدر صبا الرجل يصبو صِباً وصَبْوَةً، إذا مال إلى الهوى».
قال الخطابي: وإنما كان يعجبهم ذلك منه، وإن كان ترك الصِّبا أسلم له؛ لأنه إذا تاب وارعوى كان أشد لاجتهاده في الطاعة، وأكثر لندمه على ما فرط منه، وأبعد له من أن يعجب بعمله أو يتَّكل عليه.

سفيان[1]، قال: قال أبو حازم[2]: «إنَّ الرَّجُلَ ليعمَلُ السَّيِّئة إنْ عَمِلَ حسنةً قطُّ أنفعَ له منها، وإنَّه ليعمَلُ الحسنَةَ إنْ عمِلَ سيئةً قط أضرَّ عليه منها»[3].

قال أبو سليمان: قال ابن الأعرابي: معناه أن يَعْمَلَ الذَّنْبَ فلا يزال منه مُشْفِقاً حذِراً أن يعاوِدَه فينفَعه ذلك، ويعمَلَ الحسنةَ فيحتسِب بها على ربِّه تعالى، ويُعْجَب بها، ويتَّكل[4] عليها فتهلِكه.

قال أبو سليمان: إنَّ فتنةَ مَنْ لا عِلْمَ لهم من القرَّاء فتنةٌ عظيمةٌ على
١١٨/ب الناس، والمؤونةَ في معاشرتهم على الخاصة مؤونةٌ غليظةٌ، / وذلك أنَّ جهلهم يحملُهم على الإعجاب بأنفسهم، وسيماهُم والظاهرُ من شمائلهم يدعو الجهَّال من العامَّةِ إلى تعظيمهم، والميل إليهم، والتعصُّب لهم. فَمَنْ رامَ مِنَ الخاصَّة إرشادَهُم وتعليمَهم فقد تعرَّض لملامهم، واستهدَفَ لسهامهم؛ فمداراتهُم غُصَّةٌ وهُجْنَةٌ[5]، ومكاشفتُهُم شهرةٌ[6] وفِتنةٌ؛ وشرُّهم طوائفُ من أصحاب العُزْلة والتبتُّل[7]، وأهل التصوفِ والتَّبَطُّلِ[8]؛ فإنَّهم

---

(١) قوله: «عن سفيان» لم يرد في غريب الحديث للخطابي ٣: ١٢٤.

(٢) هو سلمة بن دينار، أبو حازم الأعرج، القاص، الواعظ، الزاهد، الإمام القدوة، شيخ المدينة المنورة. ثقة، مات نحو سنة ١٤٠ هـ.
انظر: حلية الأولياء ٣: ٢٢٩، وسير أعلام النبلاء ٦: ٩٦، وخلاصة تذهيب الكمال ١٤٧.

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد ٥٣، وأبو نعيم في الحلية ٣: ٢٤٢، والذهبي في سير أعلام النبلاء ٦: ١٠٠. وانظر: غريب الحديث للخطابي ٣: ١٢٤، وصفة الصفوة ٢: ١٦٤.

(٤) عبارة الخطابي في غريب الحديث: «وينسى فضل الله عليه فيها فتهلكه».

(٥) الهُجْنَةُ: العيب والقبح.

(٦) الشُّهْرة: ظهور الشيء في شُنْعَة حتى يشهره الناس.

(٧) التَّبَتُّل: الانقطاع عن الدنيا إلى الله تعالى.

(٨) التبطُّل: فعل البَطَالة، وهو اتباع اللهو والجهالة.

جُهَّالٌ لا يتعلمون، ومَرَدَةٌ[1] لا ينقادون، قد ملكَ الشيطانُ قيادَهم، فهم والعِلمُ على تضادٍّ وخِلاف.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني محمد بن الحسين الآبُريُّ، قال: أخبرني الزُّبير بن عبد الواحد، قال: قال علي بن يَحيى[2] الورَّاق:

كان الشافعيُّ رحمةُ الله عليه رجلاً عَطِراً، وكان يجيء غلامُه كلَّ غداةٍ بغَالِيَةٍ[3] فيمسحُ بها الأسطوانَةَ التي يجلس إليها، وكان إلى جنبه إنسانٌ من الصّوفيَّةِ، وكان يُسمّي الشافعيَّ البطَّالَ[4]؛ يقول: هذا البطَّال، وهذا البطَّال. قال: فلما كان ذات يوم عَمَدَ إلى شاربه فوضع فيه قَذَراً، ثم جاء إلى حَلْقَةِ الشافعي، فلما شمَّ الشافعي / الرائحةَ أنكرها، وقال: ١١٩/أ
فتّشوا نعالَكم، فقالوا: ما نَرَى شيئاً يا أبا عبد الله. قال: فليشم بعضُكم بعضاً، فوجدوا ذلك الرجل، فقالوا: يا أبا عبد الله، هذا. فقال له: ما حَمَلَكَ على هذا؟ قال: رأيتُ تجبُّرَكَ، فأردْتُ أن أتواضَعَ لله عزَّ وجلَّ. قال: خذوه فاذهبوا به إلى عبد الواحد ـ وكان على الشُّرْطَةِ ـ فقولوا له: قال[5] لك أبو عبد الله: اعتقل هذا إلى وقت ننصرف. قال: فلما خرج الشافعيُّ دخل إليه[6] فدعا به فضرَبَهُ ثلاثين دِرَّةً أو أربعين دِرَّةً. قال: هذا بما تخطَّيْتَ المسجدَ بالقَذَرة، وصلَّيْتَ على غير الطهارة[7].

---

(١) المارد من الرجال: العاتي الشديد، وأصله من مَرَدة الجن والشياطين.

(٢) في مناقب الشافعي للبيهقي ٢ : ٢٠٨ : «علي بن بحر الوراق». ولعله علي بن بحر بن بري القطان، أبو الحسن البغدادي.

(٣) الغالية: أخلاط من الطيب كالمسك والعنبر. . .

(٤) رجل بطَّال: ذو باطل.

(٥) في مناقب الشافعي للبيهقي: «يقول».

(٦) في مناقب الشافعي للبيهقي: «عليه».

(٧) في الهامش: «طهارة». وانظر الخبر بتمامه في مناقب الشافعي للبيهقي ٢ : ٢٠٨ ـ ٢٠٩.

أخبرنا أبو سليمان، قال: وأخبرني الحسنُ بن محمد بن عَبْدَوَيْه، قال: أخبرني بعضُ أهل العلم، قال: كان يختلف معنا رجلٌ إلى أبي ثَوْرٍ، وكان ذا سَمْتٍ[1] وخُشوعٍ؛ فكان أبو ثور[2] إذا رآه جمع نفسه، وضمَّ أطرافَهُ، وقَيَّدَ كلامَه. فغابَ عن مجلسه مُدةً، فتعرَّفَ خبرَهُ فلم يُوقَفْ له على أثر، ثم عاد إلى المجلس بعد مُدَّةٍ طويلةٍ وقد نحل جسمُهُ، وشَحَبَ لونُه، وعلى إحدى عينَيْهِ قِطعةُ شمعٍ قد ألصقها بها؛ فما كاد يتبيَّنُه أبو
١١٩/ب ثور؛ ثم تأمَّلَه، فقال له: / أَلَسْتَ صاحِبَنا الذي كنتَ تأتينا؟ قال: بلى. قال: فما الذي قطعك عنَّا؟ فقال: قد رزقني اللَّهُ سبحانه الإنابةَ إليه، وحبَّبَ إليَّ الخَلْوَةَ، وأنِسْتُ بالوحدة، واشتغلْتُ بالعبادة.

قال له: فما بالُ عينكَ هذه؟.

قال: نظرْتُ إلى الدنيا فإذا هي دارُ فتنةٍ وبلاءٍ، وقد ذمَّها الله تعالى إلينا وعابَها وذَمَّ[3] ما فيها، فلم يمكنني تغميض عينيَّ كلتيهما عنها، ورأيتُني وأنا أُبصِرُ بأحديهما نحواً مِمَّا أُبصِرُ بهما جميعاً، فغمَّضْتُ واحدةً، وتركْتُ الأخرى.

فقال له أبو ثور: ومُنْذُ كم هذه الشمعةُ على عينك؟ قال: منذ شهرين أو نحوهما. قال أبو ثور: يا هذا، ما عَلِمْتَ أنَّ لله عليك صلاةَ شهرين، وطهارةَ شهرين؛ انظروا إلى هَذا البائس قد خَدَعَه[4] الشيطانُ

---

(١) السَّمْت: حسن النحو في مذهب الدين. وإنه لحسن السَّمْت، أي حسن القصد والمذهب في دينه ودنياه. (اللسان).

(٢) هو إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي، أبو ثور، الفقيه، صاحب الشافعي. ثقة. توفي سنة ٢٤٠ هـ. (التقريب ١ : ٣٥، وتهذيب الكمال ٢ : ٨٠).

(٣) لفظ: «ذمَّ» مستدرك في الهامش.

(٤) في الأصل: «أخدعه». وخدعه الشيطان: أراد به المكروه وختله من حيث لا يعلم.

فاختلسَهُ من بين أهل العلم. ثم[1] وكَّلَ به من يحفظه ويتعهده ويلقنه العلم.

قال أبو سليمان: فالعُزْلَةُ إنَّما تنفعُ العلماءَ العُقَلاءَ، وهي من أضرِّ شيء على الجهال. وقد روينا عن إبراهيم أنه قال لمغيرَةَ: تفقَّهْ ثم اعتزِلْ.

* * *

(١) حتى قوله: «ويلقنه العلم» مستدرك في الهامش.

بـــاب في فساد الأئمة
وما جاء في الإقلال من صحبة السلاطين

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني محمد بن هاشم، قال[1]:

١٢٠/أ حدثنا / الدَّبَرِيُّ، عن عبد الرزَّاق، عن مَعْمَر، عن ابن خُثَيْم[2]، عن عبد الرحمن بن سابِط[3]، عن جابر بن عبد الله أنَّ النبيَّ ﷺ قال لكَعْبِ بن عُجْرَةَ[4]:

«أعاذَكَ اللَّهُ يا كَعْبَ بن عُجْرَةَ من إمارةِ السُّفهاء»، قال: وما إمارةُ السُّفهاء؟ قال: «أمراء يكونونَ بعدي، لا يَهْدُون بهديي، ولا يستنُّون بسنَّتِي؛ فَمَنْ صَدَّقَهم بكذِبِهم، وأعانَهم على ظلمِهِمْ، فأولئك ليسوا منّي ولسْتُ منهم، ولا يرِدُونَ على حوضي؛ ومَنْ لم يصدِّقْهُم بكذِبِهم، ولم

---

(١) عبارة: «قال: حدثنا» مكررة في الأصل.

(٢) هو عبد الله بن عثمان بن خُثَيم، أبو عثمان، القارىء المكي. صدوق، مات سنة ١٣٢ هـ. (التقريب ١: ٤٣٢).

(٣) عبد الرحمن بن سابط، ويقال: عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط، ويقال: عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سابط بن أبي حميضة، الجمحي، المكي. ثقة، كثير الإرسال.

(تهذيب التهذيب ٦: ١٨٠، والتقريب ١: ٤٨٠).

(٤) هو كعب بن عجرة الأنصاري المدني، أبو محمد، صحابي مشهور. توفي سنة ٥١ هـ.

انظر: أسد الغابة ٤: ٢٤٣، والإصابة (تر ٧٤٢١)، وسير أعلام النبلاء ٣: ٥٢.

يُعِنْهم على ظلمِهم، فأولئك منّي وأنا منهم، وسيردُون على حَوْضي. يا كَعْبَ بنَ عُجْرَةَ؛ لا يدخلِ الجنَّةَ لحمٌ نَبَتَ من سُحْتٍ[1] أبداً، النارُ أولى به. يا كَعْبَ بنَ عُجْرَةَ، النَّاسُ غاديان؛ فمبتاعٌ نفسَهُ فمعتقُها؛ أو بائعُها فموبقُها[2]»[3].

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا ابنُ الأعرابي والصَّفَّار، قالا: حدثنا الدَّقِيقِيُّ[4]، قال: حدثنا يزيدُ بن هارون، قال: أخبرنا إسرائيلُ[5]، عن محمد بن جُحَادَة[6]، عن عَطِيَّةَ[7]، عن أبي سعيد الخدرِيّ، قال: قال رسول الله ﷺ:

«أفْضَلُ الجهادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عندَ سُلطانٍ جائرٍ»[8].

---

(١) السُّحْت: الحرام.

(٢) أي مهلكها. وأبق العبد: هرب.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٣: ٣٢١، ٣٩٩، وزاد: «يا كعب بن عجرة، الصلاة قربان، والصوم جنة، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار».

(٤) هو محمد بن عبد الملك بن مروان الدقيقي، أبو جعفر الواسطي. وثقه الدارقطني، توفي سنة ٢٦٦ هـ. (خلاصة تذهيب الكمال ٣٤٩).

(٥) هو إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السَّبيعي الهمداني، أبو يوسف الكوفي. ثقة، متقن، توفي سنة ١٦٢ هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ٣: ٥٢، وخلاصة تذهيب الكمال ٣١.

(٦) محمد بن جُحَادة الأودي الكوفي، أحد الأئمة الثقات. مات سنة ١٣١ هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ٦: ١٧٤، وخلاصة تذهيب الكمال ٣٣٠.

(٧) عطية بن سعد بن جُنادة العَوْفي، أبو الحسن الكوفي. ضعيف الحديث، وحسّن له الترمذي أحاديث. مات سنة ١١١ هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ٥: ٣٢٥، وخلاصة تذهيب الكمال ٢٦٧.

(٨) أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم رقم (٤٣٤٤) باب الأمر والنهي؛ والترمذي رقم (٢١٧٥) في الفتن، باب أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر، وحسَّنه.
وأخرجه ابن ماجه رقم (٤٠١١) في الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. =

١٢٠/ب قال أبو سليمان: إنما كان هذا / أفضلَ الجهاد؛ لأنَّ من جاهد العدوَّ كان على أملٍ من الظفر بعدوِّه، ولا يتيقَّنُ العَجْزَ عنه؛ لأنَّه لا يعلم يقيناً أنه مغلوبٌ؛ وهذا يعلم أنَّ يدَ سلطانه أقوى من يده، فصارت المثوبة فيه على قدر عِظَمِ المؤونة.

قال أبو سليمان: ليتَ شعري، مَن الذي يدخُلُ إليهم اليومَ فلا يُصَدِّقُهم على كذبِهِم، ومَن الذي يتكلَّم بالعدل إذا شَهِدَ مجالسَهم، ومَن الذي ينصَحُ، ومن الذي ينتَصِحُ منهم. إن أسلمَ لكَ يا أخي في هذا الزمان وأحوَطَ لدينك أن تُقِلَّ من مخالطتهم، وغِشيانِ أبوابهم. ونسألُ الله الغِنَى عنهم والتوفيق لهم.

قال: أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني محمد بن هاشم، قال: حدثني الدَّبَرِيُّ، عن عبد الرزَّاق، عن مَعْمَر[1]، عن قَتَادَةَ؛ أنَّ ابنَ مسعودٍ، قال:

إنَّ على أبواب السلطان فتناً كمبارك الإبل. والذي نفسي بيدِهِ، ولا تصيبون من دنياهم شيئاً إلَّا أصابوا من دينكم مثلَه.

قال أبو سليمان: قال عبد الرزَّاق: وأخبرني مَعْمَر، عَمَّن سمع
١٢١/أ الحسنَ يقول: لا تجيئنَّ أميراً وإنْ دعاك لتقرأ عنده / سورةً من القرآن؛ فإنَّك لا تخرُجُ من عنده إلا شرّاً مِمّا دخلْتَ.

= وفي سنده عطيّة لا يحتج بحديثه، لكنه يتقوَّى برواية النسائي. وقد رواه النسائي من حديث طارق بن شهاب في كتاب البيعة، باب فضل من تكلم بالحق عند إمام جائر ٧: ١٤٤.

وهو أيضاً قطعة من خطبة مطولة عن أبي سعيد الخدري، رواها ابن حنبل في مسنده ٣: ١٩، ٦١ (ع).

(١) في الأصل: «عمر» وهو تحريف. وهو معمر بن راشد الأزدي، أبو عروة البصري اليماني. ثقة، توفي سنة ١٥٣ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٧: ٥، وخلاصة تذهيب الكمال ٣٨٤.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني محمد بن سَعْدَوَيْه، قال: حدثنا ابنُ الجُنَيْد، قال: حدثنا الحسين بن حُرَيْثٍ المَرْوَزِيُّ، قال: حدثنا أحمد ابن يونس، قال: سمعت سفيان الثَّوريَّ ـ وقال له رجلٌ أوصني يا أبا عبد الله ـ قال: إيَّاكَ والأهواءَ، إيَّاكَ والسلطانَ.

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثنا ابن جَوْصَا[1]، قال: حدثنا عبد الله بن خُبَيق، قال: حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله، قال: قال سفيان: إذا أردْتَ أن تنجوَ فاجتنبْ ثلاثاً[2]:

لا تدخلَنَّ على سلطانٍ، ولا تدخلْ في وصيَّةٍ، ولا تحجَّ عن ميتٍ.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني أبو محمد الكُرانِيّ، قال: حدثنا عبد الله بن شَبيب، قال: حدثنا المِنْقَرِيُّ، قال: حدثنا الأصمعيُّ، قال: حدثنا محمد بن حَرْبٍ الزِّيادِيُّ، قال: حدثني أبي، قال:

قال زياد لجلسائه: مَنْ أغبطُ الناس عيشاً؟ قالوا: الأميرُ وجلساؤه. فقال: ما صنعتم شيئاً؛ إنَّ لأعوادِ المنبر هيبةً، وإنَّ لِقرع لجام[3] البريد لفزعةً، ولكنَّ أغبطَ الناس عندي رجلٌ له دارٌ لا يجري عليه كِراها، / وزوجةٌ صالحةٌ قد رضيَتْهُ ورضيَها؛ فهما راضيان لعيشهما، لا يعرِفُنا ولا نعرِفُه. فلأنَّه إنْ عَرَفَنا وعَرَفْناه أتعبْنا ليلَه ونهارَه، وأذهبْنا دينَه ودنياه[4]. ١٢١/ب

وأنشدنا أبو سليمان، قال: أنشدنا محمد بن سَعْدَوَيْه، قال: أنشدني

---

(١) هو أحمد بن عمير بن يوسف بن موسى بن جَوْصَا، أبو الحسن، الإمام الحافظ النبيل، محدّث الشام. مات سنة ٣٢٠ هـ.
(سير أعلام النبلاء ١٥: ١٥، وتذكرة الحفاظ ٣: ٧٩٥، وميزان الاعتدال ١: ١٢٥).

(٢) في الأصل: «قلنا».

(٣) في الأصل: «الجمام».

(٤) الخبر في العقد الفريد ٣: ١٣٤ مع اختلاف يسير في اللفظ.

محمد بن خُشَّك، قال: أنشدنا أحمد بن أبي ربيعةَ للعتَّابيّ[1]:

تَلومُ على تَـرْكِ الغِنَى بـاهِليَّـةٌ   زَوَى الدَّهْرُ[2] عنها كُلَّ طِرْفٍ وتالدِ
تَرَى حَوْلَها النِّسوانَ يَرْفُلْنَ في الكُسَا[3]   مُـقَلَّدَةً أجيـادُهـا بـالقـلائـدِ
وأفضـلُ عيشٍ في الشتاء تَنـالُـهُ   هَبيد[4] يُغَادَى[5] أصله بـالثرائـدِ
يَسُرُّكِ[6] أنّي نِلْتُ ما نالَ جَعْفَرٌ   مِن المُلْكِ[7] أوما نال يَحْيَـى بنُ خالدِ

---

(١) العتابي: كلثوم بن عمرو بن أيوب التغلبي، ويكنى أبا عمرو، توفي سنة ٢٢٠ هـ.
وأبياته هذه ـ عدا الثالث منها ـ في الأغاني ١٣: ١٢٣، وروى له بسببها قصة مطولة جاءت ملخصة في اللسان (برد)، قال ابن منظور:
«هذه الأبيات سبب عملها أن العتابي لما عمل قصيدته التي أولها:
ماذا شجاك بحـوَّارين من طَلَلٍ   ودِمْنَةٍ كشفت عنهـا الأعـاصيـرُ
بلغت الرشيد، فقال: لمن هذه؟ فقيل: لرجل من بني عتاب يقال له كلثوم، فقال الرشيد: ما منعه أن يكون ببابنا؟ فأمر بإشخاصه من رأس عينٍ، فوافَى الرشيدَ وعليه قميص غليظ وفروة وخف، وعلى كتفه ملحفة جافية بغير سراويل، فأمر الرشيد أن يفرش له حجرة، ويقام له وظيفة، ففعلوا، فكان الطعام إذا جاءه أخذ منه رُقاقة وملحاً وخلط الملح بالتراب وأكله؛ وإذا كان وقت النوم نام على الأرض والخدم يفتقدونه، ويعجبون من فعله، وأُخبر الرشيد بفعله فطرده، فمضى إلى رأس عينٍ؛ وكانت تحته امرأة من باهلة، فلامته، وقالت: هذا منصور النمري قد أخذ الأَموالَ فحلَّى نساءه، وبنى داره، واشترى ضياعاً، وأنت كما ترى، فقال... الأبيات».
وانظر الأبيات في الحيوان ٤: ٢٦٥، والبيان والتبيين ٣: ٣٥٣، وعيون الأخبار ١: ٢٣١، والعقد الفريد ٢: ١٣٦، وزهر الآداب ٣: ٣٩، وحماسة ابن الشجري ٤٨٣.
(٢) في الأغاني: «الفقر». والطِّرْف: الجديد. والتالد: القديم.
(٣) في الأغاني واللسان: «الثرا»، وفي البيان والتبيين: «الكُسا».
(٤) الهبيد: الحنظل يكسر ويستخرج حبه وينقع لتـذهب مرارته ويتخذ منه طبيخ يؤكل عند الضرورة. (اللسان).
(٥) في الأصل: «يغادي»، وفي المطبوع: «ينادي»، ولا وجه لكليهما. والبيت بكامله لم يذكر في مصادر الأبيات.
(٦) في الأغاني واللسان وحماسة ابن الشجري: «أسرَّكِ».
(٧) في الأغاني واللسان: «من العيش».

وأن أميـرَ المـؤمنيـنَ أَغـصَّـنـي مَغَصَّهُمـا بالمُـرْهَفَـاتِ[١] البـوارِدِ
دَعِيني تجِئْني مِيتَـتي مُـطْمَئِنَّـةً ولم أتَجشَّمْ هَـوْلَ تِلكَ المـوارِدِ
فـإنَّ جَسيماتِ[٢] الأمـورِ مَشُوبَـةٌ بِمُسْتَوْدَعَاتٍ في رؤوسِ[٣] الأساوِدِ

قال: أنشدنا لعبد الله بن طاهر:

كيف عيشُ امرىءٍ له كـلَّ يومٍ عـلَمٌ دونَ بـلدةٍ مَـنْـشُـورُ
وإذا الريحُ حَرَّكَتْ صَوْتَ طَبْلٍ من بعيـدٍ فـقلبُـهُ مـذعُـورُ
يـا غنيّاً عن العسـاكـر والبَعـ ـثِ هنيئاً لـك المقيـلُ الـوثيـرُ
مَنْ لـه كِسْـرَةٌ يعيشُ عن النَّـا سِ غنيـاً بهـا فـذاكَ الأميـرُ

قال: أنشدني بعضُهم[٤]:

أَنِسْتُ بِـوَحْـدَتي ولَـزِمْتُ بيتي فدامَ[٥] الأنْسُ لي ونَمَى السُّرورُ
/وأدَّبَني الـزَّمـانُ فـلا أبـالـي هَـجَـرْتُ فـلا أُزارُ ولا أَزُورُ ١٢٢/أ
فلسْتُ بسـائلٍ مـا دُمْتُ[٦] حيًّـا أَسَـارَ الجُنْـدُ أم رَكِبَ الأميـرُ

قال: وأنشدني آخر:

ضَـنَّ الأمـيـرُ بـإِذْنِـهِ فـقَعَـدْتُ فـي بيتـي أميـرا
وتـركْـتُ إمْـرَتَـهُ لَـه والـلَّهُ مـحـمـودٌ كـثـيـرا

---

(١) في الأغاني: «بالمشرقاتِ البوارد». أراد بالسيوف التي تثبت في الضربة لا تنثني.
(٢) في الأغاني: «رأيت رفيعاتِ»، وفي اللسان وحماسة ابن الشجري: «فإنَّ رفيعات»، وفي البيان والتبيين: «فإن كريمات».
(٣) في حماسة ابن الشجري: «في بطون».
(٤) الأبيات في الكشكول للعاملي ١: ٦ بلا نسبة.
(٥) في الكشكول: «فطاب... وصفا السرور».
(٦) في الكشكول: «ما عشت يوماً».

أخبرنا أبو سليمان، قال: وأنشدني إسماعيل بن أَسَدٍ، قال: أنشدني محمد بن شُعْبَةَ[1]:

بـابُ الأميـرِ عَـرَاءٌ ما بـهِ أَحَـدٌ   إلَّا امْـرُؤٌ واضِعٌ كَفّـاً على ذَقَنِ
كَفَيْتُكَ الأَمْرَ لا تَلْقَى أخـا أملٍ   بباب[2] دارِكَ يَسْتَعْدِي على الزَّمَنِ
إنَّ الـرَّجاءَ الَّـذي قد كُنْتُ آمُلُهُ   جعلْتُـهُ ورَجَـاءَ النَّـاسِ في كَفَنِ

قال: ويُروَى لذي النُّون المصري:

مَـلَكْـتُ نَـفْـسِـي وذاكَ مُـلْـكٌ   مـا مـثْـلُهُ لـلـمـلُوكِ مُـلْـكُ
فَـصِـرْتُ حـرّاً بِمِـلْكِ نَـفْـسِـي   فـمـا لـخـلقٍ عَـليَّ مِـلْكُ

قال: أنشدني محمد بن العباس المؤدب، قال: أنشدني الحدَّاديُّ في الإقلال من صحبة السلطان[3]:

إنَّ الملوكَ بَـلاءٌ حيثُمـا حَلُّوا   فلا يكُنْ لَكَ في أكنافهم ظِلُّ
مـاذا تؤمِّلُ مِن قـومٍ إذا غَضِبُوا   جـاروا عليك وإن أرضَيْتَهُمْ مَلُّوا
وإنْ نصحتَهُمُ ظنُّـوكَ تخـدَعُهم   واستثقلوك كما يُستثقَلُ الكَـلُّ[4]
فاستغْنِ باللَّهِ عن أبوابِهِم[5] كرماً   إنَّ الـوقـوفَ على أبـوابهم ذُلُّ

١٢٢/ب / قال أبو سليمان: وكان العتَّابِيُّ لا يَقْرَبُ السُّلطانَ ولا يَسْتَمِيحُه[6]،

---

(١) الأبيات لإسحاق بن خَلَف البَهْراني من الشعراء المحدثين، وهي في الكامل للمبرد ١ : ٣٦٨، يقولها في الحسن بن سهل ضمن أبيات خمسة.

(٢) روايته في الكامل:

كفيتك الناس لا تلقي أخا طَلَبٍ   بفيْءِدارك ....

(٣) الأبيات عدا الثالث منها في العقد الفريد ٣ : ١٣٤ بلا نسبة.

(٤) الكَلُّ: الذي هو عيال وثِقْلٌ على صاحبه. قال تعالى: ﴿ وهو كَلٌّ على مولاه ﴾.

(٥) في العقد الفريد: «عن إتيانهم أبداً».

(٦) استماحه: سأله العطاء.

فقيل له: هذا محمَّدٌ الأمينُ يَهَبُ ما بينَ العشرة الآلاف والمائة الألف وأنت ربما تحتاج إلى عشرة دراهم، فكيف لا تقصِدُهُ. فقال: لأني رأيته يَهَبُ العشرة الآلاف من غير سببٍ، ويُرْدِي الرَّجُلَ من السُّور من غير سببٍ، فلسْتُ أدري أيّ الرجلين أكون عنده، وليس الذي أُغرّر[1] به كالذي آمُلُهُ منه.

قال أبو سليمان: بعثَ بعضُ العمال إلى أبي عمر[2] صاحب أبي العباس[3] رسولاً يقول له: أخبرني بمقدار ما يَمُرُّ لك في النفقة في كلِّ سنة حتى أجريَهُ لك، فقال للرسولِ: قُلْ له عافاكَ الله، أنا في جِرايةِ مَنْ إذا سَخِطَ عليَّ لم يُسْقِطْ جِرايتي.

قال أبو سليمان: قال بعضُ الحكماء: إنَّ الذي يُحْدِثُ للسلطان التِّيهَ في أنفسهم، والإعجابَ بآرائهم، كثرةُ ما يسمَعُونَه من ثناءِ الناسِ عليهم، ولو أنهم أنصَفُوهم فَصَدَقُوهم عن أنفسهم لأبصروا الحقَّ، ولم يخفَ عليهم شيءٌ من أمورهم.

قال بعضُ الحكماء: خيرُ السُّلطانِ زيادةٌ في الحال، وشرُّه هلاكٌ واستئصالٌ.

١٢٣/أ أخبرنا أبو سليمان، قال: / أخبرني أبو رَجَاءٍ الغَنَوِيُّ، قال: حدثنا أبي، عن ابن عائشةَ، قال: سمعت أبي يقول: قيل ليحيى بن الحكم: عمر بن عبد العزيز مولده مولده، ومنشؤه منشؤه[4]؛ جاء كما رأيت؛ يعني

---

(١) أغرر به: أي أخاطر به وأعرضه للهلاك.

(٢) هو محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم، أبو عمر الزاهد، المعروف بغلام ثعلب. أحد أئمة اللغة. توفي سنة ٣٤٥ هـ.

(وفيات الأعيان ١ : ٥٠٠، وتاريخ بغداد ٢ : ٣٥٦، ومعجم الأدباء ١٨ : ٢٢٦).

(٣) هو أبو العباس، ثعلب، أحمد بن يحيى، إمام الكوفيين في النحو.

(٤) لفظ: «منشؤه» مستدرك في الهامش.

في الكمال. قال: إنَّ أباه كان أرسلَهُ إلى الحجاز شاباً سُوقَةً[1]؛ يُغضِبُ الناسَ ويُغضبونه، ويمخَضُ النَّاسَ ويمخَضُونَه. واللَّهِ لقد وُلّي الحجّاجُ وما عربيٌّ أحسنَ أدباً منه، فطالت ولايتُهُ، فكان لا يسمَعُ إلا ما يُحبُّ، فمات وإنَّه لأَحْمَقُ سيّءُ الأدبِ.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرنا ابن الزِّبيَقِيّ، قال: حدثنا الفَضْلُ ابن عمرو، قال: حدثنا محمد بن سلَّام الجُمَحِيّ، قال: حدثني عبد الله ابن بَكْرٍ السهميُّ، قال: سمعت بعضَ أصحابنا، قالوا:

أرسل عمرُ بنُ هُبَيرةَ - وهو على العراق - إلى فقهاء من فقهاء البصرة، وفقهاء من فقهاء الكوفة؛ فكان ممن أتاه من أهل البصرة الحسنُ[2]، ومن أهل الكوفة الشَّعبيُّ[3]. فدخلوا عليه فقال لهم: إنَّ أميرَ المؤمنين يزيدَ يكتبُ إليَّ في أمورٍ أعملُ بها، فما تريان؟ قال: فقال الشعبيُّ: أصلح اللَّهُ الأميرَ! أنتَ مأمورٌ والتَّبِعَةُ على مَنْ أمرَكَ. فأقبَلَ على الحسنِ، فقال: ما تقول[4]؟ قد قال هذا، قُلْ أنْتَ. قال: اتَّقِ الله يا عُمَرُ، / فكأنَّك بملَكٍ قد أتاك، فاستنزَلَكَ عن سريرِكَ هذا، وأخرجَكَ من سَعَةِ قصرِكَ إلى ضيق قبرِكَ. إنَّ الله تعالى يُنجيك من يزيدَ، وإنَّ يزيدَ لا يُنجيكَ ١٢٣/ب

(١) السُّوقة: خلاف الملِك، يستوي فيه الواحد وغيره. والسوقة من الناس: من لم يكن ذا سلطان.

(٢) هو الحسن بن يسار البصري، إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه، وأحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك. توفي سنة ١١٠ هـ.
(طبقات ابن سعد ٧: ١٥٦، وحلية الأولياء ٢: ١٣١، وسير أعلام النبلاء ٤: ٥٦٣).

(٣) عامر بن شَراحيل بن عبد ذي كار، الشعبي الحميري، أبو عمرو، راوية، من التابعين، يضرب المثل بحفظه. توفي سنة ١٠٣ هـ.
(طبقات ابن سعد ٦: ٢٤٦، وحلية الأولياء ٤: ٣١٠، وتاريخ بغداد ١٢: ٢٢٧، وسير أعلام النبلاء ٤: ٢٩٤).

(٤) بعدها لفظ: «فقال».

من الله سبحانه. فإيَّاك أن تعرَّضَ لله تعالى بالمعاصي، فإنَّه لا طاعَةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالق.

ثم قام، فتبعَه الآذِنُ، فقال: أيُّها الشيخُ، ما حملَكَ على ما استقبَلْتَ به الأميرَ؟ قال: حملني عليه ما أخَذَ اللَّهُ تعالى على العلماء في علمهم، ثم تلا: ﴿ وإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ الَّذينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ للنَّاسِ ولا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ[1] وراءَ ظُهُورِهِمْ ﴾[2]. قال: فأخرج عطاياهم[3]، وفضَّلَ الحسنَ.

قال أبو سليمان: فمن لنا اليوم بمثل الحسنِ، رحمةُ الله عليه، وإخلاص نصيحته، وبليغ مَوْعِظَتِه، ولو صَلَحَتْ منَّا الضمائرُ، وصفت السرائرُ لوقَعت النَّصيحةُ موقعَها؛ واللَّهُ يُصلِحنا ويُصلِحُ أئمتنا؛ فإنَّ فسادهم بذنوبنا.

قال: أنشدني بعضُ أهل العلم:

بِذُنوبِنا دامَتْ بليَّتُنا ... واللَّهُ يكشِفُها إذا تُبْنَا

* * *

---

(١) في الأصل: «فنبذوهم» وهو خطأ.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٧.

(٣) في الأصل: «فخرج عطايايهم».

بـــاب في لزوم القصد
في حالتي العزلة والخلطة

قد انتهى منّا الكلامُ في أمر العُزْلَةِ إلى حيثُ شَرَطْنا أَنْ نبلُغَهُ،
١٢٤/أ وأوردنا فيها من الأخبار ما خِفنا أن نكونَ / قد حسَّنَّا معه الجفاءَ من حيثُ أردنا الاحترازَ منه، وليس إلى هذا أجرينا، ولا إيَّاه أردنا؛ فإنَّ الإغراقَ في كلِّ شيء مَذْمُومٌ، وخيرُ الأمور أوسطها، والحسَنَةُ بين السيئتين. وقد عابَ رسول الله ﷺ الإغراقَ في عبادة الخالق عزَّ وجلَّ، والحَمْلَ على النفس منها ما يَؤودها ويكلُّها[(١)]، فما ظنُّكَ بما دونها من باب التخلُّقِ والتكلُّفِ.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرنا ابنُ الأعرابي، قال: حدثنا ابنُ أبي مَسَرَّة، قال: حدثنا خَلَّاد بن يحيى، قال: حدثنا أبو عقيل يحيى بن المتوكّل، عن محمد بن سُوقَةَ، عن ابن المُنكَدِر، عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ هذا الدِّينَ مَتِينٌ، فأَوْغِلْ[(٢)] فِيه بِرِفْقٍ، ولا تبغضْ إلى نفسِكَ عبادةَ الله، فإنَّ المنبَتَّ[(٣)] لا أرضاً قَطَع، ولا ظَهْراً أبقى»[(٤)].

---

(١) يكلّها: يعييها ويثقل عليها.

(٢) أوغل فيه برفق: سِر فيه برفق وابلُغ الغاية القصوى منه بالرفق، ولا تحمل على نفسك وتكلفها ما لا تطيقه فتعجز وتترك الدين والعمل. (اللسان).

(٣) المنبت: يقال للرجل إذا انقطع في سفره وعطبت راحلته: صار منبتاً، ومنه قول مطرّفٍ: إن المنبتَّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى. (اللسان).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده من حديث أنس بن مالك ٣: ١٩٩ بلفظ: «إن هذا الدين متين، فأوغلوا فيه برفق». =

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني إبراهيمُ بنُ عبد الرحيم العَنْبَرِيُّ، قال: حدثنا ابنُ أبي قُماش، عن ابن عائشة، قال: ما أمر الله تعالى عبادَه بأمر إلا وللشيطان فيه نَزْعَتان؛ فإمَّا إلى غُلُوٍّ، وإمَّا إلى تقصيرٍ، فبأيِّهما ظَفِرَ قَنِعَ.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني إبراهيم بن محمد بن يحيى، قال: حدثني بعض شيوخنا، قال: قال علي بن غنام: كلا طرفي القَصْدِ مَذْمُومٌ.

/ وأنشدنا أبو سليمان[1]: ١٢٤/ب

تَسَامَحْ ولا تَسْتَوْفِ حَقَّكَ كُلَّهُ وَأَبْقِ فَلَمْ يستوفِ قَطُّ كَرِيمُ
ولا تَغْلُ[2] في شيءٍ مِنَ الأَمْرِ واقتَصِدْ كِلَا طَرَفَيْ قَصْدِ الأُمُورِ ذَمِيمُ

قال أبو سليمان: والطريقةُ المُثْلَى في هذا الباب ألَّا تمتنع من حقٍّ يَلْزَمُكَ للناسِ وإنْ لم يطالبوك به، وألَّا تنهمِكَ لهم في باطلٍ لا يَجِبُ عليك وإنْ دعوكَ إليه. فإنَّ مَن اشتَغَلَ بما لا يَعنيه فاته ما يعنيه، ومَن انحلَّ في الباطل جَمَدَ عن الحقِّ. فكنْ مع الناسِ في الخير، وكن بِمَعْزِلٍ عنهم في الشرِّ، وتوخَّ أنْ تكونَ فيهم شاهداً كغائبٍ، وعالماً كجاهلٍ.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني العَنْبَرِيُّ، قال: حدثنا ابن أبي قُماشٍ، قال: حدثنا ابنُ عائشةَ، عن ابن المبارك، عن وُهَيْب بن الوَرْد، قال: قلت لوَهْب بن مُنَبِّه: إنّي[3] أريد أن أعتزلَ الناسَ، فقال لي: لا بُدَّ

= والحديث رواه البزار عن جابر بسند ضعيف، وليس فيه: «ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله» (ع).

(١) البيتان في يتيمة الدهر ٤: ٣٣٦، ومعجم الأدباء ٤: ٢٥٩ و ١٠: ٢٧١، ووفيات الأعيان ٢: ٢١٥، وشذرات الذهب ٣: ١٢٧، برواية: «فلم يستقض».

(٢) لا تَغْلُ: لا تسرف.

(٣) قوله: «إني أريد أن» مستدرك في الهامش.

لك من النَّاسِ وللنَّاسِ منكَ؛ لكَ إليهم حوائجُ، ولهم إليك حوائجُ؛ ولكنْ كن فيهم أصمَّ سميعاً، أعمى بصيراً، سَكوتاً، نطوقاً.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني محمد بن إبراهيم المُكتِّبُ، قال:
١٢٥/ب حدثنا شكّر، قال: حدثنا / جعفر بن سُنَيْدٍ، عن أبيه، قال: قال أكثم بن صيفيّ(١):

«الانقباضُ عن الناس مكسَبَةٌ للعداوة، ومعرفتُهم مكسَبَةٌ لِقرين السَّوْءِ، فكنْ للناس بين المنقبِضِ والمقارِب، فإنَّ خيرَ الأمور أوساطُها».

وأنشد أبو زيد في هذا المعنى(٢):

إذا ما عَمَمْتَ النَّاسَ بالأُنسِ لَمْ تَزَلْ لصاحِبِ سَوْءٍ مُسْتَفِيداً وكاسِبا
وإنْ تُقْصِهِمْ يَرْمُوكَ عن سَهْمِ بَغْضَةٍ فكُنْ خَلِطاً(٣) إن شئتَ أو كنْ مُجانبا
فلا تَدْنُوَنْ منهُمْ ولا تُقْصِيَنَّهُمْ(٤) ولكنَّ أمراً بينَ ذاكَ مُقاربا

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرنا ابنُ الأعرابي، قال: حدثنا داود بن أيّوب بن سليمان الأَيْليّ، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا بكر بن صَدَقَةَ، قال: حدثنا هشام بن سَعْدٍ، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عُمَرَ رضي الله عنه، قال له: لا يَكُنْ حُبُّكَ كَلَفاً(٥)، ولا بُغْضُك تَلَفاً.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرنا محمد بن هاشم، قال: حدثنا الدَّبَرِيُّ، عن عبد الرزَّاق، قال: أخبرنا بِشْر بن رافع، قال: أخبرني شيخٌ من أهل صنعاءَ يقال له أبو عبد الله، قال: سمعت وَهْب بن مُنَبِّه يقول:

---

(١) في محاضرات الراغب الأصبهاني ٢ : ٨: «قال أكثم بن صيفي: الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة، والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء».
(٢) الأبيات في محاضرات الراغب الأصبهاني ٢ : ٨ منسوبة إلى الحارثي.
(٣) الخلِطُ: المختلط بالناس المتحبِّب.
(٤) رواية هذا الشطر في المحاضرات: «ولا تنتبذ عنهم ولا تدن منهم».
(٥) الكَلَفُ: الوُلوع بالشيء مع شغل قلب ومشقة. والتلف: الهلاك والعَطَبُ.

إنِّي وجدت في حكمة آلِ داودَ: حقٌّ على العالِمِ ألا يُشْغَلَ[1] عن أربعِ ساعات؛ ساعةٍ يناجي فيها ربَّهُ؛ وساعةٍ يُحاسِبُ / فيها نفسَهُ؛ وساعةٍ يُفْضِي فيها إلى إخوانه الذين يَصْدُقُونَه عيوبَه، وينصَحُونَهُ في نفسه؛ وساعةٍ يخلو فيها بين نفسه وبينَ لذَّاتها مما يَحلُّ ويَجْمُلُ؛ فإنَّ هذه الساعةَ عونٌ لهذه الساعات، واستجمامٌ للقلوب، وفَضْلٌ وبُلْغَةٌ، وعلى العاقل أن يكونَ عارفاً بزمانِهِ، مُمْسِكاً للسانِه، مقبلاً على شأنِهِ. ١٢٥/ب

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني محمد بن منصور، قال: حدثنا محمد بن المنذر بن سعيد، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن الحسين[2] القرشِيّ، قال: حدثنا جعفر بن عَوْن، عن مِسْعَرٍ[3]، عن حبيب بن أبي ثابت، عن عبد الله بن باباه[4]، قال: قال عبد الله بن مسعودٍ: خالِطِ النَّاسَ وزايِلْهم[5]، ودينَكَ لا تكلِمَنَّه[6].

قال أبو سليمان: يريدُ خالِطْهُم ببدَنِكَ، وزايِلْهُمْ بقلبِكَ؛ وليس هذا من باب النِّفاق، ولكنَّه من باب المُداراةِ. وقد قال النبي ﷺ: «مُدَاراةُ النَّاسِ صَدَقَةٌ»[7].

---

(١) في الهامش: «يَشْتَغِل».

(٢) في الهامش: «الحسن»، وهو محمد بن أحمد بن حسين بن مدويه القرشي، أبو عبد الرحمن الترمذي. ذكره ابن حبان في الثقات.
(تهذيب التهذيب ٩: ٢١، وخلاصة تذهيب الكمال ٣٢٥).

(٣) هو مِسْعَر بن كِدام بن ظُهير بن عبيدة بن الحارث، أبو سلمة الهلالي الكوفي، الإمام الثبت، شيخ العراق. توفي سنة ١٥٣ هـ.
(سير أعلام النبلاء ٧: ١٦٣، وخلاصة تذهيب الكمال ٣٧٤).

(٤) عبد الله بن باباه، أو ابن بابيه المكي. وثقه النسائي.
(تهذيب التهذيب ٥: ١٥٢، وخلاصة تذهيب الكمال ١٩١).

(٥) زايلهم: أي فارقهم. وزايله مزايلة وزيالاً، إذا فارقه.

(٦) أي لا تفعل شيئاً يجرح دينك ويخدشه.

(٧) الحديث في كشف الخفاء ٢: ٢٠٠ برقم (٢٢٧٧)، وجاء فيه: =

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرني أبو محمد الكُرَانِيُّ، قال: حدثنا زكريا بن يَحيى السَّاجِي، قال: حدثنا موسى بن إسحاق، قال: حدثنا
١٢٦/أ يحيى بن عيسى، عن سُفيانَ، عن حبيب بن أبي ثابتٍ، عن مَيْمُون / بن أبي شبيب، قال: قال صَعْصَعَةُ بنُ صُوحَان[١] لابن أخيه: كنتُ أَحَبَّ إلى أبيكَ منك، وأنتَ أحبُّ إليَّ من ابني؛ إذا رأيتَ المؤمنَ فخالِصْهُ[٢]، وإذا رأيتَ الفاجِرَ فخالِقْهُ[٣].

أخبرنا أبو سليمان، قال: حدثنا الخُلْدِيُّ، قال: حدثنا موسى بن هارون، قال: حدثنا هُدْبَةُ[٤] بن خالدٍ، قال: حدثنا حَزْمٌ القُطَعِيُّ[٥]، قال: سمعتُ الحسنَ يقول: يقولون المُداراةُ نِصفُ العَقْلِ، وأنا أقول: هو العَقْلُ كُلُّهُ.

أخبرنا أبو سليمان، قال: أخبرنا الصَّفَّار، قال: حدثنا الحسن بن

= رواه الطبراني وأبو نعيم وابن السني وابن حبان عن جابر، وصححه ابن حبان، وتقدم في رأس العقل وغيره.

قال في اللآلىء بعد أن عزاه لابن حبان عن جابر: المداراة التي تكون صدقة للمداري: هي تخلقه بالأشياء المستحسنة مع من يدفع إلى عشرته ما لم يشنها بمعصية الله تعالى. والمداهنة: هي استعمال المرء للخصال التي تستحسن منه في العشرة وقد يشوبها بما يكره.

(١) صعصعة بن صُوحان العبدي، أبو طلحة. كان من كبار أصحاب علي. وثقه النسائي. قيل: قتل يوم الجمل. وقيل: مات في خلافة معاوية.

انظر: سير أعلام النبلاء ٣: ٥٢٨، وخلاصة تذهيب الكمال ١٧٣.

(٢) خالصه: أخلص له الود.

(٣) خالقَه مخالقة وخلاقاً: عاشره على أخلاقه. وفي اللسان: خالص المؤمن.

(٤) هُدْبَةُ بن خالد القيسي، أبو خالد البصري، ويقال له هدّاب الحافظ، صدوق. توفي نحو سنة ٢٣٥ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء ١١: ٩٧، وخلاصة تذهيب الكمال ٤١٣.

(٥) هو حزم بن أبي حزم مهران القُطَعي، أبو عبد الله البصري. مات سنة ١٧٥ هـ. (تهذيب التهذيب ٢: ٢٤٢).

عَرَفة، قال: حدثنا عبد الله بن المبارك، عن الحسن بن عمرو الفُقَيْمِيّ، عن منذر[1] الثَّوْرِيّ، عن محمد بن الحنفيَّة[2]، قال:

ليس الحكيم مَنْ لم يعاشِرْ بالمعروف مَنْ لا يجِدُ مِنْ معاشرته بُدّاً، حتَّى يجعلَ اللَّهُ له فَرَجاً، أو قال مخرجاً[3].

قال أبو سليمان: أنشدني بعضُ أهل الأدب، قال: أنشدني المتنبي[4]:

وَمِنْ نَكَدِ الدُّنيا على الحُرِّ أَنْ يَرَى ... عَدُوّاً له ما مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُّ

انتهى الكلام في العزلة. وصلى الله على محمد وآله وسلم.

* * *

(١) هو منذر بن يعلى الثوري، أبو يعلى الكوفي. موثق.
(خلاصة تذهيب الكمال ٣٨٧).

(٢) محمد بن علي بن أبي طالب، ابن الحنفية. أبو القاسم وأبو عبد الله، أخو الحسن والحسين. توفي سنة ٨١ هـ.
(طبقات ابن سعد ٥: ٩١، ونسب قريش ٤١، وسير أعلام النبلاء ٤: ١١٠).

(٣) (تاريخ ابن عساكر ١٥/٣٦٨ ب، وسير أعلام النبلاء ٤: ١١٧).

(٤) ديوان المتنبي ٢: ٢٣٨ من قصيدة يمدح بها محمد بن سيار، مطلعها:
أقلُّ فَعَالي بَلْهَ أكثرَهُ مَجْدُ ... وذا الجِدُّ فيه نِلْتُ أَمْ لَمْ أَنَلْ جَدُّ

كتبه علي بن محمد المؤذن بن عثمان المؤذن النيسابوري غفر الله له ولـوالديـه ولقارئـه.

آميـــن.

الفهارس العامّة

فِهرِس الآيات القرآنيّة

فهرس الأحاديث النبويّة

فِهْرِسُ الأبياتِ الشعريَّة

القافية	الصفحة	البحر	الشاعر
		(أ)	
الغُثاءُ (عواءُ، داءُ، البـلاءُ، العَفَاءُ)	١٧٦	وافر	؟
والرَّجاءِ (الصفاءِ، القضاءِ، براءِ)	١٧٧	وافر	علي بن الجهم
		(ب)	
ومَرحبا (مترَبا ، فاطلبا، أقربا)	١٧٤	ط	محمد بن حازم الباهلي
وكاسبا (مُجانبا، مُقاربا)	٢٣٨	ط	[الحارثي]
جَانبا	٨٣، ٨٤	مجزوء الخفيف	؟
كتابُ	٩١	ط	المتنبي
الحِقَبُ (القَتَبُ)	١٨٨	ب	؟
القلوبُ (مريبُ)	١٣١	وافر	؟
يغضبُ	١٨٠	ك	؟
ويشربُ (يُحْجَبُ)	١٨٧	ك	الأشهب بن رُمَيْلة
النوائبِ	١٤٧	ط	؟
النوائبِ (بغاربِ، المصائبِ)	١٧٩	ط	؟
الصحابِ (الشرابِ)	١٢٩	وافر	ابن الرومي
الأثوابِ (الأصحابِ)	١٤٧	ك	زيد بن علي
الأجرَبِ (يَشْغَبِ)	١٨٤	ك	لبيد

القافية	الصفحة	البحر	الشاعر
كريمُ (ذميمُ)	٢٣٧	ط	أبو سليمان الخطابي
كريمُ	١٩٩	ك	؟
حـرامُ (غلامُ، الكـلامُ، بُغامُ، والسَّلامُ)	٨٩	خفيف	منصور بن إسماعيل
مُعْجِمِ	١٠٩	ط	ذو الرُّمَّة
تَوَهُّمِ (مُظلمِ)	١١٣	ط	المتنبي
وآدمِ (بقائمِ ، بصارمِ)	١٦٦	ط	إبراهيم بن شكلة
الـغُـنْـمِ (حِلْمِ ، والـسِّـلمِ ، بالحَزْمِ)	٢٠٦	ط	؟
الظُّلَمِ (الرحمِ ، الحُرَمِ)	١٢٣	ب	[إسحاق بن خلف]
الغَمِّ (الهمِّ، للعلمِ ، والظُّلْمِ)	٢١٥	سريع	؟

(ن)

القافية	الصفحة	البحر	الشاعر
تُبْنا	٢٣٥	ك	؟
أمينا	١٧٧	خفيف	؟
سفينَهْ (المسكينَهْ)	١٦٢	المجتث	منصور بن إسماعيل
ذَقَنِ (الزَّمَنِ، كَفَنِ)	٢٣٢	ب	[إسحاق بن خلف البهراني]
الخُلَّانِ (اثنانِ، إخوانِ، ألوانِ)	١٧٦	خفيف	سليمان بن موسى

(هـ)

القافية	الصفحة	البحر	الشاعر
بالحلاوَهْ (للعداوَهْ)	١٩٤	مجزوء الكامل	؟
عِلَّه (قِلَّه)	٢٠٥	المجتث	منصور بن إسماعيل
تراهُ (مرآهُ)	١٦٢	مجزوء الرمل	منصور بن إسماعيل
أخوهُ (فُوهُ، وَصَلُوهُ)	١٧٤	مجزوء الرمل	[أبو العتاهية]
وإيَّاهُ (آخاهُ، ما شاهُ، وأشباهُ، يلقاهُ)	١٤٥	الهزج	[أبو العتاهية]

فِهرِس الأمثَال

* * *

فهرس الأعلام

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(س)

(ش)

(غ)

(ف)

(ق)

(ن)

* * *

فهرس القبائل والجماعات

* * *

فِهرِسُ الأماكن وَالبُلدان

* * *

فهـرس الموضوعات

* * *